آه يا بيروت

رشاد أبو شاور

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

http://abuabdoalbagl.blogspot.com

أبو عبدو البغل

إلى
عبد الفتاح غانم

آه يا بيروت

http://abuabdoalbagl.blogspot.com

أبو عبدو البغل

الطبعة الأولى الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ١٩٨٣
الطبعة الثانية دار صلامبو / تونس ١٩٨٣
الطبعة الثالثة دمشق ١٩٨٣

رشاد أبو شاور

آه يا بيروت

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين
الامانة العامة

حقوق الطبع محفوظة

وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبيك تميل

أبو الطيب المتنبي

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقـــان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينـــك انمـا نحاول ملكا أو نموت فنعـذرا

إمرؤ القيس

الاجتيـــاح*

الصهاينة قادمون ؛
وداعا اذن يا زوجتي وأطفالي .

ليست سوى ساعـات على وصـولي لدمشق . واذ بالاخبـار السيئـة تأتي : لقد قصفوا بيروت . هدموا أسوار المدينة الرياضية ، قتلوا وجرحوا وشوهوا العشرات من المواطنين .

هذا ما فعلوه يوم الرابع من حزيران .

وجاءت الصحف اللبنانية ، فرأيت على صفحات السفير صورا مذهلة .

ذهبت مع زوجتي الى بيت صديقي الشاعر نزيه أبو عفش للغداء . حاولت أن أنسى بالتفـرج على اللوحـات الـرشيقـة التي يبـدعهـا ، حاولت أن أذهب في عالم

---

* الاجتيـاح : تعجبني هذه الكلمـة ، إنهـا تذكـرني بالطـاعـون وكل أنواع الاوبئة السوداء الرهيبة التي تكتسح الحياة .

إن الصهاينة يجتاحون كل شيىء في وطننا ، الارض ، الانسان ، الشجر ، البحر ، الانهار ، انهم الخراب والهتك ، ولأنهـم كذلك فهم في حلف مع طوائف السوس والخراب في الداخل .

العصافير التي يجعلها تغرد وقت يشاء ، ولكن الشاعر ممدوح عدوان جاء مكفهر الوجه ، وسألني :

- ألم تسمع الأخبار ؟

وأضاف :

- إنهم يجتاحون الجنوب . . .

وخيم علينا الصمت ، اذن ، إنها الحرب ، وهذا هو الخامس من حزيران . قلقت كما لم يحدث لي من قبل . وتساءلت عن حزيران ، عن التوقيت ، عن . . مدى صمودنا ، عن هول الضربة ، عن ذكرياتنا مع شهر الهزيمة .

ووجدتني أنهض بسرعة ، وأمد يدي للوداع ، وسار نزيه وزوجته معنا خطوات حتى الشارع .

- لماذا القلق ؟!!

ورددت على نفسي ، ولماذا الطمأنينة ؟ ولماذا التفاؤل ؟

لماذا التفاؤل أو التشاؤم ؟!!

ومضينا الى الشارع ، كان الناس يسيرون في اتجاه ، ونحن نسير في اتجاه آخر . وعندما وصلنا المخيم ، سمعنا صوتا أجشا يدعو الناس بواسطة مكبر للصوت على سيارة أن يتبرعوا بالدم .

وتوقف الصوت ، ثم جاء البكاء في مكبر الصوت ، اننا في مخيم اليرموك ، والمخيمات شيىء ، وبقية بلاد العرب شيىء آخر . . هنا الدم والدموع والحماس والغضب . رأينا عشرات الشباب والصبايا يكشفون أذرعتهم ويذهبون أو يعودون من عيادة دير ياسين . .

★★★

والآن ؟!!

والآن ، ما دام الصهاينة قد بدأوا اجتياحهم فهيا يا شباب ، هيا للدفاع عن الثورة ، عن الأهل ، عن الكرامة ، عن مستقبلنا ، عن أحلامنا .

لقد توقعنا المعركة منذ أشهر ، المعركة الكبيرة ، أكبر المعارك ، وأكثرها ضراوة . . معركة الحسم من جانب العدو ، أما نحن فلم نكن نحلم بحسم المعركة وبسرعة مع هذا العدو المدجج بكل الاسلحة الامريكية ، والقوي جدا بخواء الانظمة وهشاشة الحدود في وجهه ، وجبروتها في وجوهنا .

★★★

أنا والرفيق عبد الهادي النشاش نسكن في المخيم متجاورين ، لذا التقينا بسرعة وقررنا السفر .

ودع زوجته وأطفاله وذهب يشغل سيارته ، أما أنا فوقفت عند الباب مع زوجتي وأطفالي .

قلت :

ـ هذه المعركة ستكون رهيبة ، تذكرين أنني أسميت شارعنا بالشارع الاخير . نعم ، أتوقع حضورهم الينا ، الى بيروت . وقد كتبت هذا التوقع وأعلنته مرارا ، أرجوك ، لو جاءك خبر استشهادي ، حافظي على رباطة جأشك ، إحزني ولكن لا تسمحي للحزن أن يكتسح حياتك أنت والاولاد ، ربيهم كما يجب ، وساعديهم على أن يتعلموا . أتذكر أنني كنت شجاعا في المعارك السابقة ، أرجو أن أكون كذلك . . سأحاول . . أعدك .

قالت زوجتي :

ـ هل تعلم أن فهدا ذهب الى عيادة دير ياسين وطلب أن يأخذوا منه دما للجرحى في لبنان . لقد رفضوا لأنه صغير ـ إنه لم يبلغ الثانية عشرة ـ ولقد ألح عليهم فأحضروا الطبيب ليقنعه ، لكنه أخذ يبكي قهرا لانهم لم يأخذوا من دمه .

وداعا . . وداعا إذن يا زوجتي وأولادي . الصهاينة قادمون ونحن ذاهبون للقائهم . .

إنني إذن قد ربحت . فهذا هو فهد إبني البكر يعرف فلسطين ويحبها ، وهذا هو يذهب ليعطي دمه ، إنه يمد زنده الفلسطيني ، زنده الاسمر النحيل ، ولكن المعافى ، زنده الذي سيكبر وسيحمل بندقية . . وقلما وهما كبيرا .

★★★

ذات يوم قال لي والدي :

ـ أنظر يا رشاد ، حين خرجنا من فلسطين كانت عائلتنا أنا وأنت فقط ، لقد راحت أمك زينب وأختك معزوزة مع فلسطين؛ ولكن ، الآن ، أسرتك ستة أفراد ، وأسرتي أحد عشر ، أي أننا تكاثرنا كما لم نكن نتوقع .

وأنا في السيارة مع عبد الهادي الذي كان ساهما ، والذي قضى سنوات في السجن ، فكرت في والدي ، تذكرته ، تذكرت حتى أصابع قدميه ، الاصابع التي اعوجت بسبب التعذيب ، تذكرت رجليه اللتين ربطتا في مذاود الخيل في سجن أريحا .

وقلت : ها نحن قد تكاثرنا ، حسنٌ ، ليكن الاستشهاد . سيبقى منا فهد . . وسيبقى الطيب . . وأحلام . . أحلامي . . طفلتي التي انتظرتها لتعوض الام والاخت ، وسيبقى غسان الشاطر . . الصغير ، الذي أسميناه غسانا كرمى لذكرى غسان كنفاني ، والذي ناديه أبو فايز مثل غسان الذي نسفوه ، ولم ينسفوا رواياته وقصصه ومقالاته ، وحضوره .

وفي الليل وصلنا بيروت .

مرحبا يا بيروت ، ويا فاكهاني ، وقبل كل شيء مرحبا أيتها المدينة الرياضية . .

وعرفت أن سمير درويش ، المناضل والصحفي الفلسطيني ، رئيس تحرير

الى الامـام ـ التي تصـدر بالانكليـزيـة ـ أصيب وهـو يصـور وينقـذ الناس . . لقد أصيبت عيناه اللتان رأتا من وراء قضبان الاسر طيلة احدى عشرة سنة زيتون وحمائم وبحر وأشبال وزهرات فلسطين . . .

مرحبا يا دمنا . . ويا أيها الصمت ماذا تقول في صمتك الجليل هذا ؟

★★★

الاذاعـــــة

ـ هنا الناس الذين يضحكون . .
ـ هنا إنعام التي تحمل مسجلتها وتذهب الى كل مكان .
ـ هنا الاخوة . . الاخوة .
ـ هنا رغيف الخبز ، وفنجان القهوة . . هنا نبض بيروت .

الخامس من حزيران الذي لا ينسى .
الخامس من حزيران يوم هزيمة الـ ٦٧ .
الخامس من حزيران ، حزيران شهر الاحلام المنهارة ، والجيوش التي تناثرت جثث جنودها على رمال الصحارى وفي شعاب الوديان ، وسفوح الجبال .
حزيران الهزيمة ، استدار حولنا ، أسقط على قواعدنا آلاف القذائف والصواريخ .
ولكن لا طائرات عندنا لتدمر في قواعدها ، وعلى أرض مطاراتها .
لا رادارات عندنا فتشوش عليها التكنولوجيا الامريكية .
لا زوارق مطاردة ، ولا بوارج ، ولا مدافع سواحل لنهربها من البحر ، أو لنأمرها بالاشتباك .
سلاحنا مقاتلنا ، ومقاتلنا يحرمهم بلحمه من التقدم .
وسلاحنا روحنا وهي ليست في مكان فيسهل تدميرها
وسلاحنا نظرات عيوننا وأحلامنا ، وهذه لا يمكن التشويش عليها .
الاذاعة ؟
آ . . .
الاذاعة صوتنا ، صوت فلسطين ، صوت الثورة الفلسطينية ، وهذه الاذاعة لها تاريخ . إنها ليست إذاعة لاذاعة بيانات الانقلابات ، وليست اذاعة لبرقيات

التأييد ، وليست إذاعة مراسيم ، وليست اذاعة انتصارات وهمية ، إنها . . . صوت الثورة الفلسطينية ، أي صوت الدم والرصاص والكاتيوشا . وهي صوت الفلسطيني الذي ينتصر على المنفى ، ويخترق كل حصار ، والتي ينتظر الناس نشرات أخبارها ، وأناشيدها ، وأهازيجها . وهذه الاذاعة لها تاريخ ، فهي في أيلول كانت رئاسة أركان ثورتنا في عمان ، كانت المايستر و الذي يقود سيمفونية البطولة ، وهي مع كل انتفاضة تأخذ دورها كرئاسة أركان ، وأبطالها مجهولون ، دائما ، إنهم في الظل ولكنهم في القلوب .

★★★

إنها كذلك ، وإن الصوت الفلسطيني ليس صراخا في الصحراء ، وإن الصوت الفلسطيني يهب على بلاد العرب بين المحيط والخليج فيسقي بماء الحياة العروق الميتة في هذا الجسد ، وفي هذه الروح العربية ، وإنه الصوت الذي يهب منه نشيد الحرية والكرامة الى الناس في هذه الدنيا ، في مواجهة عصر الصهاينة ، وأزمنة الخراب ، لقد انقضت الطائرات الصهيونية الاميركية ، وقصفت بصواريخها الاميركية ، الصوت الفلسطيني في الجنوب . .

وهكذا لم يعد أهلنا في فلسطين يسمعون أصوات مذيعينا ، ولكن الاذاعة تغني لبيروت . . والصهاينة يزحفون باتجاه بيروت .

★★★

مرحبا يا علي فودة

يوم العاشر من حزيران التقيت بعلي فودة عند جسر الكولا ، جلسنا معا هناك على الرصيف ، وتكلمنا كثيرا مع إخوة ورفاق ، ومع رجال الكفاح المسلح الفلسطيني .

إن أكياس الرمل ترتفع هنا ، وإن السلاح هوالسيد . .

ذهبنا الى الاذاعة ، إنها في الفاكهاني . . على مقربة من صبرا ، في قبو بناية بسيطة . .

استقبلني يوسف ، المذيع المعروف جيدا عند الفلسطينيين بالعتاب ، قال :

- إستغبتك ، أنت شخصيا ، ولو . . . أين أنت ؟أين أنتم يا كتابنا ؟ أنتم تعلمون أن عدد كتابنا ومعلقينا قليل جدا ، وتعلمون أننا ضاعفنا مدة البث ، أليست هذه اذاعتكم ؟ أنا زعلان من كل الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

أما أنا فجلست وأخذت أكتب ، و. . أحضر لي يوسف الشاي ، وهويقول : إوعك تزعل . . أنا بحكي بالعشم . . هذي ثورتنا ولازم ندافع عنها ، وجلس علي فودة يكتب ، وجاء ميشيل النمري وأخذ يكتب ، و. . في ساعة زمن التقى عدد من الكتاب والصحفيين وأخذوا يتناوبون احتلال الكراسي والطاولات القليلة للكتابة . غرفة الكتابة ، ويا لها من غرفة ، ضيقة جدا ، صغيرة جدا ، ومع ذلك فان عشرة

كتـاب على الاقـل انحشروا داخلها وأخذوا يكتبون ، والمذيعون . . المذيعون ، يا لهم من بواسـل حقـا ، المـذيعـون ليسـوا أصـواتا . إن مذيعينا هم الاكثر بساطة ، ولكنهم الاكثر حياة وحيوية ، انهم لا يشبهون أحدا ، ولا يشبههم أحد في الاذاعات . . إنهم يمنحون الكلمات حياتها ، وروحها، وحرارتها ، ورنة أصوات فلاحينا وثوارنا .

حقـا ، هذه الاذاعـة جديـرة بكـل الصـواريخ التي تساقطت حولها . . والتي رأيت واحـدا منهـا . . إنـه غلاف الصـاروخ ، انـه أبيض وضخم وأنيق . . وإنـه أميركي . . أميركي جدا .

★★★

قال لي يعقوب المذيع القادم من الجزائر:

ـ أريد بندقية

ـ ولو . .

ـ أنت لا تصدق أنني بلا بندقية .

وبعد قليل اختفت بندقيتي ، فذهبت الى يعقوب الذي خرج من الاستوديو بعـد أن أذاع ـ منطلقـا ـ هكـذا يصفـون بعض الكتابات الحاسمة ـ فرسم ابتسامة وأجاب دون أن أسأله :

ـ يعني . . بدك إياني أظل بلا بارودة . . يا زلة بلكي أجو اليهود لعندنا .

ـ بسيطة بأدافع عنك . .

ـ إ . . إنت بتدبر . .

وأخذت بندقيتي . . وفي اليوم التالي أحضرت له بندقية .

★★★

جوازك لا ينفـــع يا صاحبـي

أحـدهم قال : عنـدي جواز سفـر معتـبر جواز من دولة ليست في حالة حرب حقيقية مع الصهاينة . .

فرد عليه أحدهم :

ـ ومن من هذه الدول في حالة حرب حقيقية؟

فأجـاب :

ـ حتى إنها ليست في حالة حرب شكلية تقريبا . .

قلنا :

ـ الجـواز لا ينفعـك يا صاح . . جواز الفلسطيني ليس للسفـر بين الحـدود ، جوازه للسفر في هذا العصر ، جوازه دوره . .

قال :

ـ ولو . . أخذتوها جد . . هه . . هيني رايح أحرقه . .

ولم نمنعه . .

★★★

ولان الاذاعـة ، لان صوت فلسطـين ، صوت الثـورة الفلسطينيـة ، لان الصـوت المقـاتـل في بير وت يذهب لملاقاة الصهاينة ، فقد لاحقوه . . لقد تواصل القصف على محطة الاذاعة البسيطة في بير وت ، والتي لم يعد صوتها يصل إلا الى أهل بير وت

في الاذاعـة يلتقي المـذيعـون : يوسف صالح . . صلاح ، الحاج خالد ، أبو زهرة و. . ابن بلا . . وابن بلا فتى . أميل إلى القصر ، وهو دائما ينتعل حذاء خفيفا ، ودائما يتزنر بالقنابل وما لست أدري من الاسلحة ، فضلا عن الكلاشنكوف ، وهو يدخل إلى الاذاعة متسللا . . ثم يقول : إلى الاستديو ، وهذا يعني أنه يحمل بلاغا عسكـريـا ، أو بلاغـات عسكرية غير عادية ، ان مجيئه يعني تدمير دبابات للعدو ، وابن بلا يشتغل في الاذاعة ـ كما يقول نبيل عمرو ـ هكذا بالعونة ، يعني جاء ودخل الى الاستوديو وأخذ يذيع ، ويكتب أحيانا ، وهو لاعب كراتيه ، أو ان شكله يوحي بهذا فقط ، أيضا على رأي نبيـل عمرو .

أمـا الجنـود المجهولون ، أقصد مهندسي الصوت ، فهم يعملون في الظل ، وان كانوا معروفين بالوجه لاهل بير وت .

ولهجـاتهم تختلط فمنهم الفلسطيني والعـراقي والمصـري ، وهم دائـما ثابتـون تحت القصف واهتـزاز البنـاء المتواضع في الفاكهاني أو الفردان وراء المدرسة الفرنسية وعلى مقربة من السفارة الاردنية ، وهم مطالبون بتقديم الموسيقى والاغاني المناسبة وراء كل تعليق أو نداء رغم جحيم المدافع والطائرات والبوارج .

الاذاعة أيضا . .

ما بيحرث الارض غير عجولها *

عندما تم الحصار حول
بير وت ، وعندما اهتزت ركب وسابت مفاصل ، وانهارت عزائم ، ورفع اليأس رأسه وحاصر الناس ، وأوشك اليقين أن يتبدد في سواء الذهول والمفاجأة ، عندما صار اليهود حول بير وت ، ومرت قواتهم من الجبل بسلام ، بعد أن ردت من خلدة ، وعندما وهبت لليهود نصف بير وت ، أى بير وت الشرقية . . واشتغل الخونه أدلاء ، واشتغلت إذاعتهم الصهيونيه بالكتائبية كما يليق بالخونة ، عندئذ ارتفع صوت فلسطين ـ صوت الثورة الفلسطينية ، وعندئذ بالضبط ارتفعت كلمات البسالة والامل والشرف الانساني ، والكرامه الوطنيه ، لقد التقى عدد من الكتاب والصحفيين الفلسطينيين والعرب ، وكتبوا رغم إختلافاتهم السابقة ، ولقد ذابت الغربة ، ودبت حرارة الرفقة ، فأججوا الغضب ، وبثوا الحماس في شوارع بير وت من الاذاعة أرسل صوتي كل صباح ومساء ، في البرنامج اليومي البسيط كلامنا بلدي والذي أوقعه باسم ابن كنعان .

---

* مثل فلسطيني ، وهو في ذات الوقت مثل عربي

سألتني طفله تعرفت إلي ذات يوم :

- شو يعني ابن كنعان ؟

قلت لها :

- يعني ابن فلسطين ، أرض كنعان أرضنا، والكنعانيون أجدادنا ، واجدادنا عمروا هذه البلاد ، وهم قوم متحضرون يحبون الحياة والفرح ، ويقال بأنهم أول من أوجد أبجدية اللغة ، وهم عرب .

وعلى الباخرة ، ونحن في كريت قال لي المناضل القديم ادريس ، وهو صديق لوالدي ، - كل كتبك على العين والراس ، ولكن أنت في هذه الحرب حققت ومن خلال دورك في الاذاعة خاصة مايشرفك كل عمرك.أعترف بأنني خجلت . . اعترف بأنني فرحت .

حنا مقبل الصحفي والكاتب العريق في الساحة الفلسطينية ، صديقي حنا ، الذي له فضل على كثير ين ممن تعلموا الصحافة ، أخذ يعمل في الاذاعة كما يليق به ، أقصد أخذ يكتب عشرات المقالات ، وأبدع برنامجه اليومي الموجه الى الناس في بير وت الشرقية .

عندما سئل نبيل عمرو في اجتماع الكتاب والصحفيين الذي عقدناه في الفاكهاني عندما احكم الحصار حول بير وت :

- من تريد لمعاونتك في الاذاعة؟

أجاب :

- حنا مقبل . . و . . نزيه أبو نضال

من الفاكهاني نقلت الاذاعة الى فردان وقد أدهشني المكان الذي اختير للتحرير ، إنه في بناية فسيحة جميلة ، ذات أبهة ، تصلح للكتابة ، ولكن ليس في أيام الحرب . . ليس وفي البخر زوارق الصهاينة التي من الممكن أن ترسل قذائفها مباشرة عبر النوافذ الفسيحة لتمزق الأوراق والكتاب . وتم الاتفاق على الرحيل الى القدس برس مكتب الصديق حنا مقبل .

وصار القدس برس ورشة عمل ، رغم الصعود المرهق للدور السادس .

لقد تحمل الصديق ياسين رفاعية أن يقتحم هؤلاء الكتاب غرفته الانيقة المزينة بلوحات جميلة ، وأصص الازهار ، والاوراق الملونة ، ورغم أنه شمر عن ساعديه بحماسة وأخذ يكتب بحميا للاذاعة مقطوعاته الرشيقة والحارة عن ، ولاهل ، بير وت ، إلا أنه أحيانا كان يمسح الكراسي والطاولات ، وينظف هذه الزاوية وذاك الركن بتأفف . . انه زعلان جدا من اليهود ، وإنه يشتم الانظمة بطريقة طريفة يصعب علي استذكارها الآن ، ياسين رفاعية يوكد دائما : أنا فلسطيني ، أمل جراح زوجتي فلسطينية الولادة والقصائد ، وأنا . . أنا ابن دمشق . . ولو . .

★★★

أما طاهر العدوان ، نائب مسؤول الاذاعة الجاد جدا ، فقد كان يصعد ويهبط ، وعرقه يزرب ، يحمل مسجلة ، يصغي لاذاعة ، يرد على كلمات اذاعة الكتائب ، يصفن ، يقف على الشرفة ، تلمع في ذهنه فكرة . . هذا العربي الفلسطيني ، هذا الشرق أردني الولادة ، الذي ينتمي الى غرب الاردن بالفكر والضمير نموذج للمكافح العربي الشهم .

★★★

أمجد ناصر ، الشرق أردني ، البدوي ، المتوتر ، الغاضب ، يأتي ويذهب ، ويكتب ، ويعد لنا الطعام ـ متبرعا ـ وهو دائما البيض والبطاطا ، ويا لها من وجبة عظيمة لا يدري روعتها الا الذي في الحصار .

لقد كتب أمجد كثيرا للاذاعة ، ولكنه كتب قصيدة صغيرة عن قلعة الشقيف وقد ظلت ببالي ، وستظل ، إنها جميلة ، حارة ، مدهشة ، بسيطة . أليس هذا هو الشعر ؟ لا فذلكة ولا رموز ، ولا مربعات فارغة .

★★★

وتم الانتقال الى بيت السيدة هند جوهرية في ساقية الجنزير ، وهذا أرحم من الصعود الى مكتب القدس برس .

لقد لعبت كثيرا بألعاب أطفال السيدة هند ، أبناء الشهيد هاني جوهرية ، المصور الفلسطيني الكبير ، الذي استشهد على قمة جبل صنين .

في ذلك البيت انضم الصحفي الصديق فيصل حوراني لاسرة صوت فلسطين ، وصار يكتب تعليقا يوميا ، يسجله في الغرفة ، بينما نحن نراقبه ، نبيل وأنا ، من وراء الزجاج . . ونبيل فقط يطلق التعليقات على وقار فيصل ، وتعليقاته على أقوال الصحف الصهيونية .

لقد نمت علاقة انسانية نبيلة بين الجميع . . من نبيل عمرو ، الى طاهر عدوان ، الى حنا مقبل ، وفيصل حوراني ، وميشيل النمري وأمجد ناصر ، والعزيزة علينا جميعا نعم فارس ، وسلوى العمد ، وغالب هلسا الذي أخذ يكتب في رمضان برنامجا تحت عنوان : سلي صيامك ، وهو عبارة عن حوارية تمثلها يوميا بعد الاذان المرحومة نعم والفنان أحمد . . ومرة واحدة كتبت حلقة للبرنامج .

هل نسيت أحدا من الذين كونوا أسرة الاذاعة ؟!! ربما . . فالمعذرة . .

حسن ، هذا أبو بشار ، يوسف عبد الحميد . . الصديق المناضل العريق ، ابن اللاذقية الذي لا يعاتب ، ولا يرغب في نيل ثواب عن حب فلسطين ، إنه يكتب للاذاعة ، يعمل تحت القصف ، لا تفتر همته ، لكنه غير راض عما يفعل . .

ملحوظة : لم أكتب عن حسن عصفور ، وفاروق وعدد من المحررين الشجعان والمبدعين بالتفصيل ، إنهم من قدماء المحررين والعاملين في الاذاعة . . وإنهم معروفون جيدا .

نعـــم . .

ذلـــك الصـــوت الجنـــوبي

لا ، لن تقـول الاذاعـة إلا ويأتي وجـه نعم البريء ،إلا وتأتي ابتسامتها التي تبعث الطمأنينة ، الا ويأتي صوتها النبيل وهو يحاور المقاتلين في المحاور .

كل مقـاتـل في بيروت يعـرف نعم . كل من كان يسمـع صوت الثـورة الفلسطينية يعرف نعم . . يعرفها شخصيا ، يعرف قلبها النظيف ، يعرف الجنوب ، يعرف النبطية ، يعرف البحر . . يعرف الشياح . في الشياح كانت تسكن ، رحل أهلها وظلت هي ، وفي كل ليلة ، ورغم القصف كانت تذهب وتعيش ـ ولا أقول تبيت مع أهلها ـ هناك في الشياح .

دائما تحمل مسجلة الناغرا في كتفها مستعدة في كل لحظة ، تحت الطائرات ، تحت قذائف المـدافـع ، وسـط الحـريق ، وهي تأتينـا بحـرارة روح المقاتلين ، وهم يطلبـون منهـا أنـاشيـد معينة ، وأغنيات معينة ، ويرسلون معها التحيات ، وكل ما يطمئن ، ونعم لا تكتفي أنها تمثل ، فهي تحب المسرح ، وقد لعبت أدوارا حكت لي عنها وسط الدوي الكاسح ، وهي تحلم بمسرحيات تؤديها أمام الناس ، وهي تحكي عن الجنوب وفلسطين وكل شيء ببساطة وبراءة وعفوية ، بلا تنظير . تقول : هذه بلادنا ، هذه أرضنا ، وعلينا أن نحررها

كنت أتساءل : ألا تتعب هذه البنت ؟

حقـا ، لقـد رأيت ، أوخيـل لي أنهـا تعبـة بعض الشيء ، أنهـا مرهقـة ، ولكنهـــا لا تشكو .

عيرنا راديو الكتائب ذات يوم بأنه لا يوجد في إذاعتنا سوى بنت واحدة ، وأن هذه البنت جنوبية . .

وعندما استشهدت نعم أذاعت سلوى ، وكأنها تواصل الدرب ، وجاءت فتاة سورية وأذاعت ، وفي الاذاعة وعلى مبعدة من الاستديو المتواضع ، الذي هو خزانة ، نعم ضلفات خزانة ، وفرشة إسفنج لمنع الصوت ، وباب مفتوح . . ومكان ضيق يدوب يتسع للمذيع و كانت تجلس الفتيات اللواتي يعملن على أجهزة اللاسلكي.

لقد سخرت نعم من صوت الكتائب ، وقالت : ـ أنا من هذه الأرض ، أنا بنت هذه البلاد ، أنا أنتمي لفلسطين ولزمنها العربي . .

ونعم أذاعت نشرات الإخبار ، وقدمت أجمل الحوارات مع المقاتلين ، و . . ارتجلت مع بعض الشباب برنامجا لتسلية أهل بيروت في رمضان .

ونعم استشهدت . .

جاء أهلها من الجنوب قبل رحيلنا ، وجلسوا مع عائلة الاذاعة في بيت الشهيد هاني جوهرية ، ولم يأخذوا غير المسجلة . . مسجلة نعم . قال والدها ووالدتها وإخوتها نعم ابنة الجنوب وابنة فلسطين ، هي أعطت شبابها ، ونحن من أجل دمها سنظل الاوفياء لفلسطين . .

و . . نحن ؟!!

نحن أسرة نعم ، ماذا سنفعل ؟

من أجل دمها . . ومن أجل عيون فلسطين التي أحبت . . سيظل صوتنا يسري في البرية . . حتى ينتهي الزمن الخراب ، الزمن الطائفي ، ويأتي الزمان العربي .

نهوض الروح

ـ من أين جاءت ؟ من البحر . .

ضربت دبابة ، و . . في لحظات انطلقت الصواريخ من السفوح ، تعرفها . . سفوح عرمون . . واحترقت الدبابات . و . . أسرنا واحدة . .

أدهم يحكي بحماس ، والسماء تلتهب بالرصاص . . انهم يزفّون ، احدى الدبابات البيضاء ، الأسيرة ، تحت أقدام المقاتل الفلسطيني . . في مخيم برج البراجنة .

سألني الصديق عبد الفتاح غانم وهو يبتسم :

ـ ما رأيك في هذا الطخ ؟

ـ أنا موافق بتحفظ . . أول مرة أوافق على إطلاق الرصاص في الهواء . . ولكني أتحفظ . .

بحرارة ؟!!

ـ لا . .

وكما وقفوا عند قمة الشقيف ، وقفوا عند الرشيدية ، ووقفوا طويلا في البساتين المحيطة بعين الحلوة ، و . . سيقفون طويلا جدا عند . . بوابات بيروت.

★★★

في لحظات وعلى عجل ، التقط بيغن مع سعد حداد صورا تذكارية ، ومضى الاثنان بعيدا عن قلعة الرعب ، القلعة المسكونة بالروح الفلسطينية . قال

بيغن للرائد الطائفي الخائن :
ـ أهديك الشقيف . .

وانتشى ، في الصورة ، بيغن هذا ، واكتست ملامحه بأساطير التوراة ، وأعلن رئيس أركانه إيتان :

ـ نحن نخوض الآن أشرس وأخطر حروبنا ، مع عدونا الذي نحاربه منذ مائة عام

يا لهذه الحرب الطويلة المريرة !!

الاسطورة تحارب الرمل والماء والقلاع والاشبال وبساتين صور وصيدا ، وبيوت النبطية المهجورة ، الاسطورة ، والوعد الالهي ـ المكتوب بلغة عبرية مشوبة بكلمات ألمانية وكنعانية وعربية ، ولغات كثيرة . . الوعد الالهي الذي ظل وهما ، فجاء وعد بلفور أقوى منه وأكثر فاعلية ، إنه بلغة انجليزية لها امبراطورية لا تغيب عنها الشمس .

الاسطورة تقاتل الفلاح الفلسطيني البسيط الذي لا يفهم لغة الكمبيوتر ، تحارب المقاتل اللبناني والفلسطيني بطائرات الاف ١٥ وزوارق شير بورغ ، وصواريخ أرض أرض وأرض جو ، ومدفعية ثقيلة بعيدة المدى لم يسبق أن استخدمت في الحروب العربية اليهودية .

ولكن ماذا والفلسطيني عنيد . . عنيد كما لا يخطر على بال الكمبيوتر ، ماذا والفلسطيني لا يعترف بوعد اله التوراة ، وبوعد الاله الانجليزي الذي غربت شمسه ؟!!

بيغن قدم القلعة للرائد الطائفي الخائن وحملته الهليوكبتر الامريكية ، وفي أيام قليلة اعترف الناطق العسكري الصهيوني بأن الفدائيين ـ المخربين ـ انقضوا على قوات المظلات في القلعة وحولها ، وأمطروها بنيران الرشاشات وقذائف الآر. بي . جي ، واعترف الناطق بأن هذا هو الهجوم السادس ـ للمخربين ـ على القلعة .

وجريدة عل همشمار قالت على لسان ضابط شارك في الهجوم على القلعة ، بأن هذا الموقع هو شؤم ، والضابط قال : لقد جرحت هناك .

وعل همشمار نشرت بعض أسماء الضباط الذين قتلوا هناك ومنهم :

العقيد الركن مائير لولي ، العقيد الركن بنحاس داود ، المقدم الركن مزراحي ، المقدم عباديا بوراق ، المقدم جوني هيك ، الرائد سلمون آخي ، الرائد عوفر مسلول .

وماذا يقول الضابط أيضا ، لعل همشمار ؟

ـ يجب أن نبكي على أفضل ضباطنا الذين ماتوا عند القلعة . .

★★★

ونحن في بيروت ارتفعت روحنا المعنوية مع هذه الأخبار ، وجاءت أخبار بلال قائد القطاع الاوسط ، أنا لم أر بلال ، كثيرون لا يعرفونه ، لكنه فخر الجنوب . من كل التنظيمات يتحدثون عنه ، عن شجاعته ، عن بطولاته في حرب الـ ١٩٧٨ عن علاقاته بأهل الجنوب ، عن استقامته وحبه للناس ، وحبهم له . . أغريب أن يكون بطلا بلال هذا ؟

الرائد بلال . .

احتل العدو الشقيف ، لكن الشقيف تهاجم ، لا تتوقف ، لا تعطي للعدو لحظة راحة ، كل يومين ثلاثة معركة ، اقتحام ، رفع للعلم الفلسطيني واللبناني .

تقدم العدو بسرعة ، لكن بلال ، وعشرات المقاتلين انتشروا في البساتين ، والعدو أمطر صور وصيدا بالمنشورات التي تطالب المواطنين بالتعاون ، ومع النساء والاشبال الذين عبروا الحصار ، جاءت الاخبار ، والمنشورات ، والرسائل و. . حملت التعليمات . . وأخذ العدو يغوص في الرمال اللبنانية ، ويكتوي بالنيران الفلسطينية اللبنانية .

★★★

خلدة ؟!!

أهي محور عسكري ؟

يقول العسكريون لا . غير ممكن . ومع ذلك يصمد المقاتلون هناك على الاسفلت الذاهب الى الجنوب ، على شاطىء البحر ، بين الأشجار ، خلف الصخور .

وجنرال من حلف الاطلسي يصرح : بعد اضطرار القوات الاسرائيلية للتوقف أمام محور خلدة يجب اعادة النظر في أسلحة الحلف وخططه . وبيروت تنتشي ببداية البطولة . . وعندما يهتز الوضع ، وتسوء الامور . . يتقدم العقيد عبد الله صيام .

لقد عرفت العقيد . انه رجل أسمر نحيل ، قصير ، له عينان صغيرتان ذكيتان . انه يذكرك ببدو بلادنا ، وهو قليل الكلام . عام ١٩٧٨ ، تصدى للزحف الصهيوني على الجنوب ، وفي صور تألق كقائد شجاع وفذ . وفي احدى المعارك ركض خلف دبابة صهيونية ، وقتل قائدها الذي قفز وفر منها بعد اصابتها . . بمسدسه .

قال لي العقيد أبو نضال حسن أبو لبده ، صديقه ورفيقه :

ربما لا تقدر مدى شجاعة العقيد عبد الله . . كنا معا في صور ، وعندما حاولت القوات الصهيونية التوضع ، اقترح ارسال عدد من المجموعات لضرب طوق حولها . . الآربيجيهات هي ما كان ينقصنا . . لم يكن يزاود ولا يناقص . دائما

يحمل دمه على راحته ، لا يقول لجنوده افعلوا . . يقول اتبعوني . . متواضع ، بسيط ، صارم .

★★★

العقيد في خلدة . .

قال : أريد بعض المقاتلين . .

وعندما علم المقاتلون بأن العقيد عبد الله صار قائدا لمحور خلدة ، اندفعوا بالعشرات ، ومن كل الفصائل .

وأصيب العقيد ، العقيد الصامد مع رجاله في خلده ، تحت قصف الطائرات ، والبوارج ، والمدفعية ، وأخذ ينزف . واقترح عليه المقاتلون أن يشتبكوا في معركة كبيرة تغطي نقله من أرض المعركة . . لأن جراحه خطيرة ، لكنه رفض . .

قال لي المقاتل أبو حجازي :

ـ العقيد استشهد .

كان ذلك يوم الثالث عشر من حزيران . .

ـ كيف ؟

قال :

ـ تقدمت أرتال المشاة والدبابات تحت قصف مدفعي كثيف ، عندئذ حمل العقيد بندقيته و. . واجههم . . ونحن خلفه . . لقد سقط في منتصف الشارع . . لم نستطع أن . . ولذا تركناه هناك . .

أبو حجازي مصاب في أنفه وذراعه . . ومع ذلك يشعر بالخجل . . يقول : يجب أن نعود لانقاذ جثة العقيد .

★★★

أبو عمار قال للقيادة العسكرية :

ـ افعلوا المستحيل وأنقذوا جثة العقيد .

واستشهد تسعة من أشجع الرجال ، لكن المنطقة التي استشهد فيها العقيد مكشوفة لنيران مدفعية ورشاشات العدو .

لقد سقط جسد العقيد ، ولكن روحه ظلت هناك ، وعجز العدو عن التقدم . .

حمل بيغن الى قلعة الشقيف ، وقدم القلعة هدية لسعد حداد والرائد ابتسم وانحنى ، وأعلن فرحه بضحكة فسيحة ، وبيغن استشهد بالمزامير وكل ما يحفظ من التوراة ، وبعد أن توقف دوران كاميرات التليفزيون وفلاشات الكاميرات العادية ، غرق بيغن في الذهول . لقد أعلن قائد حملته على الشقيف بأن خسائره فاقت المائتين بين قتيل وجريح وأن بينهم عدداً من الضباط ، وبصدق أرغم عليه ، قال الجنرال الصهيوني : ما رأيناه سنحتفظ به للتاريخ . . أما انا فلا أستطيع أن أكشف

شيئا . . لقد رأينا الجحيم في هذه القلعة .

وماذا كان فى تلك القلعة ؟

ثلاثة وثلاثون رجلا . وقائد الموقع الذي رأى كثافة الهجوم قال لرجاله :

ـ تعرفون بأننا سنقاتلهم هنا حتى الاستشهاد . لن يمروا إلا على جثثنا . .

قال الضابط الصهيوني :

ـ لن أنسى هذه المعركة ما حييت . .

وقال غيره من الجنرالات :

ـ لا . . هذه حرب لا تشبه غيرها ، كل الحروب السابقة سهلة . .

وظل الصهاينة بعد استيلائهم على القلعة في حالة رعب ، ولم يجرؤوا على الدخول الى الانفاق ، والغرف ، والمستودعات ، خوفا من الفدائيين . .

★★★

أما عين الحلوة ، أما مخيم البراكيات ، أما البيوت المتداعية والزواريب . . أما بتلك العظمة فحدث . .

هذا صوت الشبل على الجهاز ، يعلن :

ـ إنهم على مقربة أمتار منا عند مدخل المخيم ، كل الشباب راحوا لملاقاتهم ، أنا فقط هنا . . هي ، انتظروا لحظة . .

وراح الصوت ، وظلت ذبذبات الجهاز ، قلنا : مات الشبل يا شباب . وقلقنا على عين الحلوة ، وعلى الشبل ، وعلى أهلنا . .

وفجأة . .

نعم وفجأة . . جاء الصوت :

ـ . . دمرنا دبابتين . . حرقناهن بجنودهن . . صارن فحمة . . والدبابات الباقية هربت . . المعنويات فوق الريح ، في السما .

في اليوم الاول لاندفاعهم الكثيف ، وصل الصهاينة الى صور وصيدا ، وحاصروا قلعة الشقيف . لقد اندفعوا عبر القوات الدولية وسيثبت أن الجنرال كلاهان أبلغ بالهجوم ، وأنه ، وهذه أقل التهم : خان الشرف العسكري ، وخان قرارات الامم المتحدة .

لقد التقيت بالاستاذ سمير صنبر ـ وهو الذي ترجم كتاب الثورة لمناحيم بيغن قبل أكثر من عشرين سنة ـ وهو الناطق الاعلامي لقوات الامم المتحدة في لبنان ، وقد أكد لي هذا الامر ، وأبعد من ذلك ، فقد رفع الاستاذ صنبر دعوى اتهام لكلاهان أمام الامين العام للامم المتحدة .

كان الصهاينة قد أحكموا الطوق حول بيروت عندما التقيت بالاستاذ صنبر أمام فندق الكومودور . سألته عن انطباعات الصحفيين الاجانب عن الحرب فقال

لي :

ـ قبل قليل فرغت من مقابلة مع صحفي أمريكي جاء الى بيروت عن طريق تل أبيب . وقد جاء هذا الصحفي لاجراء حوار حول اتهاماتي لكلاهان ، وبعد المقابلة التي دامت ساعة ونصف ، قلت له أريد أن أسألك سؤالا واحدا : ما هو انطباعك عن هذه الحرب ؟

فأجاب :

ـ التقيت بعدد كبير من الجنرالات الاسرائيليين . انطباعي أنهم أصيبوا بما يشبه حالة انفصام . لقد اعتادوا على حروب نظيفة . . حروب بتعب قليل ودم قليل وخسائر قليلة . ينقضون ، يخترقون ، ثم . . ينتصرون . إنهم في حالة ذهول ، لماذا ؟ يتقدمون ثم فجأة قذيفة مضاد . . واذا الدبابة الجبارة التي ثمنها ملايين الدولارات تتحول الى كتلة نار . . الى لا شيء . ومن الذي أحرقها ؟ انسان متواضع الامكانيات ، لم يدرس في الاكاديميات ، لم يخض الحروب ، لا يحمل رتبة جنرال . . أقول لك . . بعد الحرب ستظهر نتائج رهيبة عندهم .

وعلق الاستاذ صنبر : هذا الصحفي الاميركي غير محايد ، انه معهم . . لكنه رأى .

★★★

اندفعوا ؟ نعم . اخترقوا ؟ نعم . حاصروا ؟ نعم . انهارت عزائم وأعصاب ضباط لا يستحقون شرف الانتماء الى شعبنا ؟؟ هذا صحيح . ولكن . . في الشقيف كان مجد المقاتل الفلسطيني والعربي ، في صيدا ، في عين الحلوة بالضبط ، كان مجد المخيم الفلسطيني ، في الرشيدية كان مجد أشبالنا الذين قاتلوا حتى انتهت ذخيرتهم ، فرفعوا العلم الفلسطيني وتقدموا بكبرياء . . وقد أدى لهم الضابط الصهيوني التحية ، وأعلن بأنه لا يفهم شيئا . حسن . هؤلاء ليسوا جيوشا أعدت للاستعراضات ، هؤلاء يحملون الهم الحضاري لانساننا ولذا لا يهمهم الكمبيوتر ، ولا تطحن روحهم الدبابات الاميركية .

نعم ! إنه نهوض الروح ، ولا مجال للمقارنة بين طائرات العدو وبوارجه ودباباته وصواريخه وهليوكبتراته التي تنقل الدبابات . . وبين قوة الروح .

★★★

الذين هربوا من ملاقاة العدو ، حملوا عارهم معهم ولن يهربوا منه ، لا مجال لاختفائهم . ان الاحتقار يغرقهم . . وإذا ذكرت أسماؤهم فإنها تستحق كلمة واحدة : جبان ، أو كلمة واحدة أخرى : خائن . ولنسم الامور بأسمائها ، وهؤلاء ، وهم قلة اعتادوا على الادعاء ، والسرقة ، والتعالي ، تصرفوا كضباط كبار في جيوشنا سيئة السمعة . . ولذا هربوا وسقطوا . . لقد كبرت أرصدتهم ، وصغرت كرامتهم ، وتلاشى شرفهم .

نعم انها قوة الروح . .

وإذا صعقتنا أخبار الاختراقات والزحف الصهيوني ، فقد أججت أرواحنا ، في بيروت ، بشائر المعركة التاريخية المهيبة في الشقيف ، عين الحلوة ، الرشيدية .

وإذا كان قد لاذ بالفرار ، من وهبوا مواقع لا يستحقونها ، فقد شمخت أسماء العقيد عبد الله صيام ، والمقدم بلال وعشرات غيرهم .

★★★

إن الصهاينة اعتادوا الحروب السريعة ، النظيفة ، ومن ثم التقاط الصور التذكارية ، صور الانتصارات السهلة . . فقد اندفعوا ، حاصروا المخيمات في الجنوب ، قطعوا الطرق . . و . . بسرعة . . الى بيروت .

وعند بوابات بيروت وقفوا . .

هنا خلده .

وفي خلده دارت المعارك .

وفي إحداها فوجىء الشباب ، قال لي أدهم :

ـ تقدمت دبابات بيضاء حلوة ـ يا ألله شو حلوة ـ سريعة ـ يا الله شو سريعة ـ وفوجئنا بها على الاسفلت باتجاه بيروت ، وبسرعة . . إنها أسرع دبابات رأيتها في حياتي .

ولكنها أحرقت و . . . دمرت ، ولم ينجح الاختراق السريع . . إنها بيروت هذه التي تقف في وجوهكم .

إنهم يطعنوننا في الظهر

الى مصائبك لا يلتفت
ذلك الأخ الطاغي
اللآلئ

إختفت الرينجروفرات والمارسيدسات . تلاشى المرافقون . .
أين قيادات المصادفة ؟
لا أحد منهم هنا ، وهم الذين حرمونا من الراحة والنوم وتنفس الهواء النظيف . .أبواق سيارات ، ودوي أبواب سياراتهم ، وضجيج مرافقيهم ، وخرطشة الاسلحة إمعانا في الأبهة ، والغبار الذي كان يخنقنا في الصيف ، والوحل الذي يتطاير من حولهم لهول السرعة في الشتاء ، فأين هم الآن ؟
إنهم في شقق بعيدة ، في الحمراء ، والحرب تمتد من الجنوب حتى الفاكهاني ، والفاكهاني هو شارعنا الاخير ، فمن يدافع عنه ، من يرفع المتاريس لاغلاقه في وجه الغزاة ، من يصمد ويحمل دمه على كفه ؟

ذهبت الى بعض الامكنة في الحمراء فملأني الخجل . في بناية الساردلا ، رأيت عشرات الاشخاص ينامون كأنهم سردين . . ولو ، وأين المرجلات والادعاء .. أين الفشر والكلام الكبير ، أين الشعارات التي أطلقتموها في كل اتجاه ، ورسمتموها على كل حائط وجدار ؟!!

قال عبد الفتاح غانم :

ـ يجب أن نطلق عليهم النار ، هؤلاء الذين ينشرون الجبن في كل مكان . الاطفال والشيوخ والنساء لا يجدون أمكنة وهؤلاء يشغلون الشقق الآمنة والملاجىء .

★★★

مر أسبوع على الحرب ، سبعة أيام والطائرات تلقي صواريخها ، والبوارج تقذف بحممها ، والمدافع التي لم تستعمل من قبل في أي مكان من العالم تحرق كل ما هو أمامها ، مدافع عيار ٢٠٣ ملم . الله خلق العالم في ستة أيام . . وفي اليوم السابع استراح ، والتوراة تقول ، ولذا فهو يوم السبت ، ويوم السبت ، الخامس من حزيران لم يكن رب الجنود في حالة راحة . كان يحصي مدافعه ، ويعد صواريخه ، ويجهز طائراته . . وكلها أمريكية ، جديدة ، مرسلة خصيصا للفلسطينيين واللبنانيين . . والرب ، يهوه ، الذي لم يستمتع بسبت الخامس من حزيران ، لم يلتقط أنفاسه في الثاني عشر من حزيران .

الاخوة لم يأتوا للنجدة ، كل شيء صامت في بلاد العرب . العواصم تنتظر ، تراقب ، وبعضها يشارك ، أقسم أمام جلال هذا الجحيم أن بعضها يشارك ، يمول الحرب ، وأن بعضها على علم . . و . . أن بعضها قد تمكن من تدمير أرواح الناس وإلغاء عقولهم ، فما عادوا قادرين على التحرك أو فتح الافواه .

سبعة أيام ، ومع ذلك تحرك بطيء للاصدقاء . . بطيء جدا . ولو . . أهكذا ؟!! إن المرارة في قلوبنا لا توصف . صحيح أننا لا نخوض معركة الآخرين ، وأننا نخوض معركة وطننا ، ولكن ، ومع ذلك ، فنحن نخوض معركة هي معركة الاهل و . . الاصدقاء ، ان التحرك البطيء بعد أسبوع من الجحيم لا يفرح .

★★★

ذهبت الى جارنا ، صاحب الدكان العجوز، قلت له :

ـ أريد شمعا . .

قدم لي رزمة شمع أحمر فابتسمت ، وقلت له :

ـ أريد شمعا أبيض

قال الرجل :

ـ لكنه شمع .

قلت له :

ـ أنا زعلان من الاحمر .

ولم يفهم ،
قال :
ـ هذا صناعة أجنبية . انه جيد ، و . .
قلت له :
ـ أريد شمعا محليا . . و . . لو غير جيد . .
وكي لا أتعبه أخذت رزمة الشمع ومضيت ، ولكن الشباب الذين كانوا يتجمعون عند الدكان ، روجوا هذه الطرفة ، وفي المساء كانت تتردد في الشارع الاخير ، في الفاكهاني : شمع أحمر بدناش . .
و . . ندمت لقد قصدت مداعبة البائع ، فاذا بالمزاج العام يتلقفها . .
إنهم ليسوا أعداء ، أولئك الذين حملوا طرفة الشمع وداروا بها ، وأوصلوها ، حتى الى دمشق . . و . . اليمن .

★★★

يوم الخامس عشر من حزيران بلغت الاربعين وأمس التقيت بالصديق ياسين رفاعية ، الذي كتب مقالة صغيرة للنهار عن أعمالي القصصية القصيرة التي صدرت في مجلد .
وفي نفس اليوم ، وعندما كان دوي القصف يرج بيروت ، كنت أتناول وجبة هامة في القدس برس مع الاصدقاء وهي جبن وبندورة وزيتون . . وقد فاجأتني الصديقة ريموندا بقطع من الكاتو . .
وفي ذلك اليوم التقيت بالدكتور ماهر الشريف الذي علق على أناقتي ، والذي دهش عندما أخبرته بأن هذا اليوم هو عيد ميلادي . . فأعلن وهو يضحك :
ـ إذن عمرا مديدا . . لك . . ولي . اليوم ، أيضا ، عيد ميلادي . .
وأضاف :
ـ هل قرأت ما كتبته صحيفة عل همشمار الصهيونية ؟ لقد كتبت ما يثير الذهول عن مخيم عين الحلوة ، عن بطولات المخيم الصغير أمام جبروت القوات المهاجمة .

★★★

المصور أحمد الاسعد مذهول مما فعله معه الكتائبيون في الشرقية .
قال :
ـ أخذوا الكاميرا ، وفتحوها ، وأخرجوا الفيلم وعرضوه للشمس . . أخذوا الافلام وفردوها . . وهكذا خربوا كل ما فعلت . اليهود . . الجنود اليهود لم يعترضوا على التصوير ، لكن الكتائبيين . . غريب . . انهم . . والله إنهم أسفل من جنود اليهود . . شيء مش معقول .
أما حنا فقد انقهر ، إنه يريد صور اليهود بين أصدقائهم وحلفائهم .

★★★

لقد رأينا صور قوات الصهاينة في جريدة النهار ، رأينا الاستقبالات ، رأينا

كتائبية تقدم قرنفلة لجندي صهيوني بدلال وغنج . هذه هي الطوائف ، وهي لا تنتمي للوطن ، ولا تؤمن بالامة ، وعلى الفلسطيني أن يدفع الثمن . . فما دام يدافع عن الامة ، فليدفع للطوائف ثمن انتمائه ، وما دام يحمل عبء فلسطين ، فانه بدمه ولحمه سيدفع ثمن عصور كاملة من أزمنة الانحطاط .

★★★

أحمد المصور اللبناني ، الذي يعمل في القدس برس ، يريد لكاميرته أن تكون شاهدا ، لكن الكتائبيين قالوا له :

ـ أنت لبناني ، أنت من الغربية . . ما تحكي ولا كلمة . . لا تفتح فمك وإلا . . ووضعوا الرشاش في وجهه . . فعاد مذهولا . .

ماذا كنت تتوقع يا أحمد من الكتائبيين ، من أناس ينتمون الى زمن طائفي ، ويباهون بتحالفهم مع اليهود ؟!!

لقد قالت المسيحية الفلسطينية التي عاشت هناك في الشرقية لسنين طويلة ، والتي كانت زوجة للبناني ماروني :

ـ يقولون ، هناك في الشرقية ، اذا كان المسيح فلسطينيا فلسنا نريده ، ويستاهل أن يصلب ، مسيحنا بعين واحدة ، ويقصدون بالمسيح ذي العين الواحدة : موشي ديان .

فماذا تنتظر يا أحمد . . اللبناني ، يا أحمد . . الفلسطيني ، يا أحمد العربي ؟!!

★★★

يتساءل الناس :

ـ ولكن أين الصواريخ المضادة للطائرات ؟

لكن الرشاشات تعمل وبعضها من رشاشات الحرب العالمية الثانية .

قال أبو طارق في برج البراجنة :

ـ الذخيرة السوداء غير جيدة .

وأبو طارق يجلس على مقعد الـ ١٣٧ ويلاحق الطائرات . إن طلقاته تتفجر تحت الطائرات التي تحلق على ارتفاع عال ، ومدفعه مشهور في كل منطقة برج البراجنة والمطار . إنه يقظ طيلة النهار والليل ، وهو ينام قليلا ، وفي أوقات الراحة ، أي عندما لا تأتي الطائرات ، ينظف مدفعه ، ويعد الذخيرة ، وكلما حضرنا لزيارته يطلب ذخيرة صفراء لأنها كثر فاعلية .

★★★

أعترف بأن الحالة رديئة ، وأن مزاج الناس كئيب وحزين .
لقد بدأت حرب التفجيرات الداخلية ، وهذا جزء من خطة الصهاينة والكتائب والمكتب الثاني ، وكل العملاء .
يوم الرابع عشر من حزيران وقع انفجار في ساقية الجنزير . لقد تضررت بعض المباني ، وأصيب عدد من المواطنين بجراح . . هذه حربهم . تخريب وتفجيرات وحرب إشاعات داخل بيروت ، وقصف متواصل من القوات الصهيونية

لقد أدى وقف إطلاق النار الى حالة استرخاء ، وها نحن قد بدأنا ندفع الثمن ، ولسنا ندري ما يحدث في آتيات الايام ، خاصة وقوات العدو الصهيوني قد صارت في بعبدا ، والمناطق الشرقية . . أي أنهم أكملوا حصار بيروت !
أصيب أحمد عويس في خلده . إخترقت الرصاصة صدره ، لكنه لم يمت ، وأحمد ليس مقاتلا محترفا ، لكنه فجأة قدم نفسه كرامي آربيجي .
ـ كيف يا أحمد صرت رامي بي سفن ؟
ضحك أحمد ، أحمد النحيل ، الفتي ، أحمد الذي يعمل في المراسلات ، القليل الكلام ، وقال :
ـ بصراحة كذبت عليهم . أنا ما بعرفش شو هو الآربيجي قبل هيك . لكن أخذت فكرة من المقاتلين . . بعدين رحت لخلده ، واشتبكت مع دبابات العدو . . و. . دمرت دبابة . . ولما ضربت الثانية أصبت ، مش عارف إذا أصبت الثانية . . الشباب قالوا إنها دمرت .
وأحمد يبتسم وهو يقول :
ـ باعتقد مش عيب الكذب في مثل هيك وضع ، إنه كذب أبيض .
و. . أحمد يلف يده ، ويضع قطعة شاش صغيرة على جرحه في صدره ، و. . يعود لقاذف ال ب سفن وهو مندهش من إعجابي الشديد به ، ومن كتابتي عنه في جريدة المعركة . . فيما بعد .

★★★

هذا هو أحمد عويس ، أحد أبطال خلده . . هذا هو أحد الذين قاتلوا مع البطل العقيد عبد الله صيام ، فماذا فعل الصهاينة بعد هزائمهم المتكررة في خلده ؟ أرسلوا قواتهم الى الجبل ، ومن هناك تقدمت القوات العدوة الى الشرقية . . الى قصر بعبدا حيث سركيس ، وبطرس ، و. . بشير الجميل . . ووالده بيير . وهنا تنشأ أسئلة :
ـ كيف لم تحدث مواجهة في الجبل للقوات الصهيونية ؟ ولماذا تعرض المقاتلون الفلسطينيون للرصاص عندما تقدموا عبر قرى الجبل لمواجهة العدو ؟
إنني أفكر بالقائد الكبير كمال جنبلاط . ترى لو انه على قيد الحياة أكان

يحدث الذي حدث في الجبل ؟
أنا غير مقتنع بالمبررات التي أتت من الجبل .

★★★

قلت للذين يذهبون لحضور اجتماعات القيادة الفلسطينية :
ـ الصهاينة يعبرون الجبل . . إنهم يستديرون من الظهر لاحكام الطوق . أقترح خروج بعض القيادات الفلسطينية مع عدد من المقاتلين الى الجبل . إن فتح معركة بقواتنا من داخل بيروت وخارجها يعني كسر الطوق ، هناك خطر من بقاء كل القيادة الفلسطينية في بيروت . إذهبوا وقدموا هذا الاقتراح .
فماذا حدث ؟
إقترح العميد سعد صايل خروج الاخ أبوعمار والاخ أبوجهاد وبعض القيادات ، على أن يبقى هو في بيروت ومعه عدد من الضباط ، و. . ساد الصمت . .
رفض أبوعمار الاقتراح ، وحبذ خروج بعض القادة ، لكن . . القادة . . رفضوا ، كي لا يتهموا بالجبن ، والهرب .
أخبرني الذين حضروا الاجتماع بما جرى ، وقالوا :
ـ في مثل هيك جو لا نستطيع أن نقدم اقتراحنا حتى لا نتهم بأننا نفكر في الهرب .
قلت :
ـ هذه العقلية المزاودة تدل على أن العقل ملغى ، على أن الناس يفكرون في سمعتهم الشخصية ، وليس في كيفية المبادرة والرد على خطط العدو . أنا لست قائدا عسكريا ، ولست قائدا سياسيا ، ولكنني أجتهد ، وسيأتي اليوم الذي نندم فيه ـ ولات ساعة مندم . إنني أتساءل :
ـ لماذا تنحشر الثورة كلها في بيروت ؟!!

★★★

لم يفقد بعض القادة أعصابهم ، لم يفقدوا روح المبادرة ، ولذا بدىء بتحصين بيروت . والتحصين بسيط جدا ، أكياس من الرمل في واجهات البنايات ، أكوام من الرمل عند مفارق الطرق ، وفي مداخل بعض الشوارع الهامة ، الحفر استعدادا لزرع الالغام . لقد أشاعت هذه الاعمال البسيطة حيوية وحماسة في أرواح الناس ، الجرافات تهدر ليل نهار ، الشاحنات تنقل الرمل من شاطىء البحر ، أكوام الاكياس ترتفع . .
لقد علمت أن العميد سعد صايل أبو الوليد يقف وراء عملية التحصين .
والعميد أبو الوليد هو جاري في بناية دار الراحاب ، إننا نسكن متجاورين في الدور السادس ، والعميد يعيش حياة بسيطة ، انه مما يؤلم حقا أن بعض أبنائه بكم

..والابن الصغير مدهش في وسامته ، وطفولته وبراءته . . و . . لكنه أبكم .

في بنـايـة دار الراحاب مكاتب للجبهة الشعبية ، فيها مكتب للحكيم جورج حبش ، وفيها مكتب لصامد ، وبيوت لعدد من مسؤولي جبهة التحرير الفلسطينية ، بالاضـافـة الى العميـد أبو الوليد ، وأبو عيسى أمين عام حزب الشعب الاردني . إنها بناية تستحق القصف . ومع ذلك فهي للآن لم تقصف . . ومع ذلك ، ورغم مضي أكثر من أسبوع على الحرب ، فأنا ما زلت أنام فيها . . لقد هجرت البناية ، وبقي الصديق أبو ساجي في الدور السابع و. . أنا . لقد ألححت على الصديقين أبو ساجي ومحمـد غانم ، يوم وصـولي الى بير وت ، مسـاء اليـوم الاول للحـرب ، أن يرحلا أسرتيهما الى دمشق ، إنني رأيت بأن الحرب ستصل الى بير وت . . حتما . حتى الآن قصف الصهاينة كلية الهندسة ، لاعتقادهم أن غرفة العمليات في أدوارها الارضية ، ومقر أبو عمار قرب المدينة الرياضية ، و. . لم يقصفوا دار الراحاب . .

★★★

التقيت بنضال الذي أصيب في أنفه . وقلت له :

ـ إنهم يركزون على الانوف . .

قال :

ـ فشروا . . أنوفنا قاسية عنيدة . .

ثم مضى الى موقعه ، عند السفارة الكويتية . وفي المساء أرسل لي خبرا بأنه التقى الملازم نصر ابن عمي الذي وصل مع كتيبة من قوات بدر ، وتلقى محمد غانم برقية من أحد المواقع في الجبل بأن شقيقه خليل وابنه وصلا مع القوات القادمة من الاردن .

لقد فرحنا بالقادمين . .

فعلا . . ما حك جلدك غير ظفرك . . وما بيحن على العود غير قشره .

من يمكن أن يهب لنجدتنا غير أهلنا ؟!!

★★★

يقول محيي الدين صبحي الناقد السوري :

ـ الفلسطينيون لا دولة لهم ، واللبنانيون انحلت دولتهم ، لذا يقاتل الشعبان دفاعا عن الامة . يحملان السلاح ، ويأخذان دورهما . .

وريموندا تقول :

ـ التقى المسلمون والمسيحيون وصلوا معا ، وقرعوا الاجراس .

سألتها :

ـ أين حدث ذلك ؟

قالت :

ـ في أميركا . .

إنني أحلم بهذا ، ومنـذ سنـين بعيدة ، أحلم بأن تكون روح الامة أقوى من

عقد الطوائف .

سألني محيي الدين :

- بماذا تفكر ؟

الطائرات في سماء بيروت ، ودوي القصف والمدافع المضادة يرج بيروت . .

- بكمال جنبلاط ، بالرجل الذي ارتفع عن عقلية الطوائف ، فحقق لنفسه الدور والمكانة التي استحقها . . لقد ترك فراغا يستغله الآن الطائفيون ، خاصة وأن الاحزاب أحزاب طوائف . .

لقد وصل اليهود الى ظهورنا عبر الطائفية . .

وانظر الآن ماذا يحدث في الجبل . إنهم يقتتلون ، وإن دوي المدافع يأتي من الجبل الى سمع بيروت .

ترى أليس هذا هو جوهر الصراع ، أقصد أن فلسطين هي هم الامة ، وأن الطوائف لا تريد للامة أن تكون ، ولكنها تريد مصالحها التي هي مصالح أفراد أو عائلات أو ورثة ؟

أي هم على شعبنا أن يحمله ، وأي عذاب علينا أن نكابده ، وكم هو الدم الذي يجب أن ننزفه كي نغسل روح الامة وعقلها من أمراض الطائفية وتخلفها ؟!!

شمـــوع الاحـــزان

نعم بيروت حزينـة . بيروت غاضبـة . كانت عاتبـة في البداية ، ثم ذهلت لكلام الاذاعات العربية ، وتمزق قلبها وهي ترى اليهود يعبرون الجبل بلا معارك .

بيروت أنتهـا التصـريحات الشامتة من مسؤولين عرب يصفون الحسابات مع بعضهم على حساب دم الفلسطينيين واللبنانيين . لا أمل في هـؤلاء السفهاء .

المـاء شحيـح . الكهـربـاء تأتي قليـلا . مولـدات الكهـربـاء تهدر في بعض البنـايـات . لقـد راجت تجارة الشمع ، والاضواء اليدوية الصغيرة التي بحجم قلم الحـبر ، والمصـابيـح الغـازيـة . . وفي الليـل ، في الظـلام الكثيف يمتزج الدخان بالظلام ، وتتأجج النيران في البراميل . إنهم يحرقون الوثائق والاضابير والاسماء ، وكل ما يتعلق بالعمل التنظيمي .

انني أقف على شرفة بيتي ، ويصلني الدخان فأشعر بالغضب ، وأتساءل : ولكن لماذا يتم الاحـراق بهذه الطـريقـة التي تيئس النـاس ، وتشعـرهم بأن اليهـود قادمون ؟

حاولت أكثـر من مرة مع عدد من الاصـدقـاء لفت انتباه المسؤولين الى خطورة هذه التصرفات ، وفشلنا .

إن أجهزة الامن هي التي تحرق ، أجهزة أمن كل التنظيمات . يا إلهي ما أكثر أجهزة الامن ؟

بينما كانت النيران تتأجج في البراميل وحولها الأمنيون كان المقاتلون يتجولون في الشوارع مشيا على الاقدام أو في سياراتهم وهم يغنون للثورة وبيروت .

أعترف بأنني في هذا اليوم السادس عشر من حزيران **أصبت** بحالة كآبة ، فكرت في تصريحات ريغن التي أعلن فيها عن قلقه من عمليات للكوماندوس الصهاينة في بيروت ، وتساءلت عن الاحتياطات ، ولم أطمئن . إن ثقتي في أمن تنظيماتنا ضعيفة ، وعندي مبررات لعدم الثقة هذه . لا شك أننا مخترقون ، وأننا محاطون بعملاء للمكتب الثاني ، للكتائب ، للصهاينة ، للاميركان . .

اذا وجهت ضربة لنا ، وقتل أحد القادة ستكون نكبة نفسية للمواطنين .

القوات الصهيونية تقصف بالطيران ، وتحتل وتحاصر ، وريغن يعرب عن قلقه من عمليات كوماندوس ، وأميركا تستهتر بالاتحاد السوفييتي عندما تقول بأنها ليست مع انسحاب قوات الغزو من لبنان .

ألا يتسبب كل هذا في كآبة ثقيلة على قلوب أهل بيروت ؟

وكأنما هذا لا يكفي . . ان كآبتك تثقل وأنت ترى عشرات الاشخاص يتسربون الى الملاجيء ، أو يرتمون على الارصفة في الظل دون أن يفعلوا شيئا .

صحيح أن كآبتك تخف وأنت ترى السيارات والبلدوزرات والرجال يحفرون ، وينقلون أكياس الرمل ، ويحصنون الشوارع والمحاور ، ولكنك تمتلىء بالغل بسبب هؤلاء السفهاء الذين أصبح اليهود على بعد مئات الامتار منهم ، ومع ذلك لا يتحركون ، لا يؤدون دورا . .

وأنت ترى أحيانا على شرفات بعض البيوت من يلعب الورق أو يلعب طاولة الزهر ، أو يجلس بالبيجاما ويتناول إفطاره . . ثم . . عندما تشتعل . . الى الحمراء . .

ما هؤلاء الناس ؟!!

انني في تلك اللحظات ، لحظات الحزن والهم والكآبة تذكرت فتاة أحببتها في أريحا ، وتساءلت : ولكن كيف تذكرتها ؟ حسن ، في لحظات الموت لا شك أننا نحتمي بالحب ، بالحلم ، انه حب فاشل ؛ ولكن ؛ تلك الفتاة جاءتني وأنا بين اليقظة والنوم . إنها رقيقة ، حنونة ، في عينيها حزن وتساؤل . .

إنني أحتمي بالحب والحلم من بشاعة كل ما يجري ، وماذا للفلسطيني غير الحب و . . الحلم ؟!!

عندما فتحت عيني رأيت الشموع في شبابيك الشقق المقابلة والمجاورة ، رأيت الشموع في كل نوافذ بيروت . رأيت البحر مضاء قليلا ، ورأيت . . بيروت شمعة . . شمعة تضيء وترتعش . . تضيء وتظل تضيء رغم كل ما يحيط بها من ظلام .

الانقضاض

من اذاعة صوت فلسطين يأتي جواب المقدم واصف عريقات أبورعد قائد المدفعيه في الجنوب .

ـ قاتلناهم في صيدا ، وقبل أن ننسحب دمرنا مدافعنا التي لم نستطيع سحبها . كنا دائما نحلم أن نلتقي بدبابة صهيونيه . . اليوم هيهم عندنا . طريقنا عمليات الذئاب ، يعني الانقضاض عليهم وجاءت أغنية : بدي أظلني ماشي . .

لم ينسحب المقدم واصف عريقات أبو رعدالى البقاع . لقد جاء الى بيروت إنه تأكد من أن العدو الصهيوني يريد بيروت .

في مقر الاتحاد ، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ؛ جلست وحدي .. كنت أفكر في الانقضاض وليس رد الفعل ، في دور أقلامنا الآن ، في أهمية كلماتنا . جاء غانم ومعين ـ محاسب الاتحاد ـ فذهبنا الى مقر مجلة الكرمل في الروشة ، قبالة البحر ، ولم نجد محمود درويش ومعين بسيسو هناك ، جلسنا أمام البناية ، فجاء حنا مقبل الذي اقترح أن نذهب الى القدس برس . . التقينا بعبد

القادر ياسين والاستاذ منح الصلح ، فدار بيننا حديث حول المعركة وحصار بير وت والقتال في الجنوب وثغراته ، والصمود في بعض المواقع .

قال منح الصلح :

ـ القتال وقع في المواقع التي تتواجد فيها المقاومة ، أما مناطق الحركة الوطنية التي لاتتواجد فيها المقاومة فلم يحدث فيها قتال .

وبينما كنا ننخرط في الحوار حول هذه النقطة ، رن جرس التلفون ، وإذا بأم ثائر زوجة حنا تتكلم من الكويت .

قالت بأن ألوف المتطوعين العرب في الكويت وأغلبهم مصريون يتدفقون على مكتب المنظمة ، ونقلت لنا بعض ما تكتبه الصحف ، أما إبنة حنا سلام فقد قالت : أصمدوا ، كل الدنيا معكم .

★★★

مي صايغ ، الشاعرة الفلسطينية ، والامينة العامة لاتحاد المرأة الفلسطينية تحاول أن تعمل شيئا ، ومي لها حضورها الفلسطيني ، فهي حادية القافلة ، من عمان ، الى دمشق ، الى بير وت ، إنها صديقة ورفيقة وأخت للكثير ين منا ، وهي تبدو بحزنها أحيانا كأنها تحمل أحزاننا وعذاباتنا وآلامنا جميعا .

تقول : العمل غير مجد ، هذا العمل لا يعجبني ، لكنها وإلحق مع غيرها في إتحاد المرأة يقمن بعمل هام ، إن تقديم العون لالوف الاسر المنكوبة والمشردة والجائعة عمل مجد ، ومجد جدا ، ولكن هذا الشعور بالتقصير ، أو عدم القيام بدور إستثنائي هو هاجس الذين يخافوُن على شعبهم وثورتهم ، والذين أعطوا حياتهم نهائيا لوطنهم .

إنني أرى مئات الناس أمام بناية الانتاج الحيواني حيث مكتب اللجنة التي تقدم العون للناس ، صحيح أن المشهد موجع ، ولكن لابد من أن يقف الناس بالدور ، ولابد أن يقدموا الادلة والاثباتات ، ولا بد أن يتحملوا شمس حزيران ودوي الطائرات التي تقصف والقذائف التي تتفجر . . .

علمت بأن لجنة تشكلت من نايف حواتمة وأبوالوليد ، وأبو إياد ، لمقابلة الوزان بقصد الحوار حول دخول الجيش للغربية . وأخبر ني طلعت بأن أسلحة كثيرة نقلت من منطقة الناعمة الى . . . فلسطين المحتلة لقد هرب المسؤول عن تلك المستودعات ، بينما واجبه ، إذا لم يتمكن من نقلها ، أن يفجرها قبل وصول العدو .

لقد حدثت أمور كهذا في الجنوب ولكن أيضا ، هناك أبطال فجروا مدافعهم ودباباتهم ، وهناك قادة شجعان سيطروا على أعصابهم وتمكنوا مع مقاتليهم أن يجروا أسلحتهم الثقيلة عبر دروب وعرة . . . ووصلوا بها الى الجبل ، والى البقاع ، وهؤلاء القادة قاتلوا ببسالة . . وعندما اضطروا للانسحاب انسحبوا بانضباط وشجاعة .

لقد لام أحد القادة ، في اجتماع للقيادة المشتركة "المرابطون" لانهم اشتبكوا مع

القـوات الصهيـونيـة التي تحاصـر بير وت ووصف هذه الاشتبـاكـات بأنها عمليات قشرة ، وطالب بعمليات في العمق . أي عمق والعدو يقف وجها لوجه ؟

يا للمنظرين العميقين !!

إنني أشهـد بأن روح المـرابطون ومن خلال معرفتي العميقة بقيادتهم ، خاصة الاخ إبـراهيم قليـلات هي روح انقضـاض ، روح اشتباك ، روح هجوم . . . لكن الـذين يريـدون عمليـات في العمق ، وراء خطـوط العـدو، لا يوضحون لماذا يجب علينا من داخل بير وت أن نقوم بهذه العمليات ، بينما ألوف المقاتلين مازالوا في عاليه وبحمدون ؟!!

أيها الكتاب والصحفيون أطلقوا نيرانكم الثقيلة

إنني أتساءل عن دورنا نحن الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، نحن الكتاب العرب في بيروت ، نحن الشعراء والفنانين.

وإنني أرى بأن هذاهو أوان الامتحان العسير إمتحان أقلامنا وكلماتنا ، ودورنا.

ذهبت الى الروشة ، الى بيت معين محاسب الاتحاد ، وأخذت منه مفتاح الاتحاد ، إنه قلق على اخوته وأهله في صيدا ، ولكنه يتحدث بحماس عن أبوعمار الذي دار على الكمائن والمواقع في الروشه ، والذي كان يمازح الناس ويداعب الاشبال ، عدت وفتحت الاتحاد وجلست أفكر ، وفي وقت قصير التقينا أنا وحنا وأحمد أبومطر، وعزمنا على الاتصال بالكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، لدعوتهم لاجتماع في مقر الاتحاد.

ويوم السادس عشر من حزيران عقدنا اجتماعنا في القاعة الصغيرة ، واقترح الاخ أبو حاتم مسؤول العلاقات الخارجية لحركة فتح أن ننتقل لنجتمع في مكتبه ، لأن البناء هناك أكثر أمنا وسعة .

لقد تحاورنا وتناقشنا طويلا ، وقدمت اقتراحات كثيرة .

جلس بعض الكتاب والصحفيين صامتين وحزينين وأطلق عدد قليل من الحضور كلماته اليائسة والمثبطة للهمم ، ولكن أكثر الحضور كانوا مع العمل .

إقترحنا دعم الاذاعة ، كتابة يافطات وشعارات على الحيطان ، تحضير ملصقات بسيطة جرائد حائط في الشوارع ، إذاعات محلية ، اقترحنا أن نذهب الى المواقع المتقدمة .

★★★

أعترف بأن الحساسيات موجودة ، إننا نلتقي لحماية ثورتنا وشعبنا ، للدفاع عن بيروت التي أعطتنا الكثير ، ولكن لكل حساباته ، ولكل فلسطينه . لي فلسطيني التي أحلم بها إبداعا ، دورا حضاريا ، شعبنا له دور في التاريخ لايشبهه دور ، إنه يعيش قضية لاتشبهها قضية ، وعذابا لا يشبهه عذاب . حسن ، نجتمع بعد غد . . واجتمعنا في الثامن عشر من حزيران .

الظلمة تغرق كل شيء ، لكن الشموع تلتمع في النوافذ . وبعض الشقق فيها كهرباء من مولدات تهدر في الليل ، في لحظات سكوت المدافع .

وقفت أمام الاتحاد ، معي بيل صغير ، وكلما حضر أحد الكتاب والصحفيين أدله على مكتب العلاقات الخارجية .

عندما ذهبت الى مكان اللقاء ، رأيت حشدا لا بأس به ، فوجئت بالحوار المتوتر . انسحب نزيه أبو نضال لان الكلام لم يعجبه . والحق . . الحق أقول بأن الكلام كان تافها ، وأن الذين قالوه يفكرون في الربح والخسارة ، يظنون بأنه يوجد هناك من يريد أن يكسب على حسابهم ، على حساب مواقعهم . . ولكن أية مواقع ، وأية حسابات الآن يا عالم ؟ .

قال حنا مقبل :

ـ أيام السلم لكم ، الآن ، في زمن الحرب ، نريد أن نشتغل .

وأحد الكتاب تمسخر على قرارات الاجتماع السابق . حسن ، ماذا تريد ؟ هات ما عندك .

رغم هذا الجو المشحون ، اتخذت قرارات هامة ، في مقدمتها إصدار بيان صغير يؤيد قرار القيادة بالقتال ، و . . إصدار جريدة من صفحتين باسم المعركة تصدر مساء ، زيارة المقاتلين في المحاور . عندئذ علق أحدهم : هذه سياحة ، ولم أستطع أن أضحك .

قد أقبلوا فلا مساومة

على صفحات المعركة التقت الاقلام العربية ، التقى الكتاب والصحفيون مع الصحفيين والشعراء والفنانين المصريين . . مع الكتاب والصحفيين السوريين . . والعراقيين واللبنانيين والاردنيين .

وأمام البحر ، أمام الزوارق والبوارج الصهيونية ، في كراكاس في مركز التوزيع التابع لمركز الابحاث ولدت جريدة المعركة ، التي صدر عددها الاول يوم الثاني والعشرين من حزيران .

كنا على الشرفة ، فقال زياد عبد الفتاح :

ـ سنصدر أعدادا كثيرة من المعركة ، لذا علينا أن نطور كل عدد جديد عن الذي سبقه .

قال أحد الصحفيين :

ـ بس انطلع سبع أعداد . . نعمه . . اليهود على بعد أمتار .

وقال الكتاب والصحفيون المومنون بشعبهم ومقاتليه :

ـ سنصدر ستين عددا . . ونراهن على ذلك . نعم ، سنصمد شهرين وأكثر .

وعلى الصفحة الاولى كتب : نشرة تصدر عن الكتاب والصحفيين اللبنانيين والفلسطينيين والعرب في بيروت .

وعلى الصفحة الاولى وضع مقطع من شعر أراغون شاعر المقاومة الفرنسية :

اللعنة على المحتل . .
ليدوي الرصاص تحت نوافذه
يمزق قلبه الرعب .

وبهدوء ، وبلا خلافات ، تشكلت هيئة تحرير المعركة ، وعلى مدار الاعداد الستين ، وطيلة شهرين من صدور المعركة ، كتب واقترح وحاور من أجل تطوير المعركة ، وتوزيعها ، وجعلها حارة وفاعلة ، عبد المنعم القصاص الصحفي المصري الكبير ، الذي أخرج أغلب أعداد المعركة ، حنا مقبل ، الذي أبدع في كتابة المحرر السياسي ودوزنة المانشيتات الحارة ، والشاعر عز الدين المناصرة الذي تسلم مهام سكرتير التحرير فترة ، وواصل الكتابة طيلة صدور المعركة ، والشاعر معين بسيسو الذي ثبتنا بيتا من شعره على صدر المعركة منذ عددها الخامس :

قد أقبلوا فلا مساومة . .

المجد للمقاومة . .

والذي كان يكتب زاوية ثابتة تحت عنوان : متاريس .

والدكتور أحمد أبو مطر الذي تسلم مهمة سكرتير التحرير بعد الشاعر عز الدين المناصرة ، وعدلي فخري ، الفنان المغني الذي كان يذهب للغناء للمقاتلين وللجرحى وللمهجرين في مواقعهم ، ومستشفياتهم وتجمعاتهم ، والذي أسهم كتابة وتحمل عبء تصحيح الجريدة .

ورشاد أبو شاور ، و. . زياد عبد الفتاح الذي كان يشرف على مطبخ الجريدة ويلاحق ويتابع .

لم يقل لمحمود قدري بأنه من هيئة التحرير ، ولكن محمود قدري كان يذهب الى مواقع القتال المتقدمة ، وقد تعرض للخطر أكثر من مرة ، وربما لم يقل لحيدر حيدر القاص السوري بأنه من هيئة التحرير ، لكنه كان من هيئة التحرير . إنه في كل اجتماع وهو يكتب يوميا تقريبا .

لقد تابع عماد حليم الخطاط السوري والصحفي إخراج جريدة المعركة بعد سفر الاستاذ عبد المنعم القصاص .

أما زين العابدين فؤاد ، فقد كان إما في الاذاعة أو في المعركة ، أو في إحتفال .

ان هؤلاء وغيرهم قد جعلوا من المعركة جريدة كل بيروت ، مهما كانت الانتماءات ، وأقلامهم الشجاعة هي التي جعلت المعركة زادا يوميا لاهل بيروت ، وأعطت للكلمة مجدها .

لا بد هنا من أن أتذكر ، دائما ، وباحترام بلا حدود أولئك الشجعان الذين كانوا يوزعون المعركة والذين كانوا يوصلونها الى أخطر المواقع أقصد موزعي الجريدة . لقد تعرضوا للموت مرارا ، إختر ق الرصاص السيارات التي كانوا يذهبون بها الى حيث يجب أن تصل المعركة إنهم جنود مجهولون ، لكن فعلهم غير مجهول .

ترى ألم أنس أسماء كتاب أسهموا في المعركة . . لا . . لا أنسى محمود درويش ، وافتتاحية العدد الاول ، ولا أنسى مقالته الشهيرة :

لاننســـى ، لانغفـر ، لانســامح .
لا أنسى صالـح قلاب وحمـاسته ، وإحضاره للصور من جريدة السفير . . واقتراحاته الفاعلة ، ولا أنسى جليل حيدر الشاعر العراقي ، الذي كان يحمل السلاح ويلبس الكاكي ويكتب الشعر ، ولا أنسى سليمان شفيق ومحمد هويدي وحلمي سالم ، وإسهامات غالب هلسه ونزيه أبو نضال ، رغم انشغالهما وجهدهما في الاذاعة و. . طبعا ، لا أنسى مقالات الاستاذ عبد القادر ياسين وحواراته لتطوير المعركة .

★★★

كل يوم كنا نجتمع في الساعة الثانيةعشرةفي كراكاس . نلتقي حنامقبل وأحمد أبو مطر وأنا في القدس برس ، أوفي الاذاعة ونذهب معا ، وأحيانا كثيرة يكون صديقنا ياسين رفاعيه ، الذي ارهقناه هووزوجته الشاعرة الصديقة أمل جراح بمشاركتهم طعامهم القليل .

قبل العاشرة نكون في الاذاعة ، أنا أسجل برنامجي كلامنا بلدي ، الذي اوقعه باسم إبن كنعان وحنا لتقديم عدد من التعليقات وياسين رفاعيه لتقديم خواطره وقصائده النثرية .

في كل يوم نلتقي من الثانيةعشرةحتى الثانية تقريبا ، رغم القصف ، وتحليق الطائرات ، وقصفها لمواقع قريبة ، غيرنا مكان اجتماعنا بعد إصابة البناية ، فصرنا نجتمع في بيت الفنان عدلي فخري . . أين ؟ على بعد خمسة عشر مترا فقط ، وبعد أيام ، ولاننا شعرنا بالحرج من جيران عدلي عدنا الى مقرنا السابق .

★★★

مرات كثيرة أتساءل : لماذا لم تكن هذه الروح تسود الحوار بيننا ؟ لماذا توجه الاتهامات من الواحد لرفيقه في الهم والكتابة والمعاناة . . ولماذا الآن نتقاسم كل شيء ، وبكل هذا الصفاء .

لم يحدد من هورئيس تحرير المعركة ، ولكن أحدا لم يعترض على إدارة زياد عبد الفتاح للاجتماعات ، ولا على اتصالاته بالاخ القائد العام أبو عمار باسم هيئة التحرير ، لم يحدث خلاف هام على خط الجريدة ، ولا على ما يكتبه المحرر السياسي حنا مقبل ، أو الافتتاحيات التي يكتبها زياد عبد الفتاح ، إننا نعمل معا كأسرة ، إننا معا نفكر ، ومعا نكتب ، وهذا هو المازوت قد شح في المطبعة ، فما العمل ؟ المعركة يجب أن تصدر . . بهذا الاصرار ذهبنا الى الاصدقاء ، الى البنايات . . ونقلنا المازوت من خزانات التدفئة . . وصدرت المعركة .

نعم قد أقبلوا فلا مساومة . .

نعم المجد للمقاومة . .

المجد للروح . . الروح التي تصهرنا معا . . وتبدعنا معا . . وبها ولها نبدع .

أشياء صغيرة

ليلة السابع عشر من حزيران لم نذق النوم . أعد أبو الرائد قلاية بندورة باللحمة ولجوعنا طيلة النهار أكلنا بشراهة ، ومعدتي الحساسة جدا لم ترحمني . ذات يوم قبل عشرين سنة قال لي الدكتور احمدالقلا :

ـ عندك مشكلة ، وهي أن معدتك حساسة جدا، وهي تحتاج أن تكون لمواطن يحترمها يحنو عليها ، فلا يطعمها فولا ومكدوسا وفلافل وقد استمر سوء التفاهم بيني وبين تلك المعدة الحساسة .

أغمضت عيني قليلا ، بعد سهرة على ضوء الشموع في بيت أبو الرائد ، ولكن كل شيء إرتج ، الراجمات ، يا لدويها الرهيب ، يا لتلاحق قذائفها العنيد، وتفجرت قذائف مدافع اليهود في الفاكهاني وصبرا وشاتيلا ، وطريق المزرعة وأبو شاكر حيث بيت أبو الرائد وضربت الشظايا جدران البناء ، قال لي ابو الرائد :

ـ الهجوم شرس ، يبدو أنهم يحاولون شيئا ، هؤلاء اليهود .

ذهبنا الى العمليات، بعض الشباب ينامون في أسرتهم العسكرية ، أبو الجاسم يتمدد بكامل ملابسه وبحذائه العسكري ، إنه يفتح عينيه وينظر الى السقف ، وعندما يضحك لطرفة يطلقها أحدنا يرتج كله ، يضحك بطريقة مذهلة ، إنه يتحول الى شجرة تهتز.أحضر أبو نعمان الخليلي الشاي ، يا له من شاي ، إنه أطيب شاي شربته منذ أشهر .

أبو نعمان من مدينة الخليل ، هادىء بسيط طيب ، يبتسم ولا يضحك ، وفي عينيه شرود أحيانا ، وهو خدوم لرفاقه ، حضر محمد غانم وأبو ساجي ، وعلقت النكت والطرائف على الخليل ، على قرى الخليل ، على علاقة أهل مدينة الخليل بريف الخليل ، وتذكرنا النكت التي كان يرويها لنا زيتونة فلسطين وشاعرها أبو سلمى عن حماقات الخلايله .

ثم . . وصلت المساخر الى أبو نعمان يقول أبو فراس ـ وهو مقاتل ومدفعي شجاع ـ بأن أبو نعمان يحوش ألوف الليرات ويحولها الى دنانير أردنيه ، وأنه يضعها في كيس يربطه بالضبط . . عند . . بين فخذيه ، وأبو نعمان يبتسم ويعلق بلهجته الخليلية الطريفة :

ـ بدنا نتجوز يا خالي ، بدنا نجيب صبيان وبنات ، وأبو فراس يناكفه

ـ وإذا إجتك قذيفه ورحت فيها شو بتكون استفدت . . ولك يا أبو نعمان هات هالمصاري نصرفهن على حالنا . . وزعها عن روحك .

جاء عبد الفتاح غانم ، فسألناه عن القوات الايرانية ، قلت بدءا من هذا الفجر أقترح تسمية الرفيق عبد الفتاح بعبد الفتاح الايراني أما أبو الرائد فاعترض واقترح أن يكون الاسم : اية الله روح الله عبد الفتاح ، وبجدية تامة ، حسم عبد الفتاح الامر ، فقال :

ـ أنتم حشاشون . .

لقد علق أحد المقاتلين

ـ يارفيق . . العرب مش نافعين تينفعونا الايرانيين .

وعندما تطلعت الى وجوه ورؤوس وأجسام الرجال النائمين في الأسرة ، والذين أرهقوا في الايام الماضية ، رأيت بينهم الفلسطيني واللبناني والسوري والعراقي و. . الباكستاني نعم الباكستاني ، وهو لم يأت مرتزقا ، لقد جاء مكافحا من أجل فلسطين ، دينيا وحضاريا ، إنه ليس من طوابير البنغال الذين جلبوا بطريقة غير سليمة .

هناك عرب لا ينفعون . . . وهناك عرب ينفعون . أليست بيروت عربية . . .

وأهلها أليسوا عربا ؟!!

وقلت : لا يجب أن نقع في اليأس ، إن مشروع فهد وفاس هو من يحاربنا اليوم . . .

وتساءلت

ـ لماذا لا يجتمع الملوك والروساء

بسام الباكستاني ، مسؤول عن بعض المستودعات يعمل ليل نهار ، يتحدث الانكليزية بطلاقة ، والعربية بشكل جيد يؤمن بفلسطين إنسانيا وحضاريا و. . إسلاميا ، وهو غير متعصب يحترم كثيرا ذوالفقار علي بوتو وأيام محاكمات علي بوتو

ذهب بسام كثيرا الى السفارة وأعلن موقفه وانحيازه لحزبة الباكستان في مواجهة العسكري الانقلابي الحاكم هناك ضياء الحق .

لقد استشهد بسام ، وكنت اتفقت وإياه على جلسات حوار حول القضية . كان حزينا لضحالة وعي بعض مسؤ ولي المصادفة أولئك الذين لا يعرفون عن وطنهم عشر ما يعرفه بسام الباكستاني . . .

لقد استشهد بسام بحادث سير في الفاكهاني . . وهذا ما أحزننا ولوعنا عليه .

★★★

في السابعة صباحا ، من يوم السابع عشر أعلنت إذاعة صوت فلسطين بأن الكفاح المسلح أعدم ثلاثة لانهم قاموا بالسطو المسلح . .

حسن ، الحزم مطلوب . . ولكن . . أما كان الاجدى أن يكون هذا الحزم منذ البداية و . . على كافة المستويات . . من تحت لفوق . . ومن فوق لتحت ؟!!

★★★

إنني أدور في شوارع الفاكهاني وأبوشاكر ، فأرى أكداس الزبالة والذباب يطن فوقها ، والديدان تنغل داخلها ، هناك أكوام زبالة تشتعل فيها نيران بطيئة بسبب رطوبتها ، ترى لماذا لا يتم نقل الزبالة ؟ انه التقصير . . نعم ، انه التقصير .

انتشار الزبالة وتكدسها في الشوارع يهدد بالاوبئة . . وهذه الاوبئة أخطر من الصهاينة الذين يحاصرون نصف بيروت . . النصف الوطني العربي . . وأخطر من عملاء الكتائب والمكتب الثاني ، وأخطر من الذين يفجرون السيارات .

★★★

رأيت أحد رجال الاطفاء يجلس على كرسي صغير ويسند ظهره الى الجدار . حيّيته فرد بحزن . . في المرآب تقف السيارات الحمراء العملاقة . . ورجال الاطفاء الشرفاء والشجعان يجلسون بقربها ، أو ينامون داخلها . .

لقد أدى هؤلاء الرجال الشرفاء والشجعان دورا بطوليا ووطنيا لا أظن أن بيروت ستنساه ، فحيثما نشب حريق اندفعوا لاطفائه تحت القصف ، ورغم الطائرات الصهيونية التي تحلق في السماء ، والقذائف

التي تتفجر في الشوارع والطرقات . .

رغم الانزعاج الشديد الذي كان يتسبب به صوت سيارات الاطفاء لي ولبعض الجيران فان شعورا بالاحترام كان ينمو كل يوم ، من كل بيروت ، لهؤلاء الجنود المجهولين كأفراد ، كأسماء ، المعروفين كقيمة وطنية واجتماعية . .

لكن الماء لم يعد متوفرا ، ولذا توقفت سيارات الاطفاء عن الذهاب الى حيث تنشب الحرائق . . ورغم خطورة موقع الاطفائية ، ورغم نضوب الماء ، فقد ظل هؤلاء الابطال في مكان عملهم بانتظار حل أزمة الماء لمواصلة دورهم الوطني . .

الماء . . الماء . . بيروت بدأت تعطش . الانابيب تفجرت ، المياه تتدفق تحت جسر الكولا ، ولا أحد يصلح هذه الماسورة . أخبر في أحد الاصدقاء بأن اللجنة الامنية اتخذت قرارا باصلاح الماسورة . . ولكن لم يتم اصلاح الماسورة . .

الاسلاك . . أسلاك الهواتف ، شبكات هواتف المقاومة ، وأسلاك الكهرباء مقطعة ومرمية على الارصفة وفي الشوارع .

الازهار تذبل في أصصها على الشرفات ، ومع ذلك فان رائحة الياسمين تملأ بعض الشوارع . من أين تأتي هذه الرائحة ؟! أيمكن أن يعطى الياسمين كل هذه الرائحة وهو يموت ؟

الكلاب خائفة ، الكلاب تتراكض في الشوارع بلا اتجاه عندما يبدأ القصف المدفعي . .

المقاتل أبو عنتر نائم في مدخل البناية ، يلتف ببطانية ، ويلف رأسه بكوفية مرقطة ، وحوله صناديق الذخيرة . أبو عنتر الشجاع أصيب أكثر من مرة برصاص الكتائب . . لكنه لم يمت . .

رأيت المقاتلة غادة ، هذه الفتاة التي تكتب تحقيقات صحفية رشيقة وذكية ، والتي رفضت البقاء في جريدة القاعدة وذهبت الى الجنوب وعاشت ثلاث سنوات مع المقاتلين . انني لا أعرف اسمها الحقيقي ، ولكنني أعرف بأنها سورية من منطقة اللاذقية . إنها نحيلة وضئيلة الحجم ، ولكنها فتاة صلبة الروح ، ومؤمنة ، وواعية ، عندما بدأ القصف الصباحي ألححت عليها في النزول الى الملجأ . . وكعادتي واصلت المشي في الشوارع .

بشير الجميل على شاشة التليفزيون ، كيف يمكن تفسير هذا الشخص وفهمه دون قراءة تاريخ الطائفية وأمراضها وعقدها في بلادنا ؟ ولد بلا قيم ولا عقل . . إنه يدعو الذين يتدلعون للكف عن الدلع ، وعن الهرقة ومعناها الغنج . . إنه فخور باليهود . . وممتلىء بالفخر لوجودهم في الشرقية ، وهو يرى بأن الموازين ، موازين القسوة اختلت . . ولهذا فهو يدعو الجميع للرضوخ لشروطه .

نحن محاصرون بأحقاد الطوائف ، وبالصهاينة وبفشل الدعوات لاجتماعات القمة ووزراء الخارجية ، وتفاهة الدعوات لارسال تبرعات . .

إننا ندفع ثمن خروج أمة من أزمنة انحطاط ، وما دمنا قد انتدبنا أنفسنا لهذا الهم الجليل . . فلنتحمل هذا الجحيم .

★★★

فيليب حبيب صرح بأن الطقس كويس . هذا ما جاء في نشرة الثامنة . جنبلاط حضر من الجبل بسيارة السفارة الاميركية ورفض التعليق على المفاوضات .

في التليفزيون تركيز واضح على السيد صائب سلام . . المرتاح جدا . . والذي ظهر على الشاشة مرتين .

في الحادية عشرة والنصف بثوا كلمة أبو عمار من الاذاعة فاذا بالقصف يبدأ . . لقد ظن اليهود بأن أبو عمار يتكلم على الهواء مباشرة .

★★★

إننا نتساءل : لماذا لا يشتعل الجبل ؟!! ومهلة ال ٤٨ ساعة أهي هدنة أم انها إنذار ؟!

★★★

قرأت تصريحات السيد وليد جنبلاط في السفير . إنه يحمل نفسه

مسؤولية ما حدث في الجبل ، ويستنكر طعن الطائفة الدرزية في عروبتها وإسلاميتها . .

عندما صرت في مدخل البناية ، استوقفني مقاتلو الجبهة الشعبية ، وسألوني :

- ماذا ستفعلون بنا ؟

رددت عليهم :

- ومن أنا يا رفاق ؟!!

قالوا :

- أنت كاتب . . يجب أن تفضح كل ما يجري ، فنحن لا نعرف ماذا يدور ، ما هي المفاوضات . . هل صحيح سنخرج في سيارات إسعاف وتحت راية الصليب الاحمر ؟ . .

- لا لن نخرج في سيارات إسعاف ، لن نخرج في سيارات الصليب الاحمر ، لن نترك سلاحنا ونغادر بيروت برايات بيضاء . . أنا أثق . . فلا تهتموا بالشائعات . . لا براديو الكتائب ، ولا بإيحاءات فيليب حبيب ، ولا بالتفاهات التي يطبقها زعماء محليون .

★★★

في المساء عرفت ما هي الشروط الاميركية الصهيونية التي نقلها الوزان الى القيادة الفلسطينية . .

★ سحب السلاح .

★ الانكفاء للمخيمات .

★ خروج بعض القادة في سيارات عليها أعلام بيضاء بواسطة الجيش اللبناني ، تمر بين القوات الصهيونية التي تحاصر بيروت .

ورئيس الوزراء السوزان قالها بوضوح : لا ضمانات لدي ، ولذا فهو ينصح بالحذر .

فماذا كان رد القيادة الفلسطينية ؟ القتال . . القتال ، لا قبول بهذه الشروط .

جاء علي عزيز من محور البحر ، وأخبرنا بأن أبو جهاد زارهم وأبلغهم بقرار القتال ، وبتوفير كل ما يلزم لصمود المقاتلين في المحاور .

★★★

قال أبو اياد للقيادة الفلسطينية بأن أحد المطلعين حضر من المنطقة الشرقية وأخبره بأن الجيش يريد تجريدنا من السلاح ، ثم أخذنا في سيارات عليها أعلام بيضاء ، وفي الطريق تنقض كمائن الكتائب واليهود وتذبح المنسحبين كالخراف ، وقال رأيه : القتال هو شرفنا .

ولاذاعة مونت كارلو أعطى أبو إياد تصريحات حامية ، وعن رأيه بموقف سورية قال : أكلت يوم أكل الثور الابيض .

نعم ، رغم الحـزن ، ها هي روح القتـال تنهض وبعـد مرور أسبـوعـين تقـريباً على القتال . . أسبوعين على الصمت والتصريحات التافهة والاذاعات التي تواصل بث برامجها أو تطلق التعليقات الشامتة .

★★★

اليهـود يحاصـروننا في بيروت ، ويريدون لنا الانتحار . الانتحار استسلاما ، أو الانتحار على طريقتهم في مسادا ، أي أن نقتل أطفالنا ونسـاءنـا ، ثم يقتـل واحـدنـا الاخـر . . هكذا فعلوا عندما حاصرهم الرومان في مسادا . . في مسادا أساطيرهم وأوهامهم وهواجسهم المرضية .

نحن الحياة رغم كل هذا الحصار ، إننا نحاصر عقيدتهم الصهيونية المنحطة في العالم كله . .

إن بطولتهم تقف الآن عارية ، زائفة ، إنها عقيدة القتل والدمار والجبن . . إنهـا تسقـط في مواجهة الفلسطينية التي تعـبر عن روح "الامة" كلها ، على أرض لبنان العربي . .

إنهم الانتحار وإننا الحياة . .

إنهم الخراب وإننا الدور الحضاري الجـبار ، المشرق والانساني . .

إننا نقاتلهم . . من الجنوب . . الى الجبل ، رغم كل الذي جرى هناك . . إلى بيروت . . بيروت . . مجد القتال . .

ومـا دام مخيم عين الحلوة يقـاتـل حتى الان . . فهـل تستسلم بيروت لفيليب حبيب . . و. . بيغن . . وتهديدات ريغن الصريحة ؟!!

أبناء بيروت .

يجب ألا تتمادى الآلهة في تعذيب
الشعب ، لان الشعب لن يهلك ولـه
ديمومة الحياة . .

الالهة عناة
للاله ايـــل
من التراث الكنعاني
الحقيقة لا تتجزأ
الكاهن إيلي ميلكو
الكنعاني

هذه هي بيروت التي قيل فيها ما قيل .
هذه بيروت سيـــدة البحـر ، بيروت الـزمـان ، التي رأى فيهـا بعض الـزوار العرب مدينة للمتع تبيع كل شيء . .
هذه بيروت التي لا تقـع في الكبـاريهـات ، والتي لا يمتلكهـا السماسـرة والقوادون ، وباعة كل شيء .
هذه بيروت الـكنعـانيـة العـربيـة الجميلة ، بيروت الشيـاح ، بيروت الاوزاعي ، بيروت راس بيروت ، بيروت البسطـة ، بيروت أبـو شاكر ، بيروت أبي حيدر . . بيروت النساء النبيلات والرجال الشرفاء ، الذين دفعوا ثمن عروبة لبنان وفلسطينية لبنان .

هذا هو وجهها الذي لم يعرفه الباعة والمشترون . . .

هذه بيروت وطن كل الذين يحلمون بحياة شريفة .

في البناية التي قبالة البناية التي أسكن إحدى شققها شقة لمنظمة المونتينرو الارجنتينية ، والجيش الاحمر الياباني، الحركة الثورية الكردية ، حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح ، بيروت ليست كباريهات ، بيروت ليست بنوكا بيروت ليست وكرا للجواسيس ، بيروت ليست أرضا للطوائف التي تنتمي لكل ماهو عدو للامة ، بيروت هي الصامدة ، المقاتلة ، النبيلة . . .

★★★

هذه هي أم احمد ؛ واحمد ومحمد إسمان شائعان في بيروت ، وأم احمد إمرأة بيروتية أنجبت أبناء كثيرين ، واحد منهم يتاجر بالدواجن قرب الملعب البلدي ، والباقون يعملون في الكراجات ، أو يدرسون في الجامعات والمدارس .

أم احمد نشيطة وشجاعة ، إنها تتاجر بالملابس ، ولذا فهي تذهب الى اليابان وتعقد الصفقات ، وفي لحظات القصف تولول أم احمد وتعلن بلا توقف بأن روحها ستفارقها لشدة خوفها ، وتلح على أبنائها أن يحضروا السيارة كي تغادر الفاكهاني الى الحمرا ، لكنها تماطل ولا تغادر ، تقول بأن القصف ربما يتوقف بعد قليل .

كنا نقعد على درج البناية ، ووراء متراس الرمل الضخم ، وأم احمد تركض من المطبخ الى الغرف ، الى المستودع . إنها تعد الشاي وتحضر القهوه ، وتطبخ . .

وكل هذا من أجل المقاتلين الذين يقيمون في البناية ، و. . الذين أمثالي يحضرون لتناول وجبة ساخنة . . .

مرات كثيرة ذهبت أنا وصديقي الشاعر عز الدين المناصرة وتناولنا الغداء على الدرج . . .

أم احمد تردد ولا تمل بأنها ستغادر الفاكهاني ، الروح غالية ، لكنها لم تغادر . . وأم احمد يأكل من تحت يديها عشرات المقاتلين والمواطنين . . . وهي سعيدة بهذا العمل ، إنها لاتصدق بأنها تستحق كل هذا الاعجاب منا ، وعندما قلت لها أنت بطلة ضحكت كثيرا .

أم بشارة فلسطينية .

أم بشارة من القدس ، وهي تعيش في بيروت منذ زمن بعيد ، أولادها في أميركا ، تعرفت بها عندما نقلت الاذاعة الى فردان .

في الشقة المقابلة للشقة التي نلتقي بها ، ونكتب بها كل يوم . . تسكن أم بشارة وحيدة .

في كل صباح تطل علينا بابتسامتها ، إن وجهها وطن . . إنها أم حقيقية ، تشير لنا بوقار جميل ، فنذهب إليها ، ونأكل الزيت والزعتر وقطع الجبن والخبز الساخن ونشرب الشاي الرائع الذي تحضره في إبريق صيني أنيق ، إن نظافة روح هذه الام السيدة تشع في كل زاوية من زوايا بيتها .

لقد نظمت هذه السيدة الجليلة العلاقة بين الفرن وسكان شارعها . . وأسهمت في حل مشكلة المياه . لقد تم إحضار موتور لسحب المياه الى البنايات ، فشرب الناس ونظفوا بيوتهم ، واستحموا وفرحت أم بشارة . ذات يوم إتصل بها أبناؤها من أميركا فدار بينها وبينهم حوار مذهل . قالوا لها

- غادري بيروت إلى قبرص ، وهناك سنكون بانتظارك لنأخذك إلى أميركا .

فماذا قالت لهم ؟

- إذا كنتم تبحثون لكم عن أم فابحثوا عن غيري . . . لي أبناء هنا يحتاجونني . . ولذا سأبقى معهم . .

إن أم بشارة هي أم لنبيل عمرو . . وأم لي . . وأم لحنا مقبل الذي تعرف بها واكتشف أنه قريبها ، وأن قطعة أرض ما زالت تنتظر في بيت حنينا . وقطعة الارض هذه هي للمرحوم أبو بشارة . .

عند أم بشارة كنا نلتقي ، نتجمع إذا جاءت الطائرات ، إن شقة الاذاعة معروفة . . وإن الاخ القائد العام يتردد عليها .

وعندما كنا نتأخر في مغادرة الشقة كانت أم بشارة تنادينا بإلحاح من البناية المقابلة ، وعندها التقينا بجيرانها اللبنانيين ، البيروتيين والجنوبيين .

ولست أنسى تلك السيدة الجنوبية التي كانت تمزج دائما في أحاديثها المؤمنة بين الامام علي والامام الحسين وبين الفدائي الذي يفدي بدمه القدس وفلسطين و. . بيروت والجنوب . .

أم بشارة ابتسامة لاتشبهها ابتسامة أم

إنها فرحة بتبنيها لنا ، فرحة بحبنا لها ، فرحة ببطولات أبنائها . . فرحة بالاذاعة . . بالمذيعين . . وفخورة .

جنين تأتي أحيانا لزيارة التيتا ؛ أم بشارة . وجنين تعمل في وكالة وفا ولا تغادرها تقريبا رغم القصف المتواصل على المكان قرب دوار الكولا .

★★★

يدهشني باعة الخضار والفواكه . وخاصة الذين هم محلات على رصيف طريق المزرعة . . القذائف تتساقط وتحفر الاسفلت ، تدمر البنايات التي قبالة البحر ، ومع ذلك يواصلون البيع . وما يدهشني أكثر ، أنهم حين تنفذ بضائعهم يظلون جالسين وراء الواح الخشب التي لم يعد عليها حبة

فاكهة واحدة . . .
لقد عرفت فيما بعد ، أن تجار الخضار والفاكهة أخذوا يرشون حواجز الكتائب وحواجز اليهود . . ولكن اليهود يأخذون دولارات . . طبعا وهل كان كيانهم كله سيصمد بلا دولارات ؟!!
وبالليرات اللبنانية وبالدولارات تمر سيارات الخضار والفواكه عن الحواجز رغم المنع . . إلى بيروت الغربية . . .
أليست هذه هي قوة الحياة وإرادتها ؟!!
إن الالة الاميركية والصهيونية قادرة على ارسال البوارج والطائرات واطلاق الصواريخ . . . ولكنها لاتعرف أنه في بيروت توجد أم احمد . وأم بشارة . . و . . . ما لا تفهمه الكمبيوترات .

أمام مستشفى البربير ، وراء متراس رملي هائل تتمترس دبابتان ت ٣٤ للمرابطون إنهما تشتبكان كل يوم تقريبا ، رغم تحليق الطائرات وقصفها لهما . . . وطبعا عدم اصابتهما إن أحد قادة هذا الموقع الهام الذي يسيطر على طريق المتحف . . هو بائع خضار . . وفي مرات كثيرة تراه يترك بسطته ويأخذ في إعطاء الأوامر . . وهو يمزج أوامره بشتائم بيروتية لا تخطر على بال . . . فما رأي الآلهة الاميركية . . . والاساطير الصهيونية التوراتية ؟!!
لقد إنفجر مدفع إحدى الدبابتين . . لكن ال [ت ٣٤] الثانية مازالت تقاتل . . مازالت تشتبك .
فتيات وفتيان الدفاع المدني مدهشون إنهم شباب جميلون ناعمون . . إنهم يركضون بنقالاتهم في شوارع وأزقة بيروت لانقاذ الجرحى ولنقل الشهداء ، ولازاحة الانقاض وهم جميعا متطوعون . . . ومن أبناء حارات وأحياء بيروت .
ترى هل توقعت الهة الفولاذ والقتل والخراب والدمار الاميركية والصهيونية ماذا سيفعل هؤلاء الشباب ؟
أينما ذهبت تراهم بكماماتهم البيضاء حول أنوفهم وأفواههم ، وقد اندفعوا عبر النار لانقاذ اخوتهم اللبنانيين والفلسطينيين . . .
والهة الموت والدمار والقتل لم تتوقع ماستفعله جريدة النداء وما ستؤديه من دور جبار ، ومن نشر للحماسة واليقين بحتمية الانتصار ، لم تتوقع تلك الالهة مقالات الرجل الرائع والمفكر الجليل حسين مروة . . ولم تتوقع الافتتاحيات والمانشيتات التي تلهم الناس وتحمسهم .
وأكيد أن تلك الآلهة لاتتوقع أن تظل مئذنة جامع القائد المعلم جمال عبد

الناصر منتصبة في سماء بيروت ، إذاعة صوت لبنان العربي لم تغير موقعها في الجامع وهي تبث برامجها وأناشيدها عن لبنان العربي ، عن بيروت العربية ، عن فلسطين العربية .
من تلك الاذاعة انطلقت أصوات المذيعات والمذيعين تعلن بالعربية الفصحى قرار بيروت بالصمود والقتال ، ومنها انطلقت قصائد الشاعر شوقي بزيع وبرامجه اليومية ، ونداءات وبيانات وتصريحات إبراهيم قليلات .
هذه بيروت . . لا . . هذا بعض بيروت . . ومهما تجمهرت آلهة القتل والفتك فبيروت تبقى . . تتكلم العربية . . وتحلم بالقدس . . وبحر يافا . .

. . الولد الكردي والرجل الفلسطيني

أنا لا أطيق رؤية رجال الأمن ، وأبو ماهر من رجال الأمن . إنه بدين ، قصير ، يمشي « فشكلة » . دائما أتصوره يضرب أحدا ، يأكل لحم أحد ، يستمتع بإهانة أحد .

لذا كنت لا أرد على تحياته عندما يلتقي بي وأنا أصعد الى مكتب جريدة القاعدة قبالة كلية الهندسة .

وها هي ذي الحرب ، وها هو ذا أبو ماهر . انه في الفاكهاني ، وراء الملعب البلدي ، في ذلك الشارع القصير الذي يؤدي الى بيت أبو عمار . مر أبو عمار كثيرا بهذا الشارع رغم القصف ، ولعب مع المقاتلين كرة القدم ، وسألهم عن آربيجياتهم ، وأبو ماهر الذي برجله اليسرى قصر قليل لم يلعب كرة القدم ، ولكنه وقف على الرصيف يبتسم بحزن ، إنه قلق على الثورة وعلى أبو عمار . . وإنه أيضا فقد شقيقه الشاب في هذه الحرب .

أبو ماهر يجلس طيلة النهار على الرصيف على كرسي خشبي بسيط ، وهو يركز ظهره الى الجدار ويضع يده على عدة زجاجات بيبسي بجسده الضخم ، ويذهب الى النقاهة ، ويعود وسعه إبريق شاي او غلاية قهوة ، وإبريق ماء ، ويقول للشباب :

ـ إشربوا . . مالكم صافنين . . ملعون أبو الموت .

وفي الليالي المقمرة ، أو الليالي التي تمتلئ سماؤها بالأضواء التي تفجرها الطائرات في السماء يأخذ في الغناء :

إحنا ما بنخاف الموت
فدائيه ودايما أبطال
دم الواحد على كفه
واولادنا ربيناهم
على حبك يا فلسطين
وعلى دربك دايما ماشيين

ويقطع أغنيته الغريبة العجيبة بضحكة هائلة يهتز لها جسمه ويعلق :

ـ كلمات الاغنية مش نافعة . . وصوتي مظنش يكون أحسن من الكلمات . . ولا شورايك يا خوي يا بو شاور ؟!!

أنا خايف منكونش ربينا أولادنا كويس ، يعني ما ربيناهمش يحبوا فلسطين مثل اللازم . .

وأبو ماهر يرتدي ملابس خاكية عجيبة . .

القميص ينحسر عن كرشه الضخم ، والبنطلون ممزق ، وقصير ، وينتعل حذاء رياضيا خفيفا مليئا بالرمل ، لقد نقل مئات أكياس الرمل أمام هذا الموقع العسكري .

لم يغادر أبو ماهر موقعه . تأتي الطائرات وتقصف وهو لا يتزحزح . تنفجر القذائف وتدمر الابنية وهو في موقعه ، وعندما تهدأ يحضر الشاي ، وأحيانا القهوة ، وما يتيسر من طعام . .

قلت لنفسي : هذا ليس رجل أمن ، هذا انسان ، وبيننا نشأت مودة ، واحترام متبادل ، وصداقة .

كلما رآني يناديني ، ويخرج من لفة قربه رغيفا أو نصف رغيف وحبة بندورة ، أو ما تيسر . . ويقول : يجب أن تأكل . . أنت تكتب . .

وأقول لنفسي : الذي يحترم الكتابة ، ويفرح بالكلمة ، هو إنسان وليس رجل أمن .

ومرة جلسنا على الرصيف ، وكان القمر بدرا ، وسماء بيروت صافية ، جميلة ، والامسية رقيقة ، والسماء بلا طائرات ، سألته :

ـ يا أبو ماهر ، أنت إنسان محترم ، كيف قبلت أن تعمل في الامن ؟!!!

ابتسم ، وقال :

ـ يا أخي يا أبو شاور . . أنا لم أسيء لانسان في حياتي . دائما كنت أهتم بالحفاظ على الثورة ، اخوتي وأصدقائي وأقاربي راحوا . . أعطوها دمهم وراحوا . . أنا ما بأحبش أضرب أو أهين أي إنسان ، لكن لازم نحافظ على ثورتنا . . بعدين مش كل اللي في الامن مثل بعضهم . .

وأخذ يغني ، وجاء الولد خضر .

والولد خضر ، هو ابن بواب العمارة . إنه ولد كردي ووالده فقير ، ولا

يستطيع أن يصرف عليه لتعليمه ، لذا فخضر لا يعرف الكتابة والقراءة .

خضر يشبه إبني الطيب ، وهو بعمره ، والطيب في الصف الثالث . وخضر حزين ، وصامت ، ولكن خضر رغم صغر سنه يعمل باستمرار ، فهو أيام التحصينات كان ينقل أكياس الرمل الصغيرة ، وهو يبحث عن الماء ويحضره للمقاتلين ، وخضر لا ينتظر حتى كلمة شكر ، ووالده رجل طيب ، هادىء ، قلق على أسرته الكبيرة ، على زوجته وأطفاله ، لكنه يحمل الراديو دائما وينقل الاخبار المفرحة العسكرية والسياسية ، ومرات كثيرة يتحدث عن صلاح الدين الايوبي . . وهو يرى بأن بلادنا تحتاج لواحد مثله . مازحته مرة :

ـ هل شرط أن يكون صلاح الدين الجديد كرديا ؟ . .

فنظر بعيدا ، وكان الدخان يتصاعد من الابنية التي قصفتها الطائرات :

ـ المهم يكون رجل . . وشهم . . وعنده شرف . . رجل مؤمن .

ولم أسأله : مؤمن بماذا . .

★★★

لقد كتبت عن خضر في جريدة المعركة زاوية عنوانها : خضر . سألت عنه فلم أجده فتركت له الجريدة عند أبو ماهر ، وطلبت من أحد المقاتلين أن يقرأها له . وفي اليوم التالي التقيته ، فاقترب مني وسألني :

ـ متى بدك تنشر صورتي ؟

عندئذ ضحكت ، وقلت له :

ـ يا خضر ، صرت مثل بعض القيادات . .

ولم يفهم ، فأضفت ، بينما عدد من المقاتلين يتابع :

ـ يا خضر ، هناك أناس أفسدتهم الكتابة عنهم في الصحف . . هناك أناس فقدوا براءتهم ، فهل تريد أن تكون مثلهم ؟

ولم يفهم .

أما أبو ماهر فقال :

ـ هناك أناس لا هم لهم سوى نقل أثاث بيوتهم بينما الدنيا تحترق . . هذول اللي بيقصدهم يا خضر . .

دائما كان أبو ماهر ، الرجل الفلسطيني يهتم بأسرة خضر ، ودائما كان خضر يعمل ، وعندما اشتد القصف على الفاكهاني رحل خضر مع أسرته . . وظل أبو ماهر . .

ذات يوم سألت أبو ماهر عن خضر فقال لي :

ـ رحل مع أهله . . كلما كنت أراه كنت أتذكر ماهر وإخوته . . أتذكر أسرتي . . جيلنا تعذب كثير . . وعلشان هيك مش لازم جيل ماهر وخضر يتعذبوا مثلنا . .

أبو ماهر في الفاكهاني . . بندقيته ، دائما ، بقربه . . ودائما يسألك : جعان . . عطشان . . محتاج شيء . . ودائما يغني أغانيه التي يؤلفها لنفسه . . ويلحنها

بنفسه . . وفجأة يضحك ضحكته القوية ، المجلجلة . . الطفولية . . ويقول :
ـ محاصرينا . . صحيح . . بس والله غير نجيب أجلهم .

عبور الحصار.

من ألمانيا الى دمشق ، الى بيروت جاءت سلوى العمد .
غامرت بنفسها ، وعبرت الحواجز ووصلت بيروت المحاصرة ، وانخرطت في المعركة .

أسمى ، غادرت القاهرة ، ووصلت دمشق ، ثم الى طرابلس ، ومنها الى بيروت الشرقية . . قالوا لها : الطريق خطر ، حذروها من الكتائب ، من اكتشاف جواز سفرها اللبناني المزور ، ولكنها غامرت . وصلت الحاجز قرب المتحف . هناك رأت الكتائبيين والصهاينة معا . قالت للكتائبي : أنا لبنانية ، أطفالي هناك في الغربية ، أنا متزوجة من أردني . إنني قادمة من عمان لانقاذ أطفالي . . وبكت . . بكت وسالت دموعها حقا . . كانت ترى القذائف تنهال على بيروت الغربية . رأت عشرات المواطنين يقفون أمام الحاجز الكتائبي الصهيوني ، وارتعبت من فكرة عودتها وهي على بعد مئات أمتار من بيروت الغربية . تحدثت باللهجة اللبنانية ، مثلت بطريقة ميلودرامية ، وفي النهاية . . سمحوا لها ، وعبرت . . ووصلت المتاريس ، وعانقت المقاتلين . وعندما التقينا شتمت سنسفيل أجدادنا ، قالت :

- كنتم تريدون أن تصمدوا وحدكم . . أن تعيشوا مجد بيروت وحدكم . . لا . . هاءنذا بينكم . . وأسمى التقت بابنتها التي تعمل في أحد المستشفيات ، وابنها الفتى المقاتل الذي يشتبك يوميا مع العدو الصهيوني في منطقة الميناء والفنادق . أسمى فخورة بابنها وابنتها . . وأسمى وسلوى صارتا منا ، من بيروت الصامدة . . وليس المحاصرة . .

★★★

أم علي الجنوبية تضع حجابا على رأسها ، وتتحدث عن الجنوب ، لقد فقدت زوجها مع بداية الحرب ، أما ابنها فيقاتل في الشياح ، وهي تتمسك بروح الامام علي ، وبعظمة الحسين . . وهي ببساطة تتحدث عن عذاب الفلسطينيين . وهذه السيدة تعرف أصوات كل مذيعي إذاعة صوت فلسطين ، وتتابع كل البرامج ، وعندما نلتقيها في بيت أم بشارة تعلق على كل برنامج وكل كلمة . إنها تلوم بود أي مذيع يختلج صوته ويبدو فيه الضعف ، وهي تعرف دور الاذاعة في حياة وصمود أهل بيروت . أم علي تتذكر ضيعتهم الجنوبية ، تتحدث عن الدبابات الصهيونية التي اجتاحت البيوت ، عن الطائرات التي دمرت وقتلت . . تتحدث عن زوجها وابنها . . إنها تتلو الاحاديث النبوية والآيات القرانية ، وتتمسك بالصبر . . وهي عندما تغمض عينيها تبدو كأنما ترى الآتي من الايام . . وكأنما ترى ألوف . . ملايين الناس الذين يأتون وهم يحملون أسلحتهم ويندفعون عبر الجنوب الى فلسطين .

أم ناظم

أم ناظم زيتونة . لا . إنها تينة جبلية ، تينة طلعت وشقت بجذورها الصخر . . أم ناظم سنديانه . . أم ناظم هي أم ناظم . . أنا عاجز عن وصفها . . أم ناظم إمرأة متوسطة الطول ، في حوالي الخامسة والاربعين . . مرات تبدو أكبر . . مرات تبدو أصغر .

أم ناظم من تل الزعتر . ولها في تل الزعتر ذكريات ، وهي معروفة جيدا هناك ، فهي من اللواتي قاومن الشرطة ، وأسهمن في إدخال رجال المقاومة إلى المخيم وهي قدمت إبنها شهيدا ، وزوجها أبو ناظم الوجه الضاحك دائما مقاتل . . وهو برأسه الاشيب وبروحه المرحة ، وشجاعته ، وكرمه . . زوج أم ناظم فعلا . . إنه وجهها الآخر . .

تسكن أم ناظم وأسرتها ، حاليا ، في بيت بالرمل الظريف قرب حديقة الصنائع . وعندها يلتقي عشرات الشباب الذين يذهبون تحت القصف للراحة ، وتناول وجبة ساخنة ، والاستمتاع بأحاديث أم ناظم وأبو ناظم . هذه المرأة لا تكل ولا تمل ، وهي تنفق من مخصصات زوجها ، وتعد طعاما من لا شيء ، ولا تشكو من كثرة المترددين على بيتهم ، وأنت لا تعرف متى ترتاح هذه المرأة . إنها مغرمة بالقهوة ، ورغم أنني غير مغرم بالقهوة فإنني أستمتع بفنجان قهوة من تحت يديها ، وعندما عرفت بأنني من جماعة الشاي ، صارت ما إن أصل حتى يأتيني شاي خاص رائع .

أخت أم ناظم تذهب الى صيدا وتعود . . تتخطى الحواجز . . تراقب الطرق ، وهي امرأة بدينة خمسينية ، حيوية ، عيناها فيهما حزن ، واتساع ، وحيوية ، وذكاء . . لقد نسيت أن أسألها من أكبر هي أم أم ناظم . .

لقد سقطت عشرات القذائف على المنطقة ، وأصيب بعض الناس الذين نصبوا الخيام الصغيرة في حديقة الصنائع . . ولقد تطاير اللحم على الاشجار وجدران الحديقة . . وفرغت الحديقة . .

وأم ناظم . . رغم القصف والخطر . . ظلت هناك على مقربة من الحديقة التي تعرضت مرارا للقصف ، ودائما نذهب الى بيتها . . لنستمتع بحكاياتها عن تل الزعتر . . وأيام الحصار .

حدثتني عن معارك ال ٧٣ ، وعن بداية الحرب الاهلية ، عن تدمير الكتائب للباص الفلسطيني في ال ٧٥ ، وعندها تعرفت بشقيقتها التي حضرت من صيدا بعد الاحتلال ، والتي كانت تقيم في تل الزعتر منذ سنين بعيدة .

حدثتني أم ناظم عن الماء الممزوج بالدم الذي شربه تل الزعتر أثناء الحصار ، أما شقيقتها فعندما سمعتني أعبر عن اشمئزازي من هذا البشير جميل ، فقد لامت نفسها لأنها أنقذته من أيدي الشباب الذين أسروه وحشروه في أحد مكاتب المخيم عام ال ٧٦ .

قالت : ذهبت الى المكتب كعادتي ، إنه قرب بيتنا ، فاذا بولد رخو يستغيث بصوته المايع . . بعرضك . . دخيلك . . بدهن يقتلوني . . وعندما رأيته يصرخ ويستغيث ويبكي حن قلبي عليه . . وليس أحن من قلب الفلسطينية . . لقد شبعنا موتا ، لذا لا يهون لنا بأحد . . طيبت خاطره . . وأحضرت له الشاي والطعام ورجوت الشباب أن يفرجوا عنه . . وفعلا أعيد لاهله . . دنيا . . والدنيا دولاب .

القصف النفسي

في طريقي الى بيت أبو ناظم وأم ناظم ، الى حيث ألتقي مع الكثير من المقاتلين والمواطنين والناس الطيبين ، رأيت طائرة تحلق وتقذف بصاروخ . . وإذ بالصاروخ ينفلق في الفضاء ، وتطير منه غمامة كأنها غمامات الجراد الذي رأيناه يهجم على حقول الزرع الاخضر . .

وتناثرت المنشورات :

قرأت :

الى السكان

ان جيش الدفاع الاسرائيلي يواصل حربه ضد المخربين ولم يستعمل بعد كامل قوته ، انما ليس هو معني بالمس بالمواطنين الابرياء وبمن لم يحارب ضده .

أنت الساكن في بيروت .

إستغل وقف إطلاق النار وأنقذ حياتك .

أمامك الامكانيات التالية :

أ ـ عن طريق قوات جيش الدفاع الاسرائيلي شرقا على محور بيروت ـ دمشق .

ب ـ شمالا الى اتجاه طرابلس
أنقذ حياتك وحياة أعزائك .
قيادة قوات جيش الدفاع الاسرائيلي

حـــــوار

التقطت أحد المنشورات ، إنه زهري اللون ، جاء أحد الشباب وقال لي :
ـ يا أخ ، هذا المنشور مسموم .
ـ كيف ؟
ـ يعني عندما تأكل فإنك ستتسمم وتموت .
ـ غير صحيح .
ـ ليش ؟
ـ إنه غير صحيح ، وليس هكذا نحارب الحرب النفسية التي يشنها علينا العدو . .
عندئذ ارتبك الشاب وقال :
ـ أنت تعرف الوضع النفسي للناس . لذا فنحن نجمع المنشورات ونحرقها ، ونحذر الناس من التسمم بسبب هذه المنشورات .
قلت له :
ـ أعتقد أن هذا الاسلوب غير مجد ، يجب أن نجعل الناس لا يأبهون بهذه المنشورات . وواصلت طريقي ، وطويت المنشور واحتفظت به ، وذهبت فيما بعد الى الاذاعة ، ثم الى جريدة المعركة ، وتحاورنا جميعا حول الحرب النفسية والرد عليها .

لقد لفت انتباهي أنا وكثير من الاصدقاء أن الشرفات عليها غسيل ، ولكن بين هذا الغسيل لا توجد قطعة ملابس بيضاء واحدة ، وهذا له دلالته . .

★★★

في نهاية حزيران واصلت الطائرات الصهيونية قصفها لبير وت بالمنشورات الزرقاء هذه المرة ، والتي جاء فيها :
الى سكان غربي بير وت
إن الاف كثيرة من إخوانكم قد استغلوا الفرصة التي أعطيت لهم وغادروا غربي بير وت وأصبحوا يعيشون في حرية وأمان .
إن وقف إطلاق النار يوفر فرصة لا تعوض لسكان غربي بير وت لانقاذ حياتهم وحياة أعزائهم .
وأنت الذي تتواجد في بير وت اليوم تذكر أن الوقت أخذ يتضاءل وكلما تأخرت ازدادت المخاطر على سلامتك وسلامة أعزائك .
إعلم :
أن جيش الدفاع الاسرائيلي يعود ويوكد على أنه ليس معنيا بإصابة المدنيين الابرياء ، وبمن لا يشهر السلاح ضده .

أسرع وأنقذ حياتك وحياة أعزائك قبل فوات الاوان .
قيادة قوات جيش الدفاع الاسرائيلي

ولم يأبه الناس بالمنشورات الجديدة ، وتحولت الى مسخرة ليس إلا .

ولأن المنشورات والقصف المتواصل بها للناس لا تجدي ، فان جيش الدفاعة هذا الـذي احتـل فلسطـين كلها ، والجولان ، وسيناء ، وجيش الدفاع هذا الذي احتل الجنوب ، واحتل صور وصيدا . . وجيش الدفاع هذا يحاصر بير وت من جميع الجهات ، وهي لا تستسلم ، لا ترفع الرايات البيضاء ، لا يهرب أهلها ولا يتخلون عن المقاتلين ، فإنها تتعرض للقصف المتواصل من البحر والبر والجو . .

★★★

وفي هذا اليـوم التمـوزي دعتنا السيدة ليلى السائح لتناول الغداء . والسيدة ليلى السـائـح فلسطينية تعمل في الصحافة بالكويت ، ولكنها حضرت الى بير وت قبـل أيـام ، واستأجـرت بيتـا إنهـا تريـد أن تعـد بحثا ، وهذا يستدعي أن تقيم في بير وت ، لقـد اشتعلت الحـرب ، لكنهـا لم تغـادر بير وت وهـا هي ذي تكتب للمعـركـة ، وتحضـر الاجتـماعـات ، وتخفف عنا عناء الشعور بالوحشة . . وتقديم وجبات جيدة في مثل هذا الوضع ليس مجرد تقديم وجبة . . إن الوجبة الجيدة تعني الكثير لنا هذه الايام .

وفي بيتها ، في بناية الصليب الاحمر الدولي ، تناقشنا حول الثقافة ، والتقينا بفتـاة فلسطينيـة هامـة نعـرفها سابقا ، وقد طلبنا اليها أن تغادر بير وت ، كما تعرفنا بسيـدة لبنـانيـة متزوجة من فلسطيني . إننا نلتقي ونتعارف ، ونفتر ق ، وتتعزز بيننا صداقات ، وعلاقات إنسانية حميمة . . إنها أيام مدهشة ، لا يمكن وصفها الان .

اقـترحت على السيـدة ليلى ، صديقتنـا القديمة ، أن تغادر بير وت ، وقد حبذ هذه الفكرة الدكتور أحمد أبو مطر وحنا . . وبقية الحضور ، ولكنها ظلت فترة لا بأس بها . .

بعد الغداء ذهبت الى الاذاعة . . الوضع صعب والقصف رهيب . .

★★★

محور وادي النيل

محور وادي النيل هذا هو الاسم الذي اقترحته لموقع الجامعة الاميركية . لماذا ؟ إن أغلبية المقاتلين في هذا الموقع هم سودانيون ومصريون . صحيح أن بينهم عدداً من الفلسطينيين . وصحيح أن الاخ وليم نصار الاسير الفلسطيني طيلة سنين والذي حرر في عملية النورس ، هو قائد الموقع . وصحيح أن الصديق أبو منهل الشجاع والحيوي والذي ينخرط في عمل أي شيء هو معهم . . لكن المحور . . أو بالادق الموقع . . هو موقع وادي النيل . هناك وحيد السوداني الناصري العنيد ، الذي يرتجل النكت والطرائف بلا توقف ، والذي يعلن بأنه سيدوخ اليهود إذا ما حاولوا النزول بين أدغال الجامعة الاميركية . . إنهم لن يروه . . وخاصة في الليل . . وهناك حسن المصري الضخم بكرشه الرهيب ، والذي يتهمه وحيد بأنه سبب أزمة التموين في بيروت ، وبأنه سيتسبب بانهيار الصمود بعد نفاد التموين وانقطاع الماء ، وهناك عبد الفتاح الفنان المتواضع ، الذي لا تفارقه بندقيته ، والذي قلما

يزور زوجته وطفله ، إنه لا يريد أن يترك موقعه الهام في الجامعة الاميركية قبالة البحر . . وهناك صديقنا الشاعر مجاهد ابن النيل العربي المصري الناصري ، الذي يتنقل من إذاعة المرابطون صوت لبنان العربي ، الى إذاعة صوت الثورة الفلسطينية ، الى الشوارع . . والذي يصر على ارتداء الكاكي وحمل الكلاشنكوف بطريقة لا يمكن وصفها . .

★★★

أبو منهل دائما ببنطلونه الشرط ، الجينز ، وهو يملك سيارة طريفة . . مخلعة . . فيها كل شيء . . التموين والعتاد والكتب والشمع وزجاجات الماء ومفكات وأشياء لتصليح ما لست أدري ، وكلها تلزم للمحور ، وهو يطالب دائما برشاشات ، إن الموقع خطر وهام ، وإن الصهاينة ، ربما ، يحاولون اختراقه أو ربما يحاولون القيام بإنزال في الملعب . إنهم لا يملكون سوى رشاش ثقيل واحد ، وهو موضوع بحيث يسيطر على الملعب وعلى الجهة المقابلة من البحر ، والاسفلت ، والرصيف . .

★★★

إننا نزورهم في الليل ، وفي الليل نرى زوارق العدو وبوارجه وهي تتحرك إلى جونيه وتدور حول بيروت الغربية . وفي الجامعة ، في الليالي المقمرة ، وبين الاشجار ، على العشب نجلس ونعد الشاي ، ونسمع الشعر ، ونتأمل . إننا نسمع ضحكات تأتي من بين الاشجار . يقول وحيد :

- إنهم يحششون هناك . . بعض الطلبة والطالبات من الذين أذهلتهم الحرب . . إنهم في كل حال ينتمون الى حالة اجتماعية تحتاج الى دراسة . .

★★★

لقد اعتصمت سيدات بيروت ضد الحرب ، ضد تجويع وإعطاش المدينة ، هناك في الجامعة الاميركية . إنهن مسيحيات ومسلمات ، وإنني أوكد على أنهن مسلمات ومسيحيات ، إن بعض الناس ركزوا على إسلاميتهن ، وهذا ما جرح شعور السيدات المسيحيات . . المسيحيات العربيات الوطنيات ، المخلصات لعروبة بيروت ولفلسطين . .

★★★

عدت الى الفردان ، وهناك من الدور السادس رأيت الدخان يتصاعد من الزيدانية . . رأيت النيران تتلاطم . . الدخان يغطي الافق . . وتحت الظلام بدأت النيران تتأجج حتى هيىء لي أن النيران ستأكل بيروت كلها . .

هذه الايام أتعرف على أسماء أماكن وأحياء في بيروت لم أكن أعرفها أو أسمع بها من قبل .

ترى لماذا قصفوا الزيدانية هذه ؟

الشرفاء

الخميس ، الثامن من تموز ، التقينا مساء ، وجاءتنا المعلومات : ورقة بثلاثة بنود قدمها الاخ أبو عمار للسيد شفيق الوزان ، ووافق عليها المجلس الاسلامي والحركة الوطنية اللبنانية .

- فك الاشتباك .
- قوات دولية .
- الحوار مع السلطة اللبنانية .

وأضاف أبو عمار : كل ما يضمن سلامة بيروت أنا معه ، وأقدمه . شريطة أن لا أرفع الراية البيضاء .

وفي الجلسة التي حضرتها ، في الليلة التموزية في الفاكهاني ، ارتفع صوت أحد الاشخاص وبشجاعة غير معهودة يعلن بأنه ضد ، حتى هذه الشروط ،ولأننا نعرف بأن ركبه في الارض ضحكنا . أما عبد الفتاح غانم فقد قال :

- الذي يريد أن يحارب ويدافع عن شعبه يجب أن يستعد حقيقة للقتال ، لا أن يطلق الكلام الكبير الذي كله فشر . إن معركة بيروت ، المعركة النهائية قادمة ولا يجوز أن نظل في حالة التلكؤ .

وتساءلت شخصيا ، عن دورنا ، عن مقاتلينا . لقد هرب مسؤول المدفعية عندنا ، واسمه علاء . ولقد تقدم شباب كانوا في السجن ، وبحثوا عن الخرائط ، وحصلوا على الاحداثيات ، وبدأوا يؤدون دورهم القتالي . الحشاشون هربوا ، والذين أسيء لهم يقاتلون ، حسن ، هذا زمن الرجال الشرفاء ، هذا وقت الشجعان .

★★★

علمت بأن الحكيم جورج حبش التقى مع الاخ أبو عمار وقال له :

ـ لقد عشت سنواتي التي زادت عن الخمسين وعايشت كل الهزائم العربية ، ولست الان بصدد أن أزاود عليك ، هذا الشهر من القتال والبطولة هو أعظم أيام عمري ، إنني أثق بك ، وأقول لك : قدنا ، وامض بنا بأقل الخسائر .

ترى أيمكن للحكيم أن يقول هذا الكلام ؟ نعم . إن هذا الرجل الكبير ، والذي هو اسم كبير في تاريخنا الكفاحي الحديث يتميز بروح نبيلة ونفس شريفة . وإنه ولا شك يملك شجاعة أن لا يزاود ، ويملك شجاعة أن يحرص على الثورة ، وهو رغم وضعه الصحي الصعب يتحرك ، ويزور المقاتلين ، ويتنقل بسيارته مع سائق . . فقط مع سائق . . هو مرافقه وسكرتيره في ذات الوقت . . بينما قيادات صغيرة . . صغيرة جدا ، وغير ذات شأن تتنقل وأمامها الرنجروفرات وخلفها وأمامها سيارات المرسيدس . . وعندما تنتقل أو تصل الى مكان هات يا خبط أبواب . . وهات يا إثارة ضجة وجلبة .

★★★

ذهبنا للغداء في بيت عز الدين المناصرة وهو شقة فاروق وادي ، صديقنا القاص الموجود حاليا بالمصادفة في الاردن ، والذي منعته الحرب من الوصول الى بيروت .

عز الدين يسكن قرب المدينة الرياضية ، وهو قد سكن منذ فترة قريبة . . لكن الحرب قطعت عليه استقراره .

في البيت طفله يفاجئنا بأنه يحمل رشاشة يضغط على زنادها فتتوهج بأضواء حمراء ، وتطلق دويها المتلاحق .

تعلق أمه :

ـ طيلة النهار يلاحق الطائرات الصهيونية ، ويسقطها وهو على الشرفة .

ضحكنا على تصريح الجنرال إيتان ، الذي يقول بأنه لم يبق لدى المخربين غير مدفع واحد .

عند العصر ذهبنا الى كراكاس ومن هناك تلفنا لمعين بسيسو ، الذي حضر ، وقرأ لنا الوصايا السبع للكتاب الهاربين .

لقد هرب عدد من الكتاب والشعراء الى بيروت الشرقية . . إنهم الان هناك . . عند الكتائب .

لقد بقي الشاعر شوقي بزيع في بيروت الغربية ، وهو يقرأ أشعاره ، ويرسل

صوته كل يوم من إذاعة صوت لبنان العربي . . برافويا شوقي ، هكذا يكون الوفاء للوطن . . للشعر . . لشرف الانتماء . .

★★★

في المساء ذهبت الى الفاكهاني ، التقيت بمحمد غانم وأبو ساجي ، اللذين كانا يتجولان في الفاكهاني بالسيارة . سمعنا التصريحات الجيدة للعميد أبو الوليد : لا خروج من بيروت ، حصنا بيروت بما يحول دون اقتحامها من أعتى جيش .

بعض الشباب يلعبون طاولة الزهر ، على الرصيف ، وأبو الشامات المقاتل الكردي ، الذي لا يسمع تقريبا ، يضع أذنه على الراديو ويحاول التقاط أخبار مونت كارلو . . وعندما يلحظ ابتسامتي ، يحييني ضاحكا ، ويلصق أذنه أكثر بالراديو وهو يصرخ في لاعبي الطاولة لأنهم بقرقعتهم يضيعون عليه الاخبار . .

وتهدر الراجمات . .

يوم رائـــع

الحـادي عشـر من تموز ، يوم من الايـام الرائعة ، أمس لم يتوقف القصف ، وأمس امتلأ بالتصـريحات الشجاعة ، وأمس علمت بأن أسلحة وصلتنا عن طريق الشـرقيـة . . وأننا أحضرنا أربيجهات ، وأننا تمكنا من إرسال أسلحة وكواتم صوت إلى الجنوب ، وأن رسائل وصلت من الجنوب ، وتم تحديد أسماء الاسرى ، وتحديد أسـمـاء المتعـاونـين مع العـدو ، وهم قلة قليلة ، وأمس . . ليلة أمس . . لم ننم في بيروت . . تقريبا .

أخذت سيارة الاذاعة واتجهنـا أنا والسـائق العجـوز الى الفـاكهاني ، وعندما بلغنا بداية شارع المزرعة لاقتنا سيارة مسرعة جدا توقفت بسرعة رهيبة ، وأشار لنا السائق أن نعودلأن القصف يستهدف كل المنطقة ، وإن شارع المزرعة يحرث حرثا بالقذائف . . وعدنا .

عنـد الظهـيرة ونحن نتغـدى قالت إذاعـة الكتائب بأن ثماني اليات للصهاينة دمـرت في منطقـة غالـيري سمعـان ، واعـترفت بالقـذائف التي نزلت على بعض المنـاطق في الشـرقيـة ، وأخـذت إذاعـة الثـورة وإذاعـة صوت لبنان العربي بتوجيه نداءات للنـاس في الشـرقيـة بضـرورة طرد الصهـاينـة من بينهم أمـا إذاعـة العـدو الصهيوني فقد اعترفت بإصابة ثلاثة من الجنود الصهاينة بجراح . . ثلاثة فقط . .

إتصلنـا بالاشـرفيـة تلفونيا ، ومن خلال الحديث فهم حنا أن مركز الكتائب هناك أصيب ، وأن فندق الكسندر ، الذي هووكر للجنرالات الصهاينة كان هدفا لمدفعيتنا .

ماهي نتيجة قصف مدفعيتنا هذا اليوم ؟
تدمير كل الدبابات في غاليري سمعان ، غير العدو مواقعه في بعبدا بسبب القصف الرهيب ، وبسبب الخسائر التي مني بها . عشرات الاصابات في صفوفه ، إنها معركة مدفعية مشرفه ، لقد لوينا ذراعهم جيدا ، وجعلناهم يهربون .

أزهار الفاكهاني

قوة الحياة

قبل أيام قصف الصهاينة بصاروخ جوي رهيب البناية المقابلة لجامعة بيروت العربية ، بالضبط لقاعة جمال عبد الناصر ، وهي تلك البناية التي عرفت بأنها بناية أبو إياد .

في تلك البناية مكتب لجيش التحرير الفلسطيني ، مكتب لمجلة الجيل ودار القدس . . ومكتب أبي إياد ، وفي الدور الارضي صالة الكرامة ، وهي عبارة عن صالة للعرض الدائم للفن التشكيلي ، لاتحاد التشكيليين الفلسطينيين .

لقد نجا أبو إياد من هذه الكارثة ، وقصة الحديث التيلفوني باتت معروفة ، قبل أيام من الحرب أقام الفنان إسماعيل شموط وزوجته تمام معرضهما الرائع ، والذي قدما فيه رسومهما ومائياتهما ، وعندما بدأت الحرب لم يكن إسماعيل وتمام قد نقلا اعمالهما ، لذا سقطت البناية فوق الصالة . . صالة الكرامة ، ولكن لحسن الحظ ، ظلت الصالة صامدة وإن غطى الركام مدخلها ، وفي ذات يوم ، بعد هذه العملية مررت وإذا بالفنان إسماعيل شموط بين الركام ينقذ لوحات المعرض ، كان المنظر مشرفا . . إنه يعمل بدأب ، بجهد هائل ، رغم مرضه ، ورغم خطورة أن

يتعرض لسقوط الركام عليه . . لقد عرفت بأن لوحتين فقط أصيبتا ، وأن هاتين اللوحتين هما لوحتا الزهور الوحيدتان في المعرض . . إخترقتهما شظيتان من الصاروخ الاميركي الرهيب الذي ضغط البناية فوق بعضها وهدمها . .

إن الصهاينة يكرهون الزهور . . الزهور تموت في الفاكهاني عطشا . . والزهور المرسومة تغتال بالصواريخ والشظايا . . ومع ذلك . . فقد رأيت من يحصل على الماء بجهد فائق ، ويسقي الزهور في الفاكهاني . . تحت القصف . . رغم الطائرات ، ورحت ، وكتبت عن أزهار الفاكهاني وأزهار فلسطين ، وأزهار الحياة . . كتبت عن إسماعيل وتمام ، ولوحة اسماعيل : المعشوقة التي قدمها اسماعيل لرفيقة عمره زوجته الفنانة تمام ، والتي رسمها وهو على فراش المرض في ألمانيا . . إنها لوحة الوطن ، والزوجة ، والحياة ، والفن . . إنها وصية فنان ، وهي قمة عطائه . التقيت بالفنان اسماعيل شموط في الفاكهاني وتحدثنا عن تدمير البناية ، قال :

ـ اللوحتان اللتان فيهما الزهور لم تسترعيا انتباه زوار المعرض . . لكن يبدو أن الصهاينة يكرهون زهور فلسطين . . لذا قصفوا اللوحتين .

★★★

حبيبتي سعاد

أحبابي فهد ، الطيب ، أحلام ، غسان .

اليوم رأيت في جريدة فلسطين الثورة صورة مذهلة . إنها صورة الزوجة الفلسطينية الشابة التي أصيبت في رأسها فاستشهدت وهي حامل في شهرها الاخير . رأيت صورة الاطباء وهم يجرون لها عملية جراحية قيصرية . . لقد نجحوا في إنقاذ الجنين من الموت . . خرج من الموت . . من أمه الميتة . . الى الحياة . . الى حيث ينتظره الصهاينة بالموت . .

في أيلول كان فهد في أحشائك . . كان يمكن أن يحدث هذا لك يا سعاد . . وهذا يمكن أن يحدث لاي فلسطينية .

يا زوجتي . . يا أطفالي . . تذكروا القتلة . . وتذكروا دائماً أنَّ قوة الحياة أقوى من الموت . .

هذه ولادتنا . . هذه قيامتنا . .

الوصيـــــة

دمـار ، دمـار في كل مكـان . طائـرات تملا السـماء . . بوارج في البحر تطلق قذائف مدافعهـا ، تعـزف . نعم تعـزف على جسد بيروت ، على لحم اللبنانيين والفلسطينيين . . تعزف بالتناوب . . بايقاعات بطيئة . . ثم سريعة . . بايقاعات هادئة . . ثم هادرة . . إنها الحضارة . . هذه هي الحضارة الامريكية بتمامها وكمالها ، بوضوحها وسفورها الكامل ، ونحن للتجربة . نحن لا شيء ، والعالم يتفرج ، باستثنـاء تصـريحـات هادئـة وقورة . . من الرأي العام العالمي . . الرسمي . . من الدول الاوروبية المتحضرة جدا ، الهادئة جدا ، التي تفكر دائما ، وقبل كل تصريح بها اقـترفـه هتلر من اثـام ضد اليهـود . إنهم في أوروبـا ليسـوا مع هذه المبـالغـة في الاجتياح والابادة ، وإنهم ، قبل وبعد كل شيء ، يعلنون عن إدانتهم للارهاب ، وهم ، مع أمـريكـا ، والصهـاينـة لا يقبلون بأبي عمار الفلسطيني الـذي ذهب الى الرأي العام العالمي في هيئة الامم عام الـ ٧٤ بيدين مرفوعتين ، في واحدة غصن زيتون ، وفي الثانية بندقية . . لا . . إنهم يريدون الفلسطيني بيدين مرفوعتين . . بلا غصن زيتـون وبـلا بندقية . . لان غصن الزيتون الفلسطيني هو إرهاب . . إنه مطالبة بزيتون فلسطين .

في الصباح أستيقظ على صوت يوسف في صوت الثورة ، نمت قليلا . . قليلا جدا ، وهذه اغنية جميلة تأتي ، أغنية لفيروز : خبطة قدمكن عالارض هدارة .

غسلت وجهي - من حسن حظي أن الخزانين فيها ماء - وذهبت إلى الشرفة لاحضار المنشفة التي غسلتها أمس . مولد الكهرباء يهدر تحت ، إنه للجبهة الشعبية . . ومولد الكهرباء يطلق دخانا مازوتيا خانقا . . مسحت وجهي وإذا برائحة وطعم المازوت في المنشفة تملا أنفي وفمي ، الساعة الان السابعة والنصف ، وأحد المقاتلين يسأل الاخر :

- جبت الجرايد يارفيق ؟

وواحد أخ يهازحه من الدور الثاني ، إنه من فتح .

- ولك يارفيق ، شو في في الجرايد . .

إنشا الله مستني شي من الرأي العام . . ولك يارفيق العرب مش نافعين . . تينفعوا الخواجات . . والرفيق يقول له :

- ولو . . لازم نقرا ياأخ . . تنشوف شو صاير بها الدنيا .

والاخ يضع وراء الزجاج صورة أبو عمار والرفيق يغرس صورة أبو عمار في متراس الرمل ، ويثبتها على لوحة في اتجاه السماء . . ربما يفكر الرفيق بأن هذا بعض الرد على الطائرات ، لمعت فكرة في ذهني . أليس من المتوقع أن أستشهد ، هذا وارد جدا . إذن سأكتب وصيتي ، أعددت شايا ومضغت خبزا يابسا ، وبدأت:

زوجتي الحبيبه سعاد

إذا جاءك خبر استشهادي فأرجوك أن لاتحزني كثيرا . كوني شجاعة ، وتحملي ، فشعبنا كله دفع الثمن ، ثمن حبه لوطنه ، وتمسكه بكرامته . .

ربي أولادنا على الكرامة ، وحب الحرية ، والايمان بفلسطين ، وعلميهم أن يعيشوا بصدق واستقامة وإخلاص للذين سبقوهم ، الذين حرموا من كل شيء ، ولكنهم امتلكوا الكرامة ، ودفعوا ثمنها أعمارهم ، وهناءة حياتهم . . .

لقد عشت بشرف ، وفعلت كل ما يجعلك ترفعين رأسك . كوني الأم الفلسطينية التي تربي كما يجب ، وكوني الزوجة الوفية التي شهدت وعانت .

لم أترك لكم سوى كتبي والبيت البسيط جدا ، والكثير من الذكريات الجميلة ، ولقد تركت لكم حبي لوطني ، وإخلاصي للشرفاء ، ونزاهة الحياة التي عشتها . . وهل هذا قليل ؟!

كتاب كثيرون استشهدوا وهم أصغر مني بكثير ، من أبناء وطني ، أومن أبناء الشعوب التي كافحت الظلم . الاسماء كثيرة ، يتشرف كاتب مثلي أن يكون أحد أفراد تلك العائلة ، الواحدة ، التي تلهم الوجدان ، وتؤجج نيران الروح ، وتفجر الغضب .

يا سعاد . .

أعـانـقـك ، أضـمـك إلـى صدري ، الـى قلبي ، وأقـول لك في هذه اللحظـات : أنت المـرأة التي أحببت . يا أبنـائي ، يا فهد يا رجل البيت ، كن دائما رجـلا وعش كما يليق ، يا ابنتي الحنـون أحلام انتظرتك قبل ولادتك لتعوضيني عن فقدان الام ، والاخوات ،فملأت قلبي . .

يا الطيب الحبيب ادرس جيدا ، وتشاطر ، أنت طيب وحنون فكن هكذا دائما .

يا غسان الذكي ، سخر كل هذا الذكاء لوطنك وشعبك عندما تكبر .

ودائـما إكـرهـوا أعداء شعبكم ، وعلموا كل من حولكم أن يكرههم . إثأروا لنـا ، فهـذا هوما نريـده منكم ، هذا ؛ وليس البكاء ، ولتكونوا شجعانا ، فالايام الحلوة اتية ، الايام الحلوة اتية .

أقبلكم وأتمنى لكم حياة طيبة .

رشاد أبو شاور

الساعة : ٧,٠

كتبت في السابعة والدقيقة الخمسين صباحا

يوم ١٩ حزيران

ملاحظـة : زوجتي سعـاد قراقيش أبـو شاور حرة في نشـر مذكـراتي إن تمكنت من الحصول عليها ، حرة في حذف أي شيء منها ، وهي مطلقة الحرية في نشر كل كتاباتي .

رسـالة الى والـدي

والدي العزيز

أتذكرك الان وأعتز بك .

أرجو أن تتم حياتك كما بدأتها ، بروح عالية ، وصحة طيبة .

لقد عشت يا والدي بشرف ، وأنا عشت مثلك ، ومشيت على طريقك .

أطلب منـك أن تهتم بسعـاد زوجتي ، وبأولادي كثيرا ، وأن تراعيهم إلى أقصى حد ، وأن لا تسمح لاحد بأن يزعجهم أو يتدخل في شوونهم ، أو يشعرهم باليتم والضعف .

أقبلك وأقول لك : لقد أنجبت ابنا تفخر به .

إخـوتي الأعزاء : لم نصر بعضنـا إلا قليـلا ، ولكنكم حتـما رأيتم صورة أخوكم ، حسبـه لوطنـه ، إيـمانـه بشعبه ، وهذا يكفيني ، أما أنا فرأيت فيكم المستقبل .

لكم محبتي وأمنيـاتي بحيـاة كلهـا فرح . احـترموا أمكم كثيرا ، فهي تعبت

لاجل راحتكم ، أما والدي فلا يحتاج الى أن أوصيكم به ، إنه فخر الاباء .
أعانقكم جميعا ، أضمكم الى القلب حيث فلسطين والحياة .
رشاد أبو شاور

الساعة الثامنة صباحا
١٩ حزيران — ٨٢

إنني أقف على الشرفة وأفكر في كل شيء ، واستحضر ملامح زوجتي وأولادي ، أحاول أن أتذكر ملامح وجوه إخوتي الذين لم أرهم منذ سنين ، والذين يعيشون في الاردن ، حيث لا أستطيع الذهاب ، لقد ولد بعضهم بعد خروجي من عمان ، إنهم إخوتي من أبي .

لقد توفيت والدتي قبل خروجنا من فلسطين وظل والدي اعزبا حتى عام ال ٥٦ ، وفي عام ال ٥٧ غادر أريحا إلى دمشق إثر الاحداث التي هزت الضفتين انذاك . .

والدي وإخوتي في عمان ، زوجتي وأولادي في دمشق ، وأنا في بيروت . . هذه أسرة فلسطينيه واحدة ، هذا حالها .

عبد الحفيظ محارب ، أخوه في لندن ، أهله في الارض المحتلة عام ٤٨ ، في الجليل ، أخوه الاخر في المانيا الغربية ، بعض شقيقاته في الخليج . . وهم لا يستطيعون الالتقاء في بلد عربي واحد . . لذا أعدوا خطة للالتقاء ، والتقوا في لندن . . ربما تعتبر هذه الاسرة سعيدة لأنها قادرة على الالتقاء . . ربما تحسدها أسر فلسطينية لم يلتق أفرادها منذ نكبة ٤٨ .

يتحدث اليهود كثيرا عن عذاباتهم عبر الاعوام ، عبر العصور ، ولكن أين كل عذابهم أمام بعض ما سببوه لنا ، عام ال ٤٨ . . أو عام ال ٥٦ في قطاع غزة . . أو عام ال ٦٧ . . أين كل عذابهم أمام تدمير بيروت ، تدمير المخيمات في الجنوب ؟!! الفرق بيننا وبينهم أنهم يبكون كثيرا ، يبتزون العالم كثيرا ، تذهب معهم أميركا وأوروبا بعيدا . . كثيرا جدا ، حتى في زحفهم لتدمير بيروت . .

نحن لا نبحث عن شفقة العالم . نحن نبحث عن دور لنا في الحياة والتاريخ . وهم يريدون حذفنا . . وجودهم مبني على حذفنا من الحياة والتاريخ . . ووجودهم سيظل ضعيفا ، هشا ، رخوا ، ما دمنا على قيد الحياة . . لذا جاءوا للابادة . .

تداعيات

بيروت قلقة على ناجي العلي . كل الذين يحبون كاريكاتور ناجي ، الذين يعبر عن قهرهم وغضبهم ، كل أبناء المخيمات ، كل فقراء بيروت ، كل الصحفيين والكتاب والشعراء والفنانين في بيروت يتساءلون بخوف عن مصير ناجي العلي . ناجي الذي يسكن في صيدا ، والذي لابد أن يفرح الصهاينة إذا اصطادوه .

جاءت إشاعات تقول بأنه إستشهد ، ثم جاءت إشاعات تقول بأنه أسر ، وإشاعات قالت بأنه مفقود ، قيل بأن ناجي العلي خرج من صيدا ، ولكنه استشهد عند الدامور مع بعض المواطنين الفلسطينيين .

ولكن . . فجأة . . ونحن في كراكاس اتصلت لينا بحنا وقالت :

ـ ناجي ينتظركم في القدس برس . .

وبسرعة كنا هناك

إنه ناجي العلي ، ناجي بوجهه الجاف ، الشقي ، بشعره الشائب ، بحزن وقلق عينيه . . بلهجته الفلسطينية المغرقة في شعبيتها يقول ناجي :

ـ نادونا بالميكروفونات ، فخرجنا ، من الثانية عشرة حتى السبعين ، وهكذا ذهبت أنا وإبني الكبير ، بقينا ثلاثة أيام تحت الشمس الرهيبة ، على الشاطيء . شربنا الماء المالح ، جعنا ، دخنا ، ذهلنا عن كل شيء ، ظننا أن كل شيء انتهى ، لكن المعارك تواصلت حول عين الحلوه اه كم أحب هذا المخيم . . ظللت أذهب إليه . . تحت القصف ، رغم الحصار . . عين الحلوه مخيمي . . فيه تربيت .

بعـدين نادوا علينـا ، قالـوا الختـايرة والاولاد الصغار يلا . . الى بيوتهم . . ناداني العسكـري الصهيـوني . . قلت له : أنـا شاب . . أنا مش عجوز . . شكلي هيـك . . شعـري شايب ، وملامحي . . قللي : يلا . . على بيتك . . كنت أدفع إبني قدامي . . خفت عليـه . . خفت أن يبقـوه . . خاصـة وأن أبنـاء الفلسطينيين يبدون أكبر من أعمارهم . . إنه أكبر من ولد . . علما بأنه في الثانية عشرة .

كل أهـل بنـايتنـا هجروها . . وبقيت امرأة مشلولة . . مشلولة بالكامل . . رجليها وايديها . . ولا تحكي . . وين بدهم أولادها يوخدوها ؟ أبقوها في البيت . . تصـوروا يا جماعـة . . أصيبت أغلب الشقق في البنـاية . . تدمر كل ما حول الشقة التي فيهـا المـرأة العجوز ولكن الشقة التي فيها المرأة المشلولة العجوز لم تصب . . أنا برأيي هذه قوة الحياة . . عندما عدنا وجدناها حية . . رحت وبست شيبتها ، بست جبينهـا وبكيت . . رأيت دمـوعهـا تسيـل على وجههـا الهرم ففهمت كل ما بداخلها فهمت روحها ، فهمت عذابها . .

كل شيء يتفجر ، يتدمر ، يخرب ، ينهار حولها وهي حية . .

لم يضـع ناجي العـلي وقتـه ، بدأ يرسم للمعركة ، رسم عين الحلوة فأبدع ، وتجلى أكثر من تجلياته الرائعة في الايام الماضية . . وذات يوم قال :

ـ يجب أن لا أحتكر الصفحة الاخيرة ، أريدكم أن تنشروا في نفس المكان رسومات حسيب وهكذا برهن على أن الفنان الكبير هو سلوك كبير .

وفيـما بعـد ، صرنـا نلتقي معا ، إنه في الشارع ، يدور في الازقة ، يصفن ، يفكـر ، يلتقـط ، يختـزن ، إنـه فنـان منجم ، إنـه لا يوحي بعمق الثقـافة والوعي والتأمـل ولكنـه أكثـر من هذا بكثـير ، إنه يعيش بلا ادعاء . . ولذا فهو يستحق كل هذا القلق عليه ، وكل هذا الحب من الناس له .

أم بشارة . . في بيروت

كعادتها وقفت أم بشارة على الشرفة ، كانت تضحك . أشارت لي أن أذهب اليها ففعلت .

ووجدت هناك بعض الاصدقاء ، قالت :

ـ اتصل بي إبني من أميركا ، أتعرف ماذا قال لي : قال بأن ألوف العرب يتظاهرون كل يوم أمـام البيت الابيض ، قال بيت أبيض قال الله يشحـروا من بيت ويقصف عمر اللي ساكنين فيه .

وهنا توقفت وأخذت تضحك .

ـ تصور قال بيهتفوا هناك :

اسرائيل ما بتفوت
وأم بشارة في بيـروت
شوف أولادي شو بيعملوا ، ولـك شو عنـدي صواريخ بدي أمنع إبن الحرام شارون إنه يفوت ؟
مازحتهـا
ـ طبعا عندك صواريخ ، أنت قائدة الاذاعة ، وأيضا يوجد كذا ضابط معجب بك في غرفة العمليات المركزية ، وهل هذا قليل ؟ فعلا ، أنت في مواجهة شارون ، بل أنت أهم من غولدامائير ، كانت الست غولدا تقول : الفلسطينيون من هم ؟ أنا لم أسمع بهم . . وأنت تقولين من داخل بيروت : الفلسطينيون نحن . . وإلا . . من هم الذين تحاصروهم ولا يستسلمون ، أليس كذلك يا أم بشارة العظيمة ؟!!
وتضحك وتضع يدها ، كعادتها على فمها ، وهي تعلق :
ـ عظيمة قال . . على شو . .
وجنين تعلق بهدوء :
ـ عزيمة ـ عظيمة ـ ونص . .
أي نعم يا تيتا أم بشارة في بيروت .

★★★

جنـين أعـرفهـا منـذ زمن ، رأيتهـا حزينه جدا بعد إغتيال صديقنا الرائع عز الدين القلق ، ولا أدري من الذي قال لي بأنها كانت خطيبته ، سألتها :
ـ ياجنين هل كنتما مخطوبين .
سهمت جنين ثم قالت بهدوء :
ـ كنـا أهم من ذلـك ، كنـا صديقـين حقا ، قبل عز الدين لم أكن شيئا ، عز الدين علمني أن أكـون إنسـانه ، علمني الثقافة والوعي والالتزام ، علمني معرفة نفسي ، الصدق مع نفسي ، لقد عشنا معا .
إنني أفكر في سوال جنين إن كانت غاضبة من إزعاج جماعة الامن لها ، لكنني ألغي التسـاول ، فعمـل جنـين المتواصل في وفا ، في الاتصال بالعالم الخارجي ، في الـدوام ساعـات وراء التلكس ، في الـترجمة ليل نهار . . فيه الجواب الحاسم . إن أبناء الثورة الاصلاء ، أبناء شعبنا يحققون المعجزات اليوم .
أبـو الفـدا محمـود
هذا منـاضـل أممي . إنـه انكليـزي ، من أصـل ايـرلنـدي ، لكنـه ولـد في فلسطـين ، وهـو ابن الجنـرال الانكليـزي كلوب باشـا ، الذي حكم الاردن فعليا سنوات طوال ، أبو الفدا محمود إسمه فارس غلوب ، وهو صحفي ، يكتب الشعر بالانكليـزيـة ويـترجـمه للعـربيـة ، كتب دراسـات ومقـالات كثـيرة لمركز الابحاث ولصحف المقـاومـة ، وأبـو الفـدا محمـود ينشـر قصائده الحارة في المعركة ، ويترجم

الاخبـار والمقـالات الى الانكليـزيـة ، وهـو يتنقـل على موتور صغير ، ودائما عنده مشكلة ليـتر ونصف بنـزين ، وهي الكمية التي يحتاجها موتوره لينقله تحت القصف من جريدة المعركة ، الى المكان الذي يترجم فيه مقالاته ، الى بيته ، الى محاور القتال . .

وأبو الفدا محمود يقول ردا على التشكيك بفلسطينيته ،

ـ أنا ولدت في فلسطين ، في عاصمتها القدس . . أنا فلسطيني الولادة والانتماء . . والـدي انكليـزي هذا صحيـح ، ولكن هذا لا يعني شيئـا بالنسبـة لي ، وأبو الفداء محمـوددقيق في مواعيـده ، بسيـط في متطلبـاتـه ، وهـو يجيـد كل شيء ، الكتابة ، القتال ، الترجمة ، كل ما يطلب منه .

كشاش الحمام . . وطيارات الورق . . والفانتوم

قبالة المكان الذي أنام فيه رجل يكش الحمام ، أعترف بأنه يغيظني ، إنه دائما بسرواله الابيض القصير يحمل عصا وعليها شريطة تتطاير مع حركاته الغريبة يكش بها الحمام ، إن كش الحمام هواية غريبة ، وأنا لم أهتد الى مدلول نفسي لها ، لانهم في أوروبا ـ حيث ظهر علم النفس ـ لايعرفون كش الحمام . . .

ترى ما هو تفسير كش الحمام بينما طائرات الفانتوم ، والكافير ، والميراج تملا الجو ، وتلقي بصواريخها .

هل هو مثـلا كإطـلاق ذلك الولد البير وتي لطائرته الورقية ـ طبق مستدير من ورق وقصب ـ حتى لتـوشـك أن تصطدم بالطائرات المغيرة ؟! إنها ظواهر غريبة ، بسيطة ، مدهشة ، لكنها حتما ذات دلالة . . . حتما .

والان ـ:

والان ها أنذا أذهب الى بيت الفنان عدلي فخري ، الذي استيقظ من النوم قبـل قليـل ، لانـه في بدايـة الليل راح الى المستشفيات وغنى للجرحى ، ثم انتقل الى المطبعـة وصحـح بروفـات مقـالات المعـركـة ، وعـاد في الفجر لينام ، رغم أن الطائرات جاءت وألقت بقذائفها الصفراء في الليل ، وأضاءت سماء بيروت بالضوء الاصفر الممروض . .

وأغـارت إغـارات وهميـة ثم راحت ، ثم عادت وأغـارت إغـارات حقيقيـه فدمرت بعض الابنية وعجنت عشرات الفلسطينيين واللبنانيين تحت الدمار . . .

يقول عدلي ضاحكا :

ـ رامي الاربعطعشـر ونص الي جنبينـا ده ولـد مدهش . . بيلعب مع الطيـارات لعب . . ده مبوظ أعصاب الطيارين الصهاينة . . بجد يعني . . بيغيروا . . بينط وبيستنى . . . بيرتفعـوا بينـزل فيهم ضرب . . بعـدين صاروا يغـيروا ومـا يضربوش . . عرف . . صار يضربهم وهما بيغيروا . . ومايضربهمش وهما . . وهنا دوى رشاش الاربعتعشر ونص . . بمواسيره الاربع . .

فقال عدلي . .

ـ اهه . . بصوا . . راقبوا . .

أما زين العابدين فواد فأخذ يقرأ لنا قصيدته الجديدة التي لحنها عدلي ، والتي سيغنيها بعد غد . . وزين ألف عددا من الاغاني التي لحنها عدلي ، والتي سيذيعها واحدة بعد الاخرى في الايام الاتية .

ثم نصغي لعدلي وهو يغني :

على بوابات بير وت

إنه لحن ، جميل ، راقص ، شعبي تراثي ، مفرح . . هذه بعض تداعيات بير وت ، وهولاء هم بعض ناسها .

مشهد عـــام

* من الذي يحب أميركا ؟

لا أحـد في بيروت يحب أمـريكـا . أقصـد في بيروت الغـربيـة ، أقصـد في المخيـمات الفلسطينيـة والأحيـاء الشعبيـة . سائق السـرفيس أعطاني محاضرة عندما أوصلني الى الفاكهاني عن سفالة أمريكا .

أمـيركـا صوتت في مجلس الامن بالفيتو في مواجهة أربع عشرة دولة ، وأميركا صوتت يوم السـابـع والعشـرين من حزيـران مع الكيـان الصهيوني في مواجهة مائة وسبع وعشرين دولة . . وهذا هو أغرب تصويت في تاريخ هيئة الامم . الدنيا كلها وفي مواجهتهـا أمـيركـا والصهـاينـة . ولـذا فحيثـما ذهبنـا لا نسمع سوى اللعنات لاميركا ، ثم يتفرع الحوار ليتمحور حول « النفط » ، نفط العرب ، الذي به يعيثر الكيان الصهيوني عن طريق أميركا .

* الوزراء العرب

اليوم اجتمع وزراء الخارجية العرب ، وأبو اللطف طالب بمقاطعة أميركا سياسيا وماليا واقتصاديا . .

حقا إن بيروت في واد ووزراء الخارجية العرب في واد آخر .

الصوت الفلسطيني اللبناني يصرخ في البرية ، ووزراء الخارجية وقورون جدا ، وأميركا ترسل طائراتها بطيارين صهاينة لتدمير بيروت ولذبح الشعب الفلسطيني . . والأنظمة تعتصم بالصمت . .

أطفال بيروت

أنا مندهش من الاطفال . . إنهم في بيروت لا يخافون الحرب ، لا يخافون الطائرات ، وأغلبهم يحمل بنادق خشبية أو بنادق ألعاب ، ويصوب الى الطائرات . . ترى ألا يعرف الاطفال ما هو الموت ؟ ألم يروا البنايات المدمرة ؟ هذا غريب حقا .

الدمار . . الدمار

الرملة البيضاء . . التي تطل على البحر . . البنايات الانيقة . . إنها الان مدمرة . . وإن الخراب ينتشر في بناياتها . وشوارعها التي كانت نظيفة دائما مغطاة بنثار كتل الاسمنت وكتل السيارات ، ومزق أثاث البيوت . وهناك فوق السفارة الاميركية التي تطل على البحر ، السفارة القلعة ، يطل مدفع دبابة سورية ، تواصل القصف باتجاه البحر . وهناك داخل السفارة الاميركية عشرات المقاتلين من تنظيمات مختلفة . إنهم يحرسون هذه المنطقة . إنهم يحولون دون وصول الزوارق الى الشاطىء ، وهم حتما سيبيدون أية قوة تنزل على رمال البحر . . وسيحولون الرملة البيضاء الى رملة حمراء . .

طريق الروشة تلال من الرمل ، وحفر أعدت لتلغم بسرعة ، وعشرات المقاتلين يحتمون بمداخل البنايات ويراقبون كل من يتحرك على الاسفلت ، وهم كوموا تلال الرمل بحيث لا تستطيع السيارات المرور بسرعة ، وذلك لتسهيل عملية مراقبتها . وبعض الشباب يقفون وراء متاريس الرمل بمضادات الدبابات ، والسيارات التي تحمل الرشاشات المضادة للطائرات تحمل شبابا يشمرون عن زنودهم ، في كتوفهم بنادقهم ، وأيديهم على مقابض وأزندة الرشاشات ، وقد وضعوا على عيونهم نظارات خاصة تحمي العيون من الشمس وتسهل رؤية الطائرات .

عندما تصل الى الكورنيش تفاجأ بالمشهد . . سيارات الشاي والقهوة والمرطبات تبيع لمئات الناس الذين يتسكعون على الرصيف ، ولمئات المقاتلين الذين مزق بعضهم أكمام قميصه ، والذين يرتدي بعضهم بناطيل شرط . . وعشرات منهم يسبحون في البحر . . بنما الزوارق الصهيونية تتحرك ببطء ، وترى بالعين تلال من الرمل ترتفع ، بين التلة والاخرى أمتار قليلة ، وإذا ما بدأت الاشتباكات تقافز المقاتلون ، واحتموا بها . . واستعدوا . . بينما الرشاشات الثقيلة والمدافع تتعامل مع الزوارق والطائرات .

★★المنطقة الجنوبية

والان تعالوا نترك البحر ، ونتجه إلى المنطقة الجنوبية .

ها أنت في الطريق إلى ؟الصفير ؛ تمر بصبرا وشاتيلا ، صبرا وشاتيلا فراغ تام تقريبا ، صمت مدهش ، سكون رهيب . . أين الناس ؟ الناس رحلوا إلى الحمراء وبقية الاماكن الامنة . . وأين الامان في بيروت ؟!!

أين المقاتلون ؟ إنهم يحيطون بالمخيم فالبراكيات لاتتحمل الصواريخ الاميركية الحديثة ، وجبروت طائرات الفانتوم . .

وفي برج البراجنة . . في الشارع العام والشوارع الفرعية ترى مئات المقاتلين . .

وتفاجأ بعشرات المقاتلين في الحسينية وأنت على مقربة من الصفير ، والصفير موقع متقدم ، ومع ذلك ، وأنت ترى غابة الاشجار . . حيث خلفها قوات الصهاينة ، يخبرك الشباب هناك بأنه توجد مواقع متقدمة بعد الصفير وفيها عشرات الفتيات اللبنانيات شيوعيات ، ومن منظمة العمل . .

وفي هذا الموقع ، في الصفير ، تتناول وجبة لاتخطر على بال ، وتأكل بطيخا ، وترى عددا من الشباب ينقبون الملوخية من أجل وجبة الغد . . ويفاجئك أبو زيد الشرق أردني بفلسفته البسيطة : دائما وقبل اعداد أي شيء في القاعدة ، إبدأ في اعداد المطبخ . . الطناجر والصحون والملاعق . . أولا المطبخ . . فالطعام الجيد والساخن يجعل المقاتل يقاتل أفضل . .

لقد ترددنا أكثر من مرة على هذا الموقع . . ووصلنا إلى مسافة قريبة من العدو ، وفي ذات مرة أدهشنا أن المقاتلين حزينون جدا . . ثم عرفنا أن القائد العسكري للجبهة الديمقراطية في المنطقة الجنوبية قد استشهد . . كل الذين التقيناهم كانوا حزينين . أي فتى إذن هذا الذي استحق كل هذا الحزن ، ليس من رفاق السلاح ، وإنما أيضا من المواطنين في المنطقة الجنوبية ؟!!

★★★

مطاعم بيروت

في الايام الاولى للحرب واصلت المطاعم تقديم الطعام للناس ، حتى أننا كنا نذهب في الصباح الباكر إلى مطعم شاتيلا لتناول وجبة إفطار عند البحر ، بين

الزهور ، بينما دوي القصف يرج الارض ، وكنا نقدر أن المعارك تدور حول الدامور ، وفي كل صباح كنا نرى الرشاش الوحيد للجيش اللبناني في الحمام العسكري وهو موجه إلى البحر ، ولا أحد قربه . .

لكن الحرب اشتدت والطائرات غطت سماء بيروت ، والحياة صارت مهددة . . إنها الحرب . . الحرب الشاملة ، وليست مجرد معركة . . والحرب جاءت إلى بيروت .

وأخذت المطاعم تغلق أبوابها ، لكن مطعم كرم في الروشة واصل تقديم اللحم المشوي والسلطة . . وأحيانا الحمص ، أما مطعم أبو العلاء الضيق جدا ، فهو يقدم أكلات بسيطة ، ولكنها ممتازة للعزابية الذين لا يجدون ما يأكلونه .

وذات يوم يغلق مطعم كرم أبوابه . . ويغلق أبو العلاء أبوابه ، لم تعد في بيروت لحمة . . غير لحم المواطنين الذين تمزقهم السيارات الملغومة . . ويواصل مطعم أبو ياسر قرب فندق الكومودور تقديم وجباته البسيطة ، إنها وجبات لا يمكن أن يأكلها أفقر الناس في بيروت في الايام العادية . . لكنها في هذه الايام نعمة ، وأي نعمة ، لقد ذهب إبن أبو ياسر إلى المسؤولين في المقاومة وقال لهم : لم يعد عندنا ما نقدمه للناس ، إن تقديم وجبات بسيطة يقتضي تقديم المواد البسيطة منكم . . نحن لا نريد أي ربح . . ما رأيكم ؟!!!

وقدموا له الفاصوليا الجافة ، والعدس . . والزيت ، والحمص . . وواصل تقديم الطعام للمقطوعين كما يسميهم . . .

حقا لقد راحت أيام المسخن على الطريقة الفلسطينية عند أبو ياسر وجاءت أيام الفول والعدس . . .

ومع ذلك فبيروت تبتدع وتبدع ، هذا شارع الحمراء مثلا ، لقد تحول إلى بيت واحد من أوله إلى اخره . الناس على الارصفة ، السيارات تحمل المعلبات والخبز وتبعها للمواطنين ، الملابس على الارصفة ، بعض الناس أحضروا أفرانا على الغاز وأخذوا يعدون الفطائر ويبيعونها وهكذا أسهموا في حل مشكلة الطعام .

أما الماء ، فكل البنايات التي فيها ابار مدت ـ متبرعة ـ نرابيج في الشارع لتسهيل حصول الناس على الماء . ومرات كثيرة رأيت إعلانات على مداخل البنايات : يوجد عندنا ماء . .

طبعا إنه ماء دلع لكنه ماء ، وهو أفضل من العطش . . .

قد يستغرب الناس في الخارج أننا نشرب المرطبات وسط الحصار والقصف . كيف ؟ كثير من أصحاب المحلات إشتروا مولدات كهربائية صغيرة وأخذوا يشغلونها . . وهكذا شربنا المرطبات ، وأحيانا الماء البارد . . وأكثر من ذلك أكلنا الجبن واللبنة ، إنني لن أنسى ماحييت ذلك البائع في منطقة عيشة بكار الذي واصل بيع الجبن واللبنة وكل أنواع المرطبات ، خاصة في شهر رمضان ، والذي لم يرفع

الاسعار قرشا واحدا ، إنها بيروت . . . إنها تحيا رغم الموت والحصار والعطـــش .

★★★

راح محمد

غضب محمد من الثورة ورحل إلى المانيا . . ومحمد كما يقول أصدقاؤه شاب مستقيم نزيه ، متحمس ، وهو مثقف ، ومحمد لم تعجبه أحوالنا لذا رحل إلى المانيا . وقرر أن لا يعود كما يقول أصدقاؤه ـ أقسم أن لا يعود ، لقد صدمه الواقع ، لكن المعركة انفجرت ، والحرب التي يشنها الصهاينة تستهدف حياة شعبنا ووجوده ومحمد زعلان جدا من احوالنا ، وغاضب جدا . . ولكن لا . . . ليس إلى حد أن يرى أهله يدمرون ويواصل حياته في المانيا . لذا عاد محمد مع ألوف الذين عادوا من كل بلاد العالم لحماية ثورتهم وشعبهم .

ومحمد . . استشهد في الجبل وهو يشتبك مع العدو . . وهو يتقدم مع ألوف المقاتلين من طلاب وعمال جاءوا من الخارج . . وأهل محمد يعيشون في برج البراجنة ، ووالد محمد يحبه جدا ، إنه كما يقول اصدقاوه الاعز على قلب أبيه ، وفي برج البراجنة قرئت الفاتحة على روح محمد ، وأخذ الناس من المخيم والبرج ، من فلسطينيين ولبنانيين يتدفقون على بيت والد محمد ، ومن الفاكهاني ذهبت مع الذين ذهبوا .

كل شيء هادى في البرج ، كل شيء هادىء في الطرقات إلى البرج ، والجو ظلام .

لا طائرات في الجو تفجر قنابلها الصفراء ، لامدافع تقصف ، لا راجمات ترد برشقات رهيبة مدوية ، لابوارج تطلق من البحر بايقاعات أميركية تتناسب مع كراهية أميركا للشعوب . . لاشيء . . إن بيروت مرهقة ، تعبة ، وإنها تحاول استغلال لحظات الراحة ، لحظات ما بين القصف والقصف ، ما بين الموت والموت ما بين الدمار والدمار .

ها نحن وصلنا ، وها نحن نصعد درج البناية على ضوء الشموع . وأسأل : أهذا بيتهم ؟ لا . إنه بيت جيرانهم . إنهم لبنانيون ، وقد أحضروا أسرة محمد من بيتهم البسيط الذي لا يحتمل القصف ، كي يستقبلوا المعزين وإذ ندخل ، نرى عشرات الرجال المتقدمين في السن . وأتساءل : أين الشباب ؟ . . وأجيب نفسي : إنهم في الكمائن المتقدمة . . حتما .

يقول أبو محمد : إحنا حطب لفلسطين لنارها . أنا أعرف أن الموت حق ، وأن الاستشهاد لفلسطين شرف ، وأننا كلنا عل هذا الدرب ، ولكن اعذروني . . مش قادر أسفط محمد . . . محمد غالي كثير على قلبي .

على كل محمد كان رايح يستشهد لوتم في بيروت . . محمد بيعرفش يهدا . . مابيقعد . . مش ممكن إبني وأنا بأعرفه . . أنا مش حزين . . أنا ، بس ، مقهور ، لوشفته قبل ما . . يستشهد . . مشتاقله .

ويتناوب الرجال القدماء الاحاديث ، انهم يتحدثون عن قراهم ، عن معارك ال ٤٨ عن العرب إللي دايما تركونا للموت . . وكذبوا علينا ، إنني أحاول أن ادون في ذاكرتي أحاديثهم ، لكن انفعالي يفسد علي كل شيء . . بعض الجالسين بتحدث عن أولاده . . . نعم عن أولاده . . الذين استشهدوا في الثورة . . يعني الثورة الحالية . . أحدهم خسر ثلاثة أبناء . . وهو يقول : إحنا لها . . باطل . . .

وعندما نودعهم ، يقول أبو محمد :

ـ ياشباب ، لا تواخذوني . . والله ، أنا ها الختيار عندي كلاشن . . وجاهز أحارب في كل لحظة وأستشهد . . لكن . . محمد عزيز على قلبي ، ومش قادر أتصور إنه راح . . راح ومش رايح أشوفه .

الحب تحت الطائرات

لينا الفلسطينيـــة
وحبيبهـا الماروني

لينـا فلسطينيـة ، وهي من أسـرة مسلمـة ، ولينـا الفلسطينيـة المسلمـة تحب مارونيا . . . إنه لبناني و. . . ماروني . باللتعقيدات واهلها يعرفون بحبها ، إنهم لا يضغطون عليها لتعلن أنها لا تحبه ، ولكنهم ، فقط ، يرفضون زواجها منه ، يقول والدها :

ـ لو أنـه فلسطيني . . مسيحي فلسطيني إذن لوافقنـا على زواجـك منـه ، ولكنـه ماروني ، ـ ولينا تحبه تقول لي : قلبي يحبه ، إنني أذوب بـــه .

ـ وهـــو

ـ يعبدني يارشاد . . إننا نموت حبا ببعضنا وعندما أضحك ، ونحن على الشرفة ، والطائرات في السماء ، تقول :

ـ أعرف بماذا تفكر ، هو لا علاقة له بالذين ذبحوا أهلنا في تل الزعتر ، إنه حنون ، لطيف ، يحب الشعر ، وهو يعد دكتوراه الادب في السوربون بباريس . . متى يفتح

المطار لأذهب إليه ، وأضحك . . أضحك كثيرا ، فتقول ـ يارشاد لا تضحك أن فلسطينيه وأحب وطني وأهلي ولكن أنا أحبه ويجب أن نتزوج . . لقد تحملنا الكثير أنا وهو . . هل إذا تزوجته تضيع حيفا ـ لينا من حيفا ـ هل أكون قد خنت أهلي ؟!! غير معقول ياترى متى يفتح المطار .

لينا لها عينان طفوليتان حلوتان ، إنهما مثل عيون القطط فيهما ضوء عندما تفرح ، فيهما ألوان زهور الربيع ، وعندما تحزن تصير إنكسارا وهما لا يمكن تصوره . . تضحك بحزن ، وتهز رأسها وتتساءل :

ـ ولك يا أللة إمتى بدو يفتح المطار ؟!!

وأقول لها :

ـ الاميركان والصهاينة أغلقوا المطار ، والله لا يستطيع فتحه .

ـ فتلعن دين الاميركان والصهاينة ، وتنفخ بغل ، تم تدخل وتبدأ في الطباعة ، أو تنخرط في عمل أرشيفي .

قلت لها :

ـ يالينا ، الكتائبيات قدمن القرنفل للجنود الصهاينة .

قالت لينا :

ـ أنا مستعدة أقدم كل شيء للفدائيين . . بس لا تؤاخذني . . أنا بحبه . . ماروني . . ماروني . . أنا وإياه مالناش دخل في الدين بعدين هو مابيحب الكتائب ، وضد كل الي عملوه فينا ، بتعرف لما بيجي من باريس وين بيروح ؟!! مابيروح للشرقية . . بيسكن في الغربية ، ضحكت ، فسألتني :

ـ لشو بتضحك ؟

ـ لأنك موجودة في الغربية . . طبعا . .

★★★

ذات يوم جاءت لينا وكلها فرح ، نادتني إلى الشرفة وقالت :

ـ عندي خبر هام

ـ ماهو . . في أيام الجحيم هذه . . هل زحفت الجيوش العربية لفك الحصار عن بيروت .

ـ هم . . وافق أهلي على أن أتزوج . . وأن أسافر بس يفتح المطار . .

وعلى الشرفة بقيت وحدي ، أراقب الطائرات التي تغير وأفكر في عناد شعبنا . . في قدرته على الحب ، في عناد لينا وتحملها و . . إنتصار حبها بعد قصة معقدة . . مليئة بالصبر والتحمل والعذاب . . قصة عمرها أكثر من أربع سنوات .

المقاتل الفلسطيني

و . . . حبيبته اللبنانية

باتجاه البحر تحركت مجموعته ، أخذت لها موقعا قبالة البحر ، في منطقة الروشة . . قرب إحدى البنايات ، اشتبكت المجموعة برشاشاتها الثقيلة والكاتيوشا

مع الـزوارق في البحـر والطـائرات في الجـو ، والفتـاة اللبنـانيـة كانت تراقب ، وتعجب ، وتـدهش بالشجـاعـة ، وذات يوم راحت إليهم ، وسألتهم إن كانـوا يحتاجون شيئا ، فطلب قائد المجموعة شايا وماء ، وبعد قليل جاءته بالشاي والماء ، وتنـامت العـلاقـات ودار الكـلام ، وتشعب الحـوار ، فاكتشفت الفتـاة التي تحمـل الماجستير أن هذا المقاتل الفلسطيني بملامحه القاسية هوكتلة عواطف إنسانية ، وإنه عقل ذكي ، وروح نبيلة ، حدثها عن حياة المخيمات في الضفة الغربية ، عن أيامه في الاغوار عن أصدقائه الذين استشهدوا قال لها :

ـ مرات أراهم أمـامي جميعـا ، إنهم يبتسمون مرات أراهم والدم يغرق ملابسهم ، إنهم يملأون روحي وعقلي وقلبي ، لذا أبدو حزينا وغاضبا ومقهورا ، لذا أبدو قاسيا مع المقاتلين عندما يخطئون أي خطأ مهما كان صغيرا ، ربما تكونين قد حملت فكرة سيئـة عن الـذين هنا في بيروت : الذين تسمونهم شبيحة الذين يزعجون الناس ، ويسيئـون إليهم . . نحن تربينـا دائـما خارج المدن في الاغوار . . في أحراش جرش وعجلون . . في الجنوب . . لقد وصلنا بيروت بعد أن انسحبنا من الجنوب . . . لم أذهب إلى البقاع . . أو إلى الجبل . . جئت مع إخوتي إلى بيروت . . كنا نعرف بأن المعركة القادمة إلى هنـا . . .

وراء المـتراس كانـا يجلسـان ، بينما الرشاشات والمدافع تهدر ، لم تكن تتكلم إنها تصغي .

التحقت بالثـورة وأنـا أحمل الشهادة الثانوية . . ورغم المعارك والحياة القاسية درست التـاريـخ وحصلت على الليسـانس . . أنـا أحب التـاريخ . . أفهمه واعيد ترتيبه بطريقتي الخاصة .

الفتاة مسيحية ، من أسرة عريقة . . عريقة جدا ، من أهم الاسر اللبنانية ، وهـي تنـتـمـي إلى أب نظيف السـيرة ، والى أم كريمـة النسب ، وأخ ليـبرالي التكوين .

ذات يوم فاجأها ـ وهنا أعتذر عن ذكر إسمه واسمها ـ بأن قال لها :

ـ أنـا غير متـزوج . . وأنت ، أنـا مسلم . . وأنت مسيحية ، أنا فلسطيني ، وأنت لبنانية ، أنا مرشح للاستشهاد و. . . .

ـ وأنـــا

قالت الفتاة وأضافت :

ـ كل بيروت مرشحة للاستشهاد ، أليس كذلك ؟ ـ حسن . . إذا ماخرجنا من هذه الحـرب أحيـاء أتقبلين بي زوجـا . . . هكـذا . . . زوجـا . . . لاأريـد أن أطيـل فالوقت عسير وضيق . . والصهاينة لا يعطوننا الفرصة للتعبير عن عواطفنا براحة .

ظلت الفتاة ساكتة ، أما هو فأخذ يراقب بمنظاره البحر .

ورغم أن الفتاة لم تعطه الجواب ، فإنها واصلت إحضار الماء والطعام والشاي إلى الموقع ، وما عادت تذهب إلى الملجأ .

ذات يوم سألها :

ـ لماذا لا تذهبين إلى الملجأ ؟

فأجابتـــه :

ـ ليست حياتي أغلى من حياتك . . .

فعرف . . عرف تماما أنها تحبه .

وتساءل أمامها :

ـ من هي ياترى المرأة التي تربط مصيرها بمصير فلسطيني . . بالموت الذي يلاحقه دائـما ، برحيـله الـدائـم ، بالحـدود الـتي توجـه له الـتهم ، بالسجـون التي تنتظره . . . . . بهدوء قالت له :

ـأنا . . أنا يا . . .

قبل الرحيل بقليل أخبرها بأنه راحل ، بأن الباخرة ستنقله إلى البلاد البعيدة . . راحت الفتـاة الى الحمـراء ، بحثت عن بائـع ذهب ، داخت إلى أن وجـدت محلا إشترت منه خاتمين . . وبسرعة . . إلى الملعب البلدي . . ألـقت بنفسها بين الناس ، فلم تره في السيارات . . قالوا لها : بعض السيارات ذهبت . . وبسرعه ، بسـرعـه ذهبت السيـارة بها الطـرق ، بين الناس الذين يرشون المقاتلين بالأرز ، بين الرصاص ودوي مدافع الوداع . . ورأته بجوار السائق في السيارة العسكرية اللبنانية . . على وشـك الـدخـول إلى منطقة الميناء . . فصرخت به . . فتوقفت السيارة ، وقفزت . . قالت له :

ـ هات يدك . .

ووضعت الخاتم في إصبعه . . وأعطته الخاتم الثاني وقالت له :

ـ ضعـه حول إصبعي . . أنـا أقبلك أيهـا الفلسطيني . . أنـا معك ولك . . عندما تصل أكتب لي . . أهلي موافقون . .

حاولت أن تجعله يضحك

ـ أمـي قالـت لي : مش مكـفـي مسـلم . . كمان فلسطـيـني . . أمـا شقـيـقـي فقال : إنضربني فيه . . مجنونه مثل الفلسطينيين . . إنهم يباركون لنا . .

هذه واحـدة من قصص الحب . . وصـديقي [غ] شاهـد عليهـا . . تابعهـا وعاشها . . إنني أختصر فصولها الجميلة . . لقد التقيا بعد الخروج . . وكونا أسرة رغم كل شيء .

معـــرض

على الـــرصـيـف

محمـود اللبدي مسـؤول الاعلام الخارجي أقام معرضا مدهشا في الفاكهاني على رصيف الشـارع ، تحت فلسطـين الثـورة أخذ يجمع القذائف التي لم تنفجر ، والصواريخ التي بقيت منها أجزاء ، ويوما بعد يوم كبر المعرض ، ووفد إليه عشرات المـراسلين الاجـانب ، لقـد رفعت يافطة صغيرة : هدايا ريغن وبيغن إلى الشعبين اللبناني والفلسطيني . . .

إن كل هذه الصواريخ ، والقذائف ، المنفجرة والتي لم تنفجر هي من صنع أميركي ، وإن هذا . . لن ينسى . . إننا لن ننسى ماتفعله أميركا ، وإننا ، وهذا أكيد . . لن نغفر ، لقد عرف المقاتلون في محاور القتال بمعرض اللبدي ـ هكذا صار اسمـه ـ فأخـذوا يغنـون المعرض بأن يرسلوا إليه قذائف بعضها لم تنفجر ، وبعضها يسمـع به للمـرة الاولى ، إن الصـواريخ البيضاء ـ من البيت الابيض ـ والسوداء ، من قلوب الذين في البيت الابيض ، ترتفع لصق الجدار قرابة المتر والنصف وأكثر .

ومحمد اللبدي الذي يجيد لغات كثيرة منها الالمانية ، والانكليزية ، بسيط متواضع ، ونظارته دائما على عينيه ، وهو دائما مشمر عن زنديه . . وهو بسيط وغير مدع ، إنه يقوم بواجبه ، ومرات كثيرة يدهشه أن يتحدث الناس عما يفعله بكل هذا الحماس.يجلس محمود أحيانا على الرصيف ، عندما يتوقف القصف ، يشعل نارا في قطع الخشب التي يجمعها أمامه على الرصيف ويعد الشاي على الطريقة القديمة ، طريقتنا أيام اللجوء الأول بعد ال ٤٨ ، وإبريق الشاي أسود من خارجه بسبب دخان الخشب ، وهو إبريق كبير ، إن ضيوف اللبدي كثيرون وأحيانا يكون من بينهم سفير كندا ، الذي تعززت بينه وبين اللبدي الصداقة أثناء الحرب ، هذا السفير الذي رفض أن ينتقل إلى بيروت الشرقية عندما طلبت إليه دولته ذلك ، كي لا يتعرض للخطر ، والذي غادر إلى كندا بعد أن أعلن أنه يعتز بالمقاتلين الفلسطينيين كما يعتز بالجيش الكندي ، والذي يشرفه أن صداقة توطدت بينه وبين مقاتلي هذا الشعب الشجاع .

إنك ترى هنا مثلا ، على الرصيف ، يشرب الشاي سفير كوبا ، صديقنا ، الذي نعرفه منذ سنوات ، هذا السفير ضئيل الحجم ، شعره شائب ، عيناه ضاحكتان ، في الخمسين تقريبا ، إنه ينتقل بين المواقع ، يحمس المقاتلين ، يحدثهم عن كاسترو ، وغيفارا اللذين قاتل معهما في السيبر مايسترا ، لقد وقف هذا السفير وراء الكاتيوشا أكثر من مرة ، وأطلق صواريخا على مواقع الصهاينة ، من البحر . . إلى الروشه ، إلى الفاكهاني . . إلى معرض اللبدي ، إلى صبرا وشاتيلا ، إلى الحمراء . . تنقل هذا السفير الصديق ، هذا المحارب ضد اليانكي وضد الصهاينة ، ودائما كان يؤكد بأن فلسطين ؛ هي قضيته .

وعلى الرصيف يتحلق مقاتلون كثيرون حول اللبدي ، إنهم من كل التنظيمات ، وإنهم يحملون حبا بلا حدود لهذا الاعلامي الجسور الذي يصمد تحت القصف ، والذي يأتي إليه الصحفيون من كل أنحاء العالم عبر الحصار ، ليشرح لهم بالقذائف والصواريخ بشاعة ووحشية ما تفعله أميركا وما تفعله الصهاينة ببيروت باللبنانيين والفلسطينيين .

قد تأتي أحيانا فتجد رجلا ضامرا ، شائب الشعر قاسي الملامح ، فلاح حنون إذا ماتحدث . . يوحي لك بكل شيء إلا أن يكون فنانا . . إنه عبد الحي مسلم . . الفنان الخام الذي لم يدرس في الاكاديميات ، ولم يتخرج من الكليات ، ومع ذلك إبتدع طريقة للتعبير عن روحه ورؤيته للحياة ، إنه يبدع نحتا بنشارة الخشب ، بالتكوينات البارزة ، البسيطة ، والتي يثبتها بالغراء ويشكل منها أشكالا تبدو بدائية ، لكنها غنية ، زاخرة ، حارة ، حادة . . إن هذا الفنان يشتغل تحت القصف ، وهو من أسرة معرض الرصيف . . معرض اللبدي . . واللبدي الذي يشجع عبد الحي مسلم ، يرعى رصيف على فوده ، ورصيف علي فوده . .

هي نفسها مجلته التي توقفت فترة ، وأخذت تصدر كجريدة بذيئة . . مسلية ، طريفة .

دائما أذهب إلى معرض محمود ، أحييه ، فيبتسم ابتسامة سريعة إن كان مشغولا بالمراسلين الاجانب ، ويحدثني قليلا عن ضرورة إصدار مجموعات قصصية وشعرية بالانكليزية والفرنسية عندما تتوقف الحرب . . مرة في المساء مررت فأدهشني ما رأيته تحت المساء الرمادي رأيت رجلا مديد القامة ينحني تحت صليب ضخم ، ورأيت طفلا يجر صليبا أصغر ، ولكنه هائل بالنسبة لعمره وحجمه ، كان محمود يراقبهما ، سمعته يقول :

ـ إذهبوا بين الخراب والدمار . . حول كلية الهندسة . . ثم من عند أبو علي ـ محل بيع الفروج ـ ومن هناك إلى الملعب البلدي و. . تعودون هنا . .

حدثني سليمان ، وهو مقاتل باسل حقا ، قال : عندما إشتد القصف على الفاكهاني ، رأينا عشرات الشباب ينسحبون ، فسمعت الاخ محمود يصرخ : إلى أين تذهبون . . لا تديروا ظهوركم . . .

وسمعت أحد المقاتلين يقول : القصف شديد جدا ، ولا يوجد ملاجىء ، لنغادر إلى المزرعة ثم نعود . . وصرخ الاخ محمود : إذا انسحبتم سأطلق عليكم النار ، أدخلوا في الادوار السفلية للابنية ، إذا غادرنا سينهار الفاكهاني . . هذا لا يجوز وصمد المقاتلون ، لم ينسحبوا . .

إن معرض اللبدي هو واحد من الاعمال الاعلامية الكبيرة ، وإن الاخ محمود اللبدي هو حقا ، واحد من أبطال بيروت .

اللـــواء ٨٥

قلت مرة في برنـــامجي الاذاعي أن بيروت ، الان ، أســـرة واحـــدة ، أســـرة بيروت ، وأنهـا فعـلا تشـرب في الصبـاح فنجـان القهـوة ، وكاسة الشاي ، وتأكل الخبـزة اليـابسـة التي تحمصهـا على نار البـابور أو الغاز - إذا توفر - وأن بيروت تفرح صباحا بكاريكاتور ناجي ، وتتلقى معا القذيفة الاميركية الصهيونية ، وتعيش رغم عشرات الطائرات .

وهذه الاسرة اللبنانية الفلسطينية تضم المئات ، الالوف ، من العرب ، من المناضلين من كافة أنحاء العالم ، ومن بين العرب مقاتلو اللواء السوري ٨٥ .

منـذ اللحظـات الاولى تقـاسم المقـاتلون الخبـز ، والبـدلات العسكـرية ، والقـذائف لمدافعهم ، وانخـرطوا في معركة مصيرية ومنذ اللحظات الاولى ، رغم الحسـاسيـات السـابقـة التقى المقـاتلون الفلسطينيون بالمقاتلين السوريين في اللواء ٨٥ . ذات يوم جاءني الصـديق أبـو الـرائـد ، وقـال لي - يجب أن نرسـل مايتوفر من البـدلات العسكـرية إلى إخوتنا في القوات السورية إن بعض مستودعاتهم احترقت وفي المرة الثانية جمعنا ما استطعنا من التموين وأرسلناه .

وذات ليلة إلتقينا ببعض ضباط اللواء ٥٨ . إنني أعرف موقعهم ، ذاك الذي قبالة البحر ، خلف السفارة الاميركية .

لقد تعرض هذا الموقع للقصف من البحر ، ولاغارات الطائرات ، ذهبت ذات مرة لزيارة مواقع مقاتلينا هناك فرأيت أن قذائف الطائرات والبوارج قد حفرت الشوارع ، ودمرت العديد من البنايات ، والسيارات محترقة في الشوارع ، اثاث البيوت قذفت به الصواريخ إلى الشوارع ، الاشجار محترقة ، مكسرة الاغصان ، وبعض الاليات العسكرية والدبابات ماتزال صامدة .

ترى هل حدث خراب أكثر من هذا لمدينة في عصرنا ؟ ربما هيروشيما . . ربما . . .

هذه هي الرملة البيضاء . . أجمل . . .

البنايات ، أجمل الاحياء ، هؤلاء الصهاينة يريدون تدمير كل شيء ، إنهم يهدمون كل شيء ، إنهم يعاقبون العمارات إنها جميلة والشوارع إنها أنيقة ، فسيحه ، مشجرة ، ووادعة ، إنهم . . . إنهم . .

التقينا في تلك الليلة وبيروت بلا أضواء ، بيروت تغرق في الظلام ، وتعشينا مع الصديق أبو الرائد ، قال الرائد ثابت :

ـ قررنا القتال حتى الاستشهاد ، لا استسلام ولا خروج من بيروت ، نحن معكم ، وأظنكم تعرفون قرارنا .

وتشعب بنا الحديث ، عن حجم القوات الصهيونية التي تحاصرنا ، عن الرأي العام العالمي ، عن التحرك العربي ، وأخذ الرائد يقرأ الشعر ، قرأ لمظفر . . قرأ الشعر قراءة متمكنة ، ثم تذكرنا صديقنا ممدوح عدوان فقال :

ـ إنه إبن خالتي ، نحن معا من قرية دير ماما وقرأ من شعره . . وبعدئذ توقف . . وقال والان ساسمعكم هذه القصيدة ، وقرأ . . إنها قصيدة جميلة ، رشيقة ، فيها غنائية وحرارة . . إنها من شعره . .

وامتد بنا السهر ، ثم أعلن مع أصدقائه بأنهم يجب أن يذهبوا الى موقعهم ، هناك ، عند البحر . . وعند خروجهم طلبوا مني كتبا ليقرأوا في فترات توقف القصف . . وعندما صاروا في السيارة ، قال الرائد ثابت :

ـ أنت في الاذاعة . . أعتقد بأنه سيكون جميلا أن تتحدثوا عن لوائنا . . أليس كذلك ؟

وعرفت أنه يعاتب . وفي اليوم التالي صباحا أخبرت نبيل وبقية الاخوة فكتبوا مواد خاصة باللواء ٨٥ ، وتحدثوا عن بطولات إخوة السلاح من القوات السورية في بيروت . وبعد يومين زرنا الموقع في الرملة البيضاء ، فقال لي الرائد ثابت :

ـ شكرا . . سمعنا الاذاعة . أتعرف ماذا كان تاثير كلماتكم الحارة والطيبة ؟ كانت الطائرات تغير على موقعنا ، وقد أصيبت إحدى دباباتنا ، هل تعلم أن الجنود أطفأوا النيران التي اشتعلت في دبابتهم مرتين . . من جميل الصدف أن الاذاعة

كانت تتحدث عن لوائنا بينما الطائرات تغير على مواقعنا . . وهذا ما أجج حماسة جنودنا . .

وبينما هو يحدثنا ويشرح لنا ويرينا الاليات التي أصيبت . تقدم جندي ورجاه أن يسمح له بالذهاب للسباحة في البحر . . لقد رأينا الجندي يركض ويقطع الاسفلت ، ثم يتوارى . .

قال :

ـ مرات كثيرة يذهب الجنود للسباحة بينما الزوارق تكون قريبة جدا . . أو وهي تطلق نيرانها . . إنهم يتوقعون أن يقوم العدو بإنزال ، ولهذا يذهبون الى البحر . . لقد نشأت بينهم وبين المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين صداقات . . وهم يسهرون معا على الشاطىء ويتناوبون الحراسة .

ابتسم وهو يشير الى دبابة ، تشرف من وراء مرتفع رملي على البحر ، وتصوب مدفعها بشكل ثابت :

ـ هذه الدبابة ، هي اخر دبابة صالحة عندنا في هذا الموقع . كل دباباتنا أصيبت وهذه نستخدمها كمدفع . . أغار عليها الطيران أكثر من عشر مرات ولم يصبها . . قصفتها البوارج ولم تصبها . . هناك في تلك الشرفة موقع المقدم قائد موقعنا . . إنه يراقب بمنظاره البحر طيلة الوقت . . أحيانا نتساءل متى ينام . . وللحق لا ندري متى ينام ، ومتى يأكل . .

★★★

لقد ألقت الطائرات الصهيونية منشوراتها الصفراء على بيروت ، والموجهة الى العميد محمد عمر حلال قائد اللواء ٨٥

جاء في هذا المنشور وهو واحد من منشورات كثيرة أسقطت فوق بيروت :

ليكن معلوما لديكم بأنه ليس في نيتنا محاربة الجيش السوري أو التصدي لقوات حطين والقادسية الممتثلين لاوامرك ، ولهذا فقد أصدرنا الاوامر لقواتنا لافساح المجال أمامك وأمام قواتك لمغادرة المدينة بدون أي عرقلة أو إزعاج باستخدام الطرق المذكورة أدناه : . . . . . .

وفي نهاية المنشور توقيع

اللواء أمير دروري

قائد المنطقة الشمالية

حقا ، لقد صارت هذه المنشورات مضحكة . إن اللهجة الحازمة الصارمة الاستعلائية الواثقة التي طالما استخدمتها اذاعة العدو في الحروب السابقة قد تحولت في بيروت الى مسخرة . .

دائما كنا نظن بأن العدو قادر على كل شيء وأنه يعرف كل شيء . . ولكن بعد شهرين من القتال لا أظن أنه يوجد أحد في بيروت الغربية يحمل نفس القناعات السابقة عن العدو .

لقد اكتشفت بيروت أن العدو يجهل كل شيء عن أوضاع المقاومة ، عن مزاج الناس ، عن إمكانيات صمود نصف مدينة بيروت . . وأن معلوماته تكاد تكون صفرا ، هذا رغم أن الكثير من أوضاعنا هي علنية جدا . . مثلا تقدمت قوات العدو إلى المطار ، وهناك أخذت توجه النداءات لقنوات جيش التحرير الفلسطيني طالبة إليهم أن يتمردوا على ضباطهم السوريين الذين يقودونهم إلى الموت ، والذين يسرقون رواتبهم . . وضحك الجنود الفلسطينيون . لأنه لايوجد أي ضابط سوري في جيش التحرير الفلسطيني . . لقد تحولت الحرب النفسية التي شنها العدو إلى ثقة بالنفس لدى مقاتلينا ، ولدى ناسنا . . وقالت بيروت : هذا العدو بعبع كبر بسبب الهزائم التي منيت بها الدول العربية التي حاربته بلا استعداد .

مقـاتـل واحـد

ذهب الرقيب السابق إلى العقيد أبو موسى وقال له :

ـ أريد أن أتطوع لاقاتل معكم . .

ـ من أنـت ؟

ـ أنا رقيب سابق في الجيش السوري .

ـ وماذا تفعل هنا . .

ـ سرحت من الجيش ، وبعدئذ ، بعد انتهاء خدمتي ، جئت إلى بيروت بحثا عن عمـل ، في الحقيقـة لم أجـد عمـلا مناسبا ، لذا صرت أبسط بالخضرة . . وأحصل على القليـل من الليرات التي أرسلهـا لزوجتي وأولادي . والان كلنـا في الخطر . . وأنا أريد أن أقوم بواجبي

ـ ماذا كان إختصاصك ؟

ـ صواريـخ مالـوتكـا المضـادة للدبـابـات ، وأنا ياسيدي الاول على دورتي . . ولا يمكن أن أخطىء الهدف بتاتا . . إذا أخطأت ياسيدي الهدف . . إعدمني فورا .

إتصل العقيد أبو موسى بالتنظيمات يسأل عن صواريخ المالوتكا . . أخبروه في الجبهة الشعبية أنهم يملكون كمية من صواريخ المالوتكا في صناديقها ، ولكن ليس عندهم رماة . . إن الرماة ما زالوا في دورات خارجية ، قال لهم العقيد بأنه يريد الصواريخ فأرسلوها له وفي وقت قليل أعد الرقيب السابق صواريخ المالوتكا ووجهها الى دبابات العدو في غالبري سمعان وما أن بدأ الاشتباك حتى ، وفي دقائق قليلة ، تحولت ثماني دبابات إلى كتل من نار . . .

إنها بيروت . . . وبيروت مكنت هذا الجندي من أن ينجز عملا بطوليا مدهشا . . إن بائع الخضار العربي . . الرقيب السابق . . المواطن الفقير . . قد دمر ثماني دبابات في لحظات . . ترى ألا تختصر هذه القصة الصغيرة كل شيء . . ثم ألا تشير إلى المستقبل . . المستقبل الذي لابد أن يتحقق لو أعطي هذا المواطن إمكانية الفعل ؟!!

أيتها النسـاء

. . ولو !

منذ أيام والصديق محمد غانم يشكي من غياب النساء ، يقول :

ـ وحشننا والله . . ثم بالله عليكم لماذا المقاتلات قليلات جدا ، لماذا هن نادرات ، هل هكذا نواجه الحصار ، وكامب ديفد ، ووحشية بيغن وشارون .

ذات مرة ، ونحن ندور في حارتنا ، في شارعنا الاخير ، كما أسميه عادة رأيت مقـاتلة ترتـدي الكاكي ، مقاتلة بملابس كاكيه ، جسدها مكتنز ، جميل ، وجهها أسمـر . . وعيـونهـا سوداء وواسعـة ، وشعرها أجعد وقصير ، وفوضوي شويه . . كانت تبتسم للمقـاتـل الـذي نتحـدث معـه و. . تصـير تجنن ، وقفت أمـامهـا ، وحيتها ، هكذا بكل عفويه :

ـ مرحبـا أيتهـا الفتـاة . . كيف الحصـار معـك . . ضحكت ، كأنما عرفت . . وأنا ضحكت ، ومحمد ضحك كثيرا . .

وعلـــق :

ـ الله الله على الوقور جدا . . على الصوفي جدا ، على الذي يحمل قرآنه في جيبه

. وضحك . . ضحك كثيرا وهو يضيف .

ـ أستغفر الله العظيم . .

إن من عادتي إذا ما جدفت أو تورطت في الحديث مع الاصدقاء واستغبت بعض المناضلين أو . . غير المناضلات أن اختم كلامي هكذا :

ـ أستغفر الله العظيم . . .

قبل أيام تذكرنا النساء في مجلة الكرمل ، محمود درويش وأنا . . وقفنا على الشرفة . . البحر ساكن . . ساكن جدا . . أزرق وساكن . . قال محمود :

ـ البحر مكوي . .

ثم رأينا بنات يعبر ن الشارع ، اه أيتها البنات . . اه ما اجملكن رغم أنياب بيغن وكرش شارون . .

قلت لمحمود :

ـ أتعرف أن النساء في مخيماتنا يعتنين بأنفسهن أكثر من بعض . . بعض التقدميات . . فعلق ضاحكا ، وتوغلنا . . وهنا أسكت .

أمس جاءت الصديقه . . . وطلبت إلي أن أطقطق ظهرها ، فانقهرت . .

ـ ولماذا هذه الثقة بي . .

قالـــت :

ـ أنت أخـي . . .

ـ ياشيخه نحن صرنا نرى السيارة إمرأة . حلي عن سمانا . . أما فيصل حوراني فقد انطلقت ضحكته وقال :

ـ أنا مثل أختك . . إطمئني . . أنا أطقطق لك ظهرك . .

حدثني أبو ساجي عن تلك الفتاة التي أثناء معارك أيلول الـ ٧٠ في الوحدات ، سددت الكلاشنكوف الى رأس . . . الذي استشهد في الجنوب ، وهو يشارك في المعركة ، ورجته أن ينام معها وإلا . . قالت له انها تحبه ، وانهما قد يموتان . . .

أذكر أنني رأيت تلك الفتاة أكثر من مرة في الوحدات . . وذات يوم نقلنا أحد الجرحى في حالة اسعاف سريع ، عند مدخل شارع بارتو ومرت تختال بجسدها الرائع وملابسها الخاكية وكلاشنكوفها . . ناديناها وطلبنا اليها أن تتبرع بالدم للجريح فشمرت عن زندها وتقدمت للتبرع بدمها . . ولكن بعد أخذ عينة من دمها تبين أن دمها يختلف عن دم الجريح . .

★★★

عندما ذهبت لزيارة موقع أبو زيد في الصفير سألته عن أحد المقاتلين فضحك كثيرا ثم قال :

ـ هذا في الكمين المتقدم . . هناك توجد الفتيات . . وكلما أرسلنا له من أجل تغييره

يصـر على أنـه لن يغـادر الكمـين المتقدم مهما حصل . . لانه يتشوق للاشتباك مع العدو . . طبعا نحن لا نصدقه ، رغم شجاعته . .

★★★

المرأة . . يا الهي . . كم ان المرأة رائعة . . وكما ان الحياة بدونها حصار حقيقي . .

صحيح أن الكتاب لا يقولون هذا . . ولكن المقاتلين ، في أوقات الراحة ، وقبل المعارك ، وبعدها . . وأحيانا ، عندما تطول ، أثناءها . . يحنون كثيرا للمرأة . .

★★★

مسؤول درجة سادسة

نحن الان أمام وكالة وفا ، صور ماجد أبو شرار على الحيطان ، على مدخل الاعلام ، ماجد بنظارته ، بملامحه التي اعتدنا أن نراه بها عندما يحاور ، عندما يخطب ، عندما نختلف . . .

قلت له ، عندما رأيته في المطار ، ونحن نذهب إلى ندوة فلسطينية في روما التي أعد لها اتحاد الصحفيين العرب :

ـ لماذا تذهب إلى روما . . أتريد أن يقتلوك ؟!! قال وهو يركز نظارته :

ـ فشروا . . إذا كنت تقصد ـ وذكر اسما فلسطينيا ارتبط بتصفية واغتيال بعض الفلسطينيين ، فأنا أمر من فوقه ولا آبه له ، أما إذا كنت تقصد الاميركان والصهاينة فوالله إنني أخاف منهم . . لذا أحذرهم . . .

ماجد أبو شرار . . الفلسطيني الذي اختلفت معه كثيرا ، والذي عملت معه في جريدة فتح بعد أيلول . . ماجد القاص . . الفنان في داخله . . لم يقتله السياسي . . لا قتله الفنان . . كان يشتاق للجلوس على الرصيف تحت شمس وسماء روما ، كان يشتاق للتسكع بعيدا عن ضجيج بيروت ورسمية حياة القيادات الفلسطينية في بيروت . . الفنان فيه الذي يحب روما ، ويشتاق لمتاحفها وغناها

قتل أو بالاصح سهل عملية قتل القائد السياسي . . ماجد على الحيطان . . .
قد يأتي الصهـاينـة إذا ماتمكنـوا منا . . ويقتلوك مرة أخرى . . الا يقصفون مقابر الشهداء ؟!!
قد نذهب ونتركك ، ألا تدور المفاوضات من أجل إخراجنا ؟!! السنا ننتظر مجيء الجيوش التي لا تجيء ؟!!
وأنا أكلم نفسي واكلم ماجد أبو شرار ، وأنا سارح جاء قائد درجة سادسة أو سابعة . . ووراءه مسلح . . طبعا من لوازم القيادة أن يكون للقائد مرافق أو أكثر و سألنا

ـ وين أبو علاء صامد .
وعرفنا أنه يريد مصاري
رد جمال المصور السينمائي الشجاع :
ـ بنعرفـش .
وعندما يئس ، أخذ بسلامته يهذي ، قال
ـ الاميركان عرصات . .
هذه فهمناها . . ونحن معها . . إنهم عرصات ثم قال :
ـ . . . . أختهـم
ولم نعرف أين فعلها بأختهم . . .
وأضاف
ـ الجيش الصهيوني هامل
عال . . هذا كلام مش بطال . . وصفن وتفتقت عبقريته :
ـ رأيي نتحد مع اليهود . . ك . . أخت العرب ـ ولو . . .
ـ أيوه . .
والتقط أنفاسه قليلا .
ـ نحن مسلمون . . الحرب ضدنا صليبيه الذين يقاتلوننا صليبيون . . . قسما بالله . . .
وتريث قليلا
ـ أنا ملحد . . . بشرفي أنا ملحد
قلت له
ـ بلاش أيمان يارجل . . مصدقينك . . .
ـ لكن لازم نستغل الاسلام لشد الجماهير لنا . . .
وهنا فرطنا من الضحك ، فدهش إننا نضحك . . وكي يستفزنا ، سألنا .
ـ وين الجيش السوفياتي تبعكم . ليش مابيجي ؟!!!
ـ ليش مابيجي ؟!!!

ـ بدوش ياأخي . . البركة في جيوشنا العربية . . وهنا عاد يسأل . .
ـ وين أبو علاء يا ناس . . والا أطخ كل اللي في الشارع .
ثم راح كما جاء . . وعلق جمال المصور ـ كثروا الاجانب في شارعنا . . . اليوم . . . إنه يقصد طبعا أن كثيرين أخذوا يتوافدون إلى الشارع بسبب التوقف المؤقت للقتال . . . يقصد الذين يذهبون ويختبئون في سراديب الحمراء . .

أما الدكتور عبد الله البحراني ـ من البحرين ـ فقال : أنا صرت من هذا الشارع . . رغم أنني قبل الحرب لم أكن منه . . .

قلت له

ـ وهل يتخلى ـ القرمطي ـ عن شارعنا . . . . الان ؟

ـ الدكتور عبد الله يعمل ليل نهار في وكالة وفا . . متبرعا ، وهو من المناضلين الوطنيين البحرانيين .

إن شارعنا حقا هو شارع ، فلسطيني ، لبناني ، عربي ، أممي . . ياله من شارع مدهش . . فيه كل شيء !!

إوعـــكـــم

تســـتـــســـلمـــوا ! .

عرفني ـ أبـو ساجي ـ بصـديق له إسمـه محمـد عبـد الله ـ عراقي الاصـل ، يسكن في فردان ، وتوطدت بيننا العلاقة ، فترددنا إلى بيته كثيرا ، وتناولنا وجبات غداء رائعه ، أعدها بنفسه .

في بيت محمـد ، إلتقينـا ذات يوم بإمـرأة فلسطينية عملاقة ، عجوز ، صلبة الروح ، حدثتنا عن تل الزعتر ، عن الدكوانه ، عن سنوات الحرب ، وفي كل مرة كانت تتوقف ، ثم تنظر في عيوننا مباشرة وتقول :

ـ إوعكم تستسلموا ، مافش أبشع من الاستسلام .

ذات يوم إلتقيناها ، حدثتنا بانفعال شديد ، قالت :

ـ إسمعـوا ، مارأيتـه في ـ الـدكوانة ـ أشاب شعري ، هدم قلبي ، رأيت الكتائبيين يغتصبون البنات ، يربطون الاطفال بالسيارات ويمزقون أجسادهم الصغيرة تمزيقا ، رأيت ثلاثـة كتـائبيـين يدفعـون بنتـا إلى سيـارة والبنت تتشبث بحـافـة السيـارة العسكرية وتدفع جسدها خارج السيارة .

وهنا صرخ رجل عجوز ، لبناني ، لم يطق مايراه
ـ حرام عليكم ، مش هيك الرجولة . . مش على النسوان . . ماإلكن عرض . . ماإلكن دين ؟!! الناس استسلمولكن . . ومش من الاخلاق الاعتداء على الاسرى .

أخرج واحد منهم مسدسه وأطلق عليه في رأسه . . يالطيف على هذيك الشوفة . . ودارت عينيها بيديها كأنما ترى المشهد الان ، وبعد أن تمالكت نفسها عادت تكمل :

ـ هجم عليه واحد ثاني وبالبلطة . . يالطيف . . يارب العباد .

قال لي أبو ساجي ونحن نخرج :

ـ منذ عرفت المرأة بأن الكتائب يقاتلون مع الصهاينة ، وأن القتال صار في المحاور وجها لوجه ، وهي تتحدث لكل من تراه عما فعله الكتائبيون في الدكوانة .

مرة دعانا محمد للغداء عنده ، فرأينا هناك إبنة المرأة العجوز وصديقة لها ، إبنتها تعمل ممرضة في مستشفى فندق ـ تريومف ـ قرب فندق البر يستول ، وهو أحد المستشفيات التي أنشأها الهلال الاحمر الفلسطيني بعيدا عن المخيمات والاحياء التي تتعرض كل يوم للقصف .

تضحك البنت من نفسها وتقول :

ـ بعرفش أطبخ . . عشان هيك بأحب أعد للجرحى وجبة الافطار أو العشاء ، لانهما مريحتان . . شوية معلبات وخضره إن وجدت .

الفتاة الثانية من أسرة نابلسية معروفة ، تخرجت من جامعة دمشق قسم الاجتماع وتطوعت في الهلال الاحمر لقضاء أشهر الصيف قبل عودتها إلى أهلها في نابلس تقول :

ـ استطيع أن أعد طبخة صغيرة ، ولكني لا أستطيع أن أعد طبخة كبيرة ، مرة أوصتني أمي قبل أن تخرج أن أضع ماء على ورق العنب . . فما كان مني إلا وملأت الطنجرة . . وعندما عادت أمي ورفعت غطاء الطنجرة وجدت أنني اعددت لها شوربة ورق عنب .

حدثتني الفتيات كيف أقام الفنان ـ عدلي فخري ـ والشاعر زين العابدين فواد ـ حفلة للجرحى في المستشفى فما كان من أحد الجرحى إلا وانفعل . . كان يضع بندقية تحت فراشه ، فطلب أن ننقله بسريره خارج المستشفى ، سألناه ، لماذا ؟ فقال : جاي ببالي أضرب لي مخزنا في الهواء . . وظللنا نرجوه ولكنه رفض ، وغنى له عدلي . . وقرأ له زين قصيدة . . فتحمس أكثر . . وانقهر لانه مصاب في ساقه .

إذن فالعجوز وإبنتها هما البقية الباقية من أسرة فلسطينية كبيرة . . كانت ذات يوم . . والعجوز قلقة ، على إبنتها الشابة . . قلقة على الثورة . . لهذا فهي تقول :

ـ إذا طلعنا من هالحرب لازم نتغير . . وأنا لا أسألها : كيف ؟

والعجوز ترتجف وتقول :

ـ اللي بستسلم لازم ذبحه ذبح ، لانه بيستاهلش رصاصه في رأسه . . اخ . . إنتو مش عارفين شورايحين يعملوا فيكم إذا إستسلمتوا . . جوزي راح . . وولادي . .

. . أبو مازن . .

الهجاء . .

أبو مازن شديد ، عجوز ، متحمس ، عنيف . . عنيد ، نحيل ، طويل ، يمشي وقد اعوج جسده ، يغمض عينا ويفتح الثانية على وسعها حتى لتوشك أن تنفجر .

أبو مازن شاعر ، وهو شاعر عنيف ، حاد . . لذا فهو هجاء . . أقصد لانه لا يعجبه العجب ، إنه يرى بأن الدنيا ماشية غلط ، وبأن الثورة رايحه ـ على جهنم ـ وهو يشتغل في وكالة وفا . . ولكن لانه غاضب كثيرا ، فهو يداوم قليلا في ـ وفا ـ كلما التقيته أخرج قصاصة من جيبه وبدأ يقرأ . . إنه يلعن والد كل من لا يشتغل صح ، وأيضا يلعن والد كل الذين عندهم سيارات تزعجه بسرعتها وزمامير ها . . وأيضا . . وأيضا . . .

وأبو مازن إلتقيته كالعادة ، قرب جامعة بيروت العربية ، ولكن هذه المرة لم يكن الشارع مكتظا بالناس لنقف معا على الرصيف . . والسيارات التي يقودها طائشون ينرفزون ـ أبومازن ـ و. . أنا . . و. . كل المواطنيين . . لذا . . وقفنا بمتعة في منتصف الشارع تقريبا .

نسيت أن أقول بأنني كنت أنا والصديق محمد غانم معا ، عندما التقيت بأبي مازن . . عرفتهما ببعض . . وحكيت للصديق محمد عن ديوان أبي مازن : سماؤكم . . صحراؤكم قهر.

سألنا أبو مازن :

ـ كيف الاحوال ؟

قلت :

ـ بخير . .

أما محمد فقال :

ـ ملاح . . أكيد ملاح .

هنا علق أبو مازن بغيظ :

ـ أنتم كالذي كان يأكل الفلافل والخبز اليابس ، وعندما انتهى من طعامه الرديء ، وحشا معدته حمد الله كثيرا ، فمر به رجل واستفسر عن سر حمده المتواصل . . وعندما عرف الرجل قال له :

ـ والله إن أمثالك طمعوا الله بنا . وأنتم بصراحة هكذا . على شو نحمد الله أو عباده . . ها ؟ محدش معنا في هالدنيا . . لا اللي في السما . . ولا اللي على الارض

ثم دفع رأسه الى الامام ، واندفع وهو يحني جذعه ، دون أن يودعنا .

★★★

أحزان تحت القمر . .

عنـدمـا تتـوقف المعارك . . عندما يعلن عن هدنة . . تخرج النسوة والاطفال والشيوخ من الملاجىء ، يمتلىء الفاكهاني بالسيارات . . يعود الناس لتفقد شققهم وبيـوتهم . . يقف بعضهم في حالـة ذهـول أمـام تحويشة العمر التي دمرتها القذائف وأكلت كل ماضيها النيران . .

يخرج الناس ويكنسون الشارع من الزجاج والشظايا . . ويمدون البطانيات . . ويشربون القهوة والشاي . . ويأكلون معا . . مع المقاتلين . على الارصفة .

★★★

إنـه القمـر . . إنـه جميـل ، بهي ، مضيء . انـه السكون التام . . السكون المطلق . . كأن الطائرات والمدافع والصواريخ لم تكن إلا كابوسا . . وانتهى .

يرتمي المنـاضلون على الأرصفـة . . يتحـدثون مع بعضهم بأصوات مرتفعة . . وترتفع ضحكات وسط الصمت . .

إن المقاتلين يضحكون لان واحدا من أصدقائهم أصيب . . ما تفسير ذلك؟

إنهم يشكون من المعلبات . . يشتمون السردين ، والطون ، والمربى . . الخ ، ويعلنون شوقهم لطعام زوجاتهم وأمهاتهم .

★★★

★أدهم★ تدرب في يوغوسلافيا ، خريج دورة ضفادع . . كان الاول في الدورة .

يقول :

- إذا خرجت من هذه الحرب حيا سأقتل كثيرا من أصحاب الدشاديش - يقصد جماعة النفط ، يقصد بأنه يريد أن يكون إرهابيا .

أحد القادة قال له أن يحضر نفسه للعمل الخارجي عندما تنتهي المعركة !!

يقول . . .

- يخلف على اليوغسلاف عالجولي رأسي بعد عذاب مر ، لقد أصبت بشظية هاون ، تعذبت . . كلما طلبت من جماعتنا أن يرسلوني للعلاج إعتذروا بحجة عدم وجود فلوس . .

. . . لم يسأل نفسه عن الفلوس التي يشترون بها السيارات .

أبو نضال المصاب في ساقه ، والذي لم يتعالج أيضا يقول :

- يا أخوي إحنا ضحينا منشان فلسطين ، مش منشان فلان وعلتان . وعلى كل الناس شايفه : الشجاع شجاع والجبان جبان ، وسيبك من أفكار قتل الدشاديش وغيرها . . الشغلة مش هون سرها . . لا . . مش إنا نحمل فروده واندور نطخطخ في بلاد بره . . لازم نتعلم من الي بيصير إلنا . . الي قلك احضر حالك منشان تعمل عمليات بره صامد معنا ؟ . أكيد لا . . لازم نتعلم . . ولازم ما نقبلش حد يحرضنا ، أو يضحك علينا .

★★★

أخذ الشباب يتشاورون ، ثم قرروا أن يذهبوا ليتعشوا في منطقة الصغير عند أبوزيد . . إنك لا تستطيع أن تحدد من أي تنظيم . . من أي تنظيمات هولاء الذين ينام بعضهم على كتف أخيه أورفيقه . . أو هولاء الذين يملاون السيارة العسكرية التي انطلقت الى الصغير . . وأنت لا تستطيع إلا أن تقول بأن غناء أبوماهر في هذا السكون . . الغناء الاجش . . سوى غناء رجل فلسطيني حزين . . موجوع . . غني الروح .

تفاصيل من ا تموز . .

الساعة الثانية عشرة ودقائق قليلة حلقت الطائرات ، دويها يملأ الفضاء ، الصداع يرهقني ، رأسي ينبض ، ثقيل ، يتفجر ، بي رغبة للنوم . جئت لانام في بيتي رغم الخطر . . ولكن هؤلاء الصهاينة لا يمنحوننا فرصة للراحة ، القت الطائرات اشارات تنوير فوق منطقة المطار والبرج .

سمعت أصوات المقاتلين في الشارع ونداءاتهم وتحذيراتهم :

ـ أطفىء النور . . أطفىء النور . .

انهم يتراكضون ، ويلطون في زوايا الشوارع ، وعند مداخل البنايات .

وأنا أهبط الدرج ، في العتمة ، تضايقت من حذائي الضيق ، فكرت أن أصعد لافتعل البوط لكن الصعود مرهق ، وأنت تحمل بندقية ومسدسا ، وشرايين رأسك تنبض .

طائرات . . . طائرات . . . طائرات . . .

عندما كنت صغيرا هرب بنا أهلنا من قريتنا ذكرين . . أذكر ، كان الليل أسود ، عطشنا ، بكينا نحن الصغار جوعا وعطشا ، فأخذ أهلنا يهدهدوننا ويتحايلون علينا . أنا كنت مع إمرأة عمي . . لان والدتي دفنت وشقيقتي الصغيرة لحقتها بعد شهرين . . إنني وحيد أبي . . وأبي بقي في القرية مع المسلحين ـ هكذا كانوا يسمون المقاتلين وأبي أحد مسؤولي المسلحين في القرية . . لقد بقي

المسلحون وعدد من الجنود المصريين الذين جاءوا مع ضباطهم للدفاع عن فلسطين .

إننا في واد عميق ، واد ثقيل السواد ، سمعنا في السماء دوي طائرة ـ نحن لا نعرف ماهي الطائرة ـ ان ضوءها الاحمر يشتعل ثم ينطفىء . . صرنا نتخيلها وحشا كبيرا يبحث عنا ويريد أكلنا ، والتصق كل واحد بأمه . . وأنا . . وأبناء عمي التصقنا بامرأة عمي ، التي احتوتنا بذراعيها .

طائرات . . . طائرات . . .

منذ ولدنا . . منذ بداية طفولتنا وهم يلاحقوننا بالطائرات ، سرقوا طفولتنا ، ومراهقتنا ، وهناءتنا . . والقوا بنا الى الخيام . . الى المنفى والعدم . . ومع ذلك لاحقونا بالطائرات . .

إنني أمشي في الشارع وأتذكر ال . . وال . . ، والاعتداءات على قرى الحدود وتدميرها : قبيه ، نحالين ، وغيرهما . .

★★★

شربت الشاي مع المقاتلين على الرصيف ، قال أحدهم :

ـ جماعة السيارات هربوا . .

وفعلا انطلقت السيارات بسرعة رهيبة خارج الفاكهاني . . الى مناطق الامان . . الى الحمراء وغيرها . .

وعلق مقاتل :

ـ في الحمراء احتل بعض الشبيحة ـ هكذا يسمون الزعران وفارضي الخاوات ـ البارات والكباريهات ، شربوا كل مافيها ، فضلا عن انهم يحششون ويروعون الناس باطلاق الرصاص ليل نهار في الهواء ، ويشتبكون مع بعضهم لأتفه الاسباب . . أعصابهم بايظة . .

وقال مقاتل اخر :

ـ العلة أن هؤلاء السفلة لا يموتون . . دائما يموت الشجعان .

وقال اخر :

ـ مرات أحزن وأنقهر لانني سأموت ، وهؤلاء يبقون . . الكلاب . .

ثم سألني

ـ ما رأيك . . أنت كاتب . .

وعرفت أنهم يعرفونني . .

قلت :

ـ رأيي رأيكم . . القضايا الكبيرة يحملها رجال كبار ، شجعان . . أمثالكم أنتم الذين تصمدون . . لا الذين يهربون بسياراتهم بعيدا عن الخطر . . ولا الشبيحة والزعران هم الذين يحملونها . .

واستأذنتهم .

★★★

عندما أضيئت السماء بالقذائف الصفراء ، تطلعت عبر البوابة الحديدية بجامعة بير وت العربية فرأيت تمثال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر منتصبا . . إنه لم يسقط إذن . . كلما مررت أمام الجامعة أتطلع لارى هذا التمثال . . حتى صارت بيننا ألفة وعلاقة خاصة .

تمثال الرئيس عبد الناصر ينتصب في منتصف ساحة جامعة بير وت العربية ، يتطلع الى الجنوب . . الى قاعات الطلاب . . وحول عنقه شريط أزرق يتأرجح كلما داعبه الهواء .

تكسرت بعض أغصان الاشجار وتطايرت الاوراق واستقرت على كتفي الرئيس ورأسه . . إنه حي . . حالم . . ثابت . . منتصب الجسد والروح . .

قلت له

ـ نحن صامدون أيها السيد الرئيس . . .

★★★

في وفا قرأنا الاسئلة الموجهة لرئيس أميركا ريغان ، قرأنا إجاباته التافهة ، أهذا هو رئيس أميركا ؟! حقا إن هذا الريغان يليق بهذه الاميركا . .

جانين تسحب برقيات التلكس وتترجم لنا فورا . .

نعم إنه رئيس أميركا ، هذا هو عقلها ، وهذه ثقافتها . .

★★★

انتصف النهار ولم أغسل وجهي ، لا ماء . . لا ماء حيثما ذهبت ، لا ماء للشرب ، فكيف تطلب ماء لتغسل وجهك .

عدت الى بيتي ، الخزانات مليئة في بيتي . شغل الرفيق مسوول الموتور في الشعبية الكهرباء لنا ، وسحبنا ماء من الخزانات الارضية التي ملأوها من ماء الابار .

عندما بلغت بيتي سمعت وقع أقدام فظننت بأن لصوصا تسللوا الى البناية لسرقة الشقق التي هجرها سكانها . .

رأيت إمرأة عجوز ، إستفسرت منها عن سر وجودها في البناية ، فقالت : بأنها تخدم في بيت . . . ، الذي يعمل مرافقا لاحد القادة . . وأنها جاءت لتسقي الزهور والزريعه في بيته .

المرافق عنده خدامة ، فكيف إذن يكون حال المرافق كيف يعيش ، وينفق . . وكم خدامه عنده . . من أمهات الشهداء ؟!! والمسكينة تفكر في أكل عيشها ، تغامر وتحضر لتعتني بالزهور في بيت المرافق . . حقا : كلب الامير . . أمير .

إنني أتذكر هذا المثل ، أتذكر حكمة شعبنا وعبقرية أمثاله ، وأتذكر صبره وعذابه مع قيادات المصادفة .

لا المرافق هنا ، ولا المرافق . . إنهما خارج الفاكهاني . . خارج منطقة الخطر . .

★★★

هذه سيارات أبو إياد إذن فهو هنا ، في مكتب صامد ، على بعد مئة متر تقريبا من البناية التي دمرت حيث مكتبه .

صعدنا الدرج الى الدور الاول ، فالتقينا بأحد معاونيه الذي أخبرنا بوجوده وإنشغاله مع صحفي فرنسي .

بعد مغادرة الصحفي الفرنسي روى لنا أبو إياد قصة رسالة أمين الجميل له . قال :

ـ تعرفون بأن علاقة نشأت بيني وبين أمين الجميل أثناء المفاوضات أيام الحرب ، إن صلتنا لم تنقطع . فوجئت برسالة من الشيخ أمين ، بعد إتصال بيننا ، أرسلها لي مع سيارة ذهبت الى المتحف ، فوجئت بأن الجميل يعرض علي ، مساعدتي بالخروج من بيروت ، وأن هذا هو ما يستطيع فعله ، لانه في زمن الذين فقدوا العقل والقيم ليس باستطاعته فعل شيء ، وهو طبعا يشيد بصلابتنا وصمودنا ، لكنه يرى بأن وضعنا صعب جدا ، بل ميئوس منه .

رددت على رسالته شاكراً ، وقلت له بأننا نحن قيادة الثورة قررنا أن نصمد وأن نستشهد مع شعبنا ، وقصصت عليه كيف إتصلت بإبنتي المشلولة في الكويت وسألتها : أتقبلين أن نخرج تحت الرايات البيضاء ، فأجابتني ، رغم تعلقها بي ، بأنها تفضل أن تراني شهيدا تباهي به . . ولا تقبل أن تراني أخرج حيا تحت الراية البيضاء . .

لقد علمت بأن الرجل أخذ الرسالة وقرأها للسيد كامل الاسعد في إجتماع البرلمان اللبناني ، ولقد رد علي برسالة ثانية يفخر بها بمثل هذه الروح .

ثم حكى لنا أبو إياد كيف انفض إجتماع وزراء الخارجية العرب . قال :

ـ دخل عليهم الحبيب بورقيبه وقال لهم :

أنا غربي بكل مافي ، بملابسي وتفكيري ، ولكنني أطالبكم ، إن كنتم تريدون إنقاذ الثورة الفلسطينية وبيروت ولبنان ، أن تعلنوا عن قطع حكوماتكم . . علاقاتها بأميركا . .

سألنا أبو إياد

ـ أتعرفون ماذا حدث ؟

وأجاب

ـ طلبوا رفع الجلسة عشر دقائق . . وفي هذه الدقائق فركها كذا وزير خارجية عربي . . والذي طلب رفع الجلسة وزير خارجية دولة عربية وطنية .

ثم روى لنا أبو إياد كيف فشلت محاولة قتله في البناية . . إنه يداوم في أكثر من

مكتب في الفاكهاني ، ويربط السنترال في مكتبه بشبكة تليفونات مع المكاتب ، لذا يظن أي واحد يتصل به أنه في المكتب بينما هو يحكي معه من مكان لا يمكن تحديده . قال :

ـ تكلمت مع صاحب المكالمة . لم أقل له بأنني أبو إياد . . والمفروض أنه يعرفني من صوتي . . هل يمكن أن لا يعرفني نبيل الرملاوي ممثل المنظمة في لندن ؟! لقد إدعى صاحب الصوت أنه نبيل الرملاوي . .

لم أقل له بأنني أبو إياد . . لذا قلت لشاب صحفي عندي أن يدعي أنه أبو إياد

. . وعندما ـ مرت ـ عليه . . إتصلت فورا بعامل السنترال وطلبت إليه مغادرة البناية . . لكن عامل السنترال ـ رحمه الله ـ قال ـ أنه سينتهي من مكالمة خارجية ويغادر . .

وفي دقائق قليلة أغار الطيران ودمر البناية واستشهد عامل اللاسلكي وبعض المواطنين .

غادرنا أبو إياد ، حنا ، وأحمد أبومطر وأنا . . ودرنا في شوارع وأزقة الفاكهاني . . ثم اتجهنا الى الحمراء ، و . . افترقنا ، على أن نلتقي غدا .

التقيت بـ . . . الذي أخبرني بأن التنظيم . . . موافق على الانسحاب من بيروت ، لكنه سيسجل موقفا للتاريخ ، ومادامت فتح ستنسحب فإنه سينسحب أيضا . . لكنه ، بالتأكيد سيسجل موقفا . . للتاريخ . . .

وأضاف الرفيق . . . بأن بعض التنظيمات كررت أمامه نفس الموقف . . . ! !

إنهم مع الانسحاب . . لكنهم يريدون أن يسحبوا التاريخ معهم .

★★★

في الليل ، كنت أحاول النوم في شقة وحيد عنتر وراء فندق الحمراء الجديد ، جاءت الطائرات وأغارت ولم تقصف . . إنها تقصف لحظات الراحة القليلة . . .

طائرات . . طائرات . . طائرات . .

إنهم خلفنا بالطائرات ، فوقنا ، بالطائرات منذ طفولتنا ، وهم سرقوا منا الارض ، والطفولة ، والمراهقة ، والشباب ، ولحظات الفرح . . ولكنهم ، وهذا أكيد ، لن يجعلونا نرفع الرايات البيضاء . . .

أنا متأكد . . وهم ـ هذا أكيد ، لن يحصلوا منا إلا على الكراهية .

اليهودي . . الكريم

اليوم تغدى شارون في الشرقية . أكل نصف فروج وصحن حمص . . ودفع مئة ليرة لبنانية كاملة .

حقا إنه يهودي كريم ، إن شيلوك مغتاظ في قبره من هذا ال شارون الذي يبدد أمواله ويدسها في جيوب الامم أو الجوييم .

وإن شكسبير خجل من مسرحيته تاجر البندقية . وإن تجار الشرقية فرحون جدا ، مغتبطون جدا . . فالمئة ليرة لبنانية هي بداية . . وأول الغيث قطرة . . ورأس المال لا دين له . . ولكن لشارون دينه . . وهو لم يأت الى الشرقية ليأكل نصف الفروج وصحن الحمص . . أو لعقد المؤتمر الصحفي فقط . . إنه يريد اكثر من نصف فروج . . إنه يريد ، وهو الذئب الحقيقي ، فروجا سمينا ، دسما . . يبيض ذهبا . . يريد . . فقط . . لبنان . . وأصحاب المطاعم في الشرقية ، رغم إجادتهم للتبولة والكبة النية ، وشوية اللعب السياسي . . لا يدركون أن شارون

جاء الى لبنان كي يأكل ويملأ كرشه ، ولم يأت لانقاذهم من ـ الغرباء ـ . .

إن شارون ليس سائحا . . إنه سائح بدبابة ـ ميركافا ـ وطائرة فانتوم . . وصواريخ حديثه . . وهو يحلم ـ باسرائيل الكبرى ـ يحلم بأن يكون أحد الفاتحين الكبار في التاريخ . . والجماعة في ـ الشرقية ـ يحلمون بالسياحة ، وقتل الفلسطينيين ، وتحويل المسلمين الى مواطنيين درجة ثانية . . ان طائفة تجار الكبة النية ، البارات ، ولبنان السياحي . . لا تستطيع ، ولن . . أن ـ تضحك ـ على كرش شارون . . فهذا الكرش . . لا يشبعه نصف فروج وصحن حمص . . ولا تلهيه عن ـ حاجات ـ كرشه عبارات المديح نثرا . . أو زجلا . .

★★★

سيدتان

نحن معا في الشارع ، عصرا ، الشمس حادة ، والزجاج المكسر المتناثر يلتمع ، من زاوية الشارع أطلت إمرأة ، عجوز ، سمينة ، قصيرة ، تمشي متثاقلة ، ترفع رجلا وتوشك أن تقع ، فتسقط رجلها الثانية بسرعة ، عندما وصلتنا سألتنا عن علي عزيز .

سألتها أنا

ـ يا والدتي ، شو بدك .

قالت ، وهي تشيح عنا ، خجلا

ـ يا إبني أنا جايه من صيدا ، حالتنا بالويل ، محتاجين بدي مخصص إبني المقاتل . . حالة الناس في الجنوب صعبة كثير . . وفهمكم كفاية . .

أعطاها محمد ما يعادل مخصص إبنها .

أطلقت المرأة أدعيتها .

ـ الله يحميكم يا إبني ، أيام الشدة بتزول . . المهم تظلكم صامدين ومنتصرين . . مش مهم إحنا شو بيصير فينا . . والله يا إبني لولا الحاجة ما بنيجي نطلب منكم . . قبلت يدها ، فقبلت جبيني ، وطلبت إلى الله أن يبقيني لامي . . ـ إنها لا تعرف أن أمي غير موجوده ـ عرفت أن أبنها المقاتل إستشهد في عين الحلوه إنها تتحدث عنه وكأنه حي . . عرفنا أنها دفعت للسائق مئة ليرة كي يوصلها الى بيروت ، وأنها مرت عن عدد من حواجز الصهاينة والكتائب .

★★★

الصامدة :

لا أستطيع أن أصفها بغير الصامدة . إنها إمرأة شابة ، تسكن مع أولادها

على الـرصيف . . بالضبـط على الـرصيف ، في الشـارع الـذي يتفرع من شارع الملعب البلدي ويتجـه الى الطـريق الجـديدة . من أين جاءت ؟ لا نعرف . . إنها مع أولادهـا ، جمعت عددا من الالـواح الخشبيـة والـواح الـزينكـو مع بعض البطانيات ، و. . سكنت .

وكل هذا القصف وهي صامدة . لم تغادر .

قال محمد ذات يوم :

ـ حسبت حسابها بخمسمئة ليرة لبنانية ، لقد وضعنا مبلغا لمساعدة بعض الاسر . ولكنه انشغل في الايام القليلة الماضية ولم يقدم المبلغ لها .

كان الـوقت مسـاء عنـدمـا رأيناها تندفع باتجاهنا ، بقميص أبيض وبنطلون جينز ، قالت بلهجتها اللبنانية .

ـ وينكن . . إنتو طول النهار عم تحكوا على صمود الجماهير . . هي أنا صامدة . . بتسمحوا تساعدوني أنا وأولادي . .

قال محمد :

ـ لك عندنا خمسمئة ليرة لبنانية .

قالت :

ـ أريد غير ذلك . . بدي تسكنوني بشي ملجأ أنا وأولادي . .

لان حياتنا صارت في خطر كثير . . ماهيك ؟

وخـلال ساعـه تم تأمـين ملجأ لها ، وقـدم لها مبلغ خمسمئـة ليره ، وشـويـة معلبات وحرامات . .

عرفنا أن أخبار زوجها غير معروفة ، وأن بيتها في صبرا دمر ، وأن زوجها في الحركة الوطنية اللبنانية ، وأنه في الجنوب .

إن هذه المرأة هي أشجع إمرأة رأيتها في حياتي . . إنها لا تخاف . . والاغرب من ذلك أن أولادها لا يخافون . .

بعد أن سكنت في الملجأ راحت وأحضرت أسرة ثانية ، وعندما استفسرنا منها عن الاسرة الجديدة قالت لنا :

ـ هاي خيتي . .

ـ وأين زوجها . .

ـ زوجها راح . . وما راح يرجع . .

وعرفنا أنها زوجة شهيد .

عنـدمـا يبـدأ القصف تخرج المـرأة من الملجأ وتقف على الـرصيف تراقب الطائرات والراجمات ، وأولادها يتحلقون حواليها .

ـ لشو بدك الملجأ . . ما دام دايما في الشارع ؟

ـ حتى نعرف ننام . . بس .

أناديكم

تغديت مع عز الدين المناصرة في شقته . وهي ليست شقته ، إنها شقة فاروق وادي ، وهي تطل على قصر صالحة الانيق ، المحاط بأشجار عملاقة ، والذي يتميز فضلا عن أنه قصر ، بأنه يحوي شجرة أرز ضخمة .

بعد الغداء ، وضع ابن عز الدين رشاشته الكهربائية التي يسقط بها الطائرات بكثرة . . احتضن قيثارة ضخمة بالنسبة لحجمه وعمره ، وأخذ يضرب الاوتار بثقة ، ويغني :

أناديكم .

وبعدئذ غنى بتشجيع من والده ووالدته :

ـ وقفوني عالحدود .

★★★

من هم الذين نناديهم ؟

أهلنا يتظاهرون في مدننا وقرانا الفلسطينية رغم الاحتلال ، والرصاص ،

وغيرهم من يتظاهر ؟!!

بسبب الاصابات الهائلة في قوات العدو تظاهروا هناك ليس حبا بنا . . ولكن لانهم يريدون الحفاظ على دماء أبنائهم في جيش الدفاع هذا الذي اجتاح الجنوب . . والذي يحاصر بيروت . .

إنهم لا يتظاهرون حبا بنا . . إن ـ أقصد الجمهور الصهيوني ـ لا يتظاهر إيمانا بحقوق الفلسطينيين في فلسطينهم . . لا . . وهل يحتاج هذا الى تفسير .

سهرة .

غسلنا ملابسنا في القدس برس وتمددنا على الاسرة السفرية ، فاذا بجرس التليفون يرن .

ـ ألو . . ألو مين ؟

ـ نزيه . . نزيه أبو نضال .

ـ شو بدك !

وأشعرنا بوقار صوته ، وبغموض جمله أننا يجب أن نحضر الى حيث هو ، للالتقاء ب أحدهم . . وأن سيارة ستنتظرنا عند مدخل البناية . .

ها ، ما رأيك يا محمد ؟

وهبطنا الدرج ، و . . أخذتنا السيارة الى بيت الاذاعة .

حوالي الثانية عشرة وصل الاخ أبو إياد . بدأنا السهرة بالتنكيت على محور وادي النيل ثم انتقلنا الى قائد المحور الاخ وليم الاسير إحدى عشرة سنة في معتقلات الصهاينة ، و . . تساءلنا :

ـ ماذا سيفعل به أخواله لو أسروه هذه المرة ؟

قلائل هم الذين يعرفون أن أمه يهودية ، وهذا أمر طريف . . أليس كذلك ؟

إن وليم صامت ، وهو يتنقل ، في الليل ، بين الجامعة ومواقع أخرى ، بسيارة مخلعة الابواب .

وتندرنا بطرائف أبو عمار في الحوار مع الاطراف السياسية ، واخرها حتى الان . . اللقاء مع رئيس الحكومة الوزان . .

قال أبو إياد :

- إلتقى أبو عمار مع الوزان الذي جاء يحمل اقتراحات جديدة من فيليب حبيب ، فأخذ أبو عمار يحكي له عن الجزر اليونانية التي أرسل من أجل استئجارها للمقاتلين الفلسطينيين الذين لا يقبل بهم أحد في بلاد العرب . . وبكى الوزان . . ولم يعرض نقاط الاتفاق لانه خجل وتألم . .

لقد علق محسن إبراهيم على هذا اللقاء ، قال : بعد سنة بتصير أثينا في الحصار . . هيدا غير التجاوزات .

وبجد قال أبو اياد :

- الحركة الوطنية لا تقوم بالدور المطلوب ، وان كان الوضع يتحسن بعض الشيء . . يجب أن تعلموا أن مخازن الاسلحة عند بعض أطراف الحركة الوطنية مغلقة ، والوحيد الذي سلاحه فوق الارض هو ابراهيم قليلات أبو شاكر .

★★★

يقول أبو إياد عن الوضع في الجبل :

- أرسلنا برقيات كثيرة للجبل ، لكنهم لا يتحركون ، اليوم جاءتني رسالة فيها أخبار طيبة عن بداية تحرك لبعض المجموعات .

وعن الذين انسحبوا من الجنوب :

- رأيي أن لا يأخذ الذين انهزموا مواقع جديدة . الان لا نريد أن نحاسب ، لكن لا يجوز أن ينهزموا ويتولوا مسوولية جديدة .

وقبل أن نغادر المكان قال :

- طلب فيليب حبيب أن نرحل قواتنا من البقاع قبل خروجنا من بيروت ، وذلك كي لا نخرج ونتمركز هناك وتشتعل الحرب من جديد ، ويتدخل السوفييت وتتعقد الامور .

أسئلة كثيرة طرحت هذه الليلة . . خاصة عن الجبل . . عن وضعنا في بيروت . . عن مدى صمودنا . . عن كل شيء . . ومن الضحك الى الجدية ، من الحزن الى الغضب . . إمتدت السهرة حتى الفجر . .

حسن ، لنذهب للنوم قبل أن تأتي الطائرات .

أم ناظم تبكي .

الحادي والعشرون من تموز
اليوم هو يوم العيد
فكيف يكـون العيـد في الحصـار ، إنـه عيـد بلا ألعـاب نارية ، لان اللعب جدي جدا ، والنار نار حقيقية تأكل كل شيء .
كيف يكـون العيـد ؟ . . لامتفجـرات ، لان القتلة والمأجـورين والادوات فجروا حتى شبعوا ، في إنفجار سيارة الفنادق طارت الايدي والارجل والاصابع في الهـواء ، وحفـرت السيـارة الملغـومـة حفرة رهيبة ، لقد قتلوا الجنوبيين ـ المهجرين ـ الهاربين وأطفالهم .

كيف يكون العيد في الحصار ؟
إنـه عيـد يلبس الكاكي ، عيد يتمترس وراء تلال الرمل ، عيد يجلس وراء الرشاشات المضادة للطائرات ، أو . . إنه عيد يبكي الاحباب ، الازواج . . الاباء . . الابنـاء . . أو إنـه عيـد مقهـور من العـرب الـذين يتفرجون ولا يفعلون شيئا ، إذاعـات العـواصم وتلفـزيـونـاتهـا تواصـل برامجهـا بهدوء ، وتضـاعف من تقـديم المسلسلات لالهاء الناس أكثر عن بيروت ودم عرب بيروت .

سهرت حتى الواحدة صباحا ، ونمت ثلاث ساعات ، وجاء من أيقظني ذهبنا إلى مقابر الشهداء . المقاتلون بخوذهم الفولاذية يحرسون الطريق ، ويحرسون مداخل مقابر الشهداء . تلال من الرمل في الشوارع . . حفر صغيرة جاهزة لتلغم بسرعة إذا ماحدث تقدم للعدو .

أين الزهور لقبور الشهداء ؟ أين رائحة القهوة ؟ أين الحلو ؟ أين الاشبال ؟ أين المقاتلون الذين جاءوا لتجديد العهد لاخوتهم ورفاقهم . . أين الناس ؟

بكاء . . إنني أسمع بكاء في هذا الصباح الرمادي ذهبنا وقرأنا الفاتحة على نصب شهداء تل الزعتر ، ثم زرنا قبر الحاج أمين الحسيني وقرأنا الفاتحة ، بكاء . . بكاء حزين . . موجوع . . ومصور أجنبي يصور المرأة التي تجلس على التراب قرب أحد القبور .

من هذه المرأة ؟ ياإلهي إنها ـ أم ناظم ـ المرأة الشجاعة ، الكريمة ، القوية ، على من تبكي ؟ على إبنها ؟ لا . . . إنه قبر الشهيد ـ أبو كفاح ، فهد ـ وأبو كفاح فلسطيني من طولكرم ، قام بثلاثة عشر عملية في طولكرم ونابلس وعندما إكتشف أمره . . نفد .

أبو كفاح فهد إستشهد في مخيم عين الحلوة ، إكتشفت سيارة ملغومة في ساحة المخيم ، فأخذ ـ أبو كفاح ـ يخرج منها ال ت . ن . ت ويفكك تفخيخها ثم طلب إبعادها عن المخيم ، وواصل إخراج المتفجرات من السيارة . . وغلطة الالغام والمتفجرات هي الاولى . . والاخيرة . . ومع أجزاء السيارة تناثر لحم أبو كفاح فهد الذي كان في الثانية والعشرين من عمره ، والذي كان قد عاد حديثا من دورة عسكرية في فيتنام .

أم ناظم تعرفه جيدا ، وهي تبكيه لانه دفن بعيدا عن أهله . . إنها تبكي فيه ألوف الشباب الذين تطاير لحمهم ولم ترهم أمهاتهم . . أمهاتهم الفلسطينيات اللواتي في غزة ونابلس والخليل والقدس وطولكرم ونابلس وغيرها من المدن الفلسطينية .

فكرت أن أوقفها عن البكاء ، فكرت أن أصفع ذلك المصور الاجنبي الذي ربما يشمت بنا ،بعيدنا الحزين ، ولكنني أقلعت عن الفكرة . إن البكاء لا يعيبنا . . إننا بشر من لحم ودم ، وإننا لسنا سوبرمانات . .

★★★

أبو صالح يسعل ، يرتجف جسده كله ، يواري فمه ، ويضغط على صدره ، يقف أمام قبر الشهيد ماجد أبو شرار ، وبجواره ماجدة . . شقيقة الشهيد . . وعدد من أصدقاء ماجد . ذهبنا ووقفنا معهم . . عبد الفتاح غانم ، علي عزيز ، أبو ساجي ، ومحمد غانم ، وأنا . ومع بدء تدفق شعاع الشمس تكاثر الفلسطينيون بين قبور شهدائهم . . إنهم صامتون ، حزانى ، يتعانقون بلا كلام ، يفكرون في الشهداء . . في ألوف الشهداء ، في الايام الاتية .

★★★

تركتهم وذهبت الى قبر غسان كنفاني . . جلست بجوار الشاهدة ، نظرت الى صورته . . الى شبابه . . الى كتبه . . الى حياته . . الى لحمه ودمه . . الى يده التي وجدوها على بعد خمسمائة متر بعيدا عن بقايا جثته . . وكلمته :

ـ يا أبا فايز العزيز . . يا معلمنا . . أقسم لك أن أظل وفيا لشرف الكتابة . . أقسم أن أحب وطني ، وأن أخلص لقضيتنا . . ولشعبنا . لا تقلق . . رغم ثقل العب ء سنصمد . .

وسالت الدموع من عيني ، فداريت وجهي كي لا يراني أحد .

★★★

السير في الظلام

٢٧ تموز

يوم رهيب . .

قصف من البر والبحر والجو . .

إنني قلق . . ما معنى هذا القصف ؟ ترى أيريدون اختراق المحاور ؟

محور المتحف صامد . . قوي . . أصبح محور المتحف رمز صمود بيروت . .

في محور المتحف جيش التحرير الفلسطيني ، علمت أنهم حصنوا سبلاق الخيل ، حفروا خنادق اتصال في وقت مبكر ، استغلوا فترات وقف اطلاق النار وحفروا . .

لقد لمع اسم قائد وحدة جيش التحرير في المتحف ، المقدم عوض . .

في هذا المحور مقاتلون من كل منظمات الثورة الفلسطينية ، ومن عدد من الفصائل الوطنية اللبنانية . وراء مستشفى البرج ، في الملاجىء والادوار السفلى من البنايات يتجمع مئات المقاتلين . أكثر من مرة رأيتهم يلعبون كرة القدم بينما الطائرات في الجو ، أو . . ينقبون الملوخية والقصف لا يتوقف . على مقربة من مستشفى البريد باعة البنزين ، أولئك الذين يبيعون التنكة بمائتين وخمسين ليرة أو بمائتين ، واذا راعوك بالسعر فليس بأقل من مائة وخمسين ليرة .

إنهم يذهبون بسياراتهم الى الشرقية ، بحجة أنهم هاربون من جحيم الحرب ، ثم يعودون وفي صناديق سياراتهم غالونات البنزين .

حقا إن البنزين مشكلة ، والمشكلة الكبرى هي هذه السيارة ال ب . م . دبليو ستة سلندر التي أعطاني إياها أبو خالد والتي تشفط في المسافة بين الحمراء والفاكهاني ، ذهابا وإيابا . . تنكة . . نعم تنكة . .

صحيح أنني أحب المشي ، لكن المشي في الايام العادية شي ء والمشي في شوارع تحرثها المدافع والصواريخ شي ء اخر . . لذا احتجت السيارة أكثر من مرة لزيارة المحاور أثناء القصف أو بعد القصف لمعرفة ما جرى .

تواصل القصف حتى المساء ، وأنا لم أطق البقاء في الفردان ، فقررت الذهاب الى البر بير حيث أكون على مقربة من الاصدقاء ، وأيضا أطمئن وأرى بعيني ، وليس من اذاعة العدو ، أو اذاعة الكتائب ، أو الذين أحيانا ، يولفون الاخبار .

في السابعة والنصف مررت من شوارع لا أعرفها في النهار ، فكيف أعرفها في الليل ؟ الليل ثقيل مظلم . . والمدفعية الثقيلة تقصف والصواريخ تنهال على صبرا وشاتيلا وطريق المزرعة .

رأيت رجلين ينبثقان من عطفة أحد الشوارع ، عندما التمع ضوء قذيفة قريبة ، رأيتهما جيدا احدهما ـ أبو العز ـ من الجبهة الشعبية ، إنه ذلك المناضل العتيق. الذي عاش في مخيمات أريحا ، ناديته ، فتعرف إلى صوتي ، مشينا معا ، قال :

ـ هذا الرفيق . . . نسيت إسمه ـ يريد الذهاب إلى مستشفى غزة ، أنت إلى أين تذهب .

ـ إلى البر بير

ـ أرجوا أن تأخذه معك ، أما أنا فوصلت ، وأفترقنا . .

ـ مشينا في شوارع طويلة ، خيل لي أننا تهنا ، وأننا مررنا من وراء المتحف ، وأننا وصلنا إلى الكتائب ، خيل لي أننا نمشي ولن نصل الى مكان ، خيل لي أن الناس الذين كانوا في المدينة ماتوا جميعا . . أين الناس ؟ لا أحد . .

ـ وفجأة رأينا شبابا يحملون الاسلحة ويقفون في عطفة أحد الشوارع سألتهم ،

ـ أين الطريق الى البر بير .

قالوا :

ـ من هناك ، ومشينا من هناك ، إنني أسمع وقع خطواتي بين القذيفة والقذيفة .

ـ أبو الطيب . .

ـ هذا صوت مألوف ، إنه صوت ـ أبو فراس ـ وهذا صوت ـ أبو نضال ـ

ـ نعم . . أنا أبو الطيب .

حاولت أن أراهم رغم الظلام ، رحت إلى مصدر الصوت ، تقدموا مني

وتعـانقنـا ، أمـا الشـاب ، فدلـه الاصـدقـاء على الطريق . . . ومضى وحده إلى مستشفى غزة ، رغم الخطر.

هذا اليوم دمرت الطائرات بالصواريخ بناية الحوري في الروشة ، وراح فيها عشرات المواطنين . . وكلهم من المهجرين . . كلهم أطفال ونساء . .

لا تعودوا إلى حبقوق

جورج حاوي ، أمين الحزب الشيوعي اللبناني ، قال للقيادة المشتركة :

ـ ليست الحتمية التاريخية فقط تقول بنهاية ـ اسرائيل ـ على أرض لبنان ، إن حبقوق في توراتهم يقول ذلك . . ألم تقرأوا نبوءته . .

وطلب أبو عمار كتاب التوراة ، وقرأوا التوراة بالانكليزية ثم بالعربية ، وأوعز أبو عمار لفلسطين الثورة أن تنشر نص حبقوق .

فماذا يقول حبقوق في الثورة ؟

ـ لان ظلم لبنان يغطيك واغتصاب البهائم الذي روعها لاجل دماء الناس وظلم الارض والمدينة وجميع الساكنين فيها .

ـ حسن ، لماذا العودة إلى حبقوق ؟ ماذا يعني ذلك ، خاصة وكثير ون أخذوا ينقبون في سفر حبقوق وغيره من الاسفار ، بل أنهم أخذوا يقارنون بين الطبعات العربية والفرنسية والانكليزية .

كتبت مقالة ـ للمعركة ـ بعنوان : لا تعودوا إلى حبقوق . وكعادتي قرأتها للصديق حنا مقبل ، الذي نرفز بهدوء كعادته ، قال :

ـ لايجوز أن تكتب هكذا ، إن هذا يعني أنك ستتحول إلى شوفيني و . . متعصب دينيا . . . أما أنا فضحكت ، إنني لا أومن بالتوراة وإن موسى نفسه لا يعجبني ، ولست أرى مبررا لطباعة الانجيل مع التوراة في كتاب واحد . الصهاينة يستغلون الدين ، وهم يريدون أن يربطوا الوجدان المسيحي بطروحاتهم الخبيثة ، وبعض المفكرين ورجال الدين المسيحيين العرب إنتبهوا إلى هذا الامر وحذروا منه .

نعم وقعت مشادة بيننا ، وخشية أن أفسر بشكل خاطيء حذفت المقاطع التي اعترض عليها حنا ونشرت المقالة يوم الاربعاء الثامن والعشرين من تموز في العدد الرابع والخمسين من المعركة .

أقول ببساطة ، الصهيونية تغرق في الاساطير ، تتسلح بالتوراة ، تضلل بالدين . . نحن لا يجب أن ننجر لحوار ديني معهم ، للغرق في الاساطير . نحن نقيضهم ، وأيضا . . لايجب أن نذهب إلى الاوهام . . إن ماقصد إليه جورج حاوي وياسر عرفات هو غير ما يقصد إليه الذين انخرطوا واضاعوا وقتهم نبيشاً في صفحات العهد القديم . . .

انهم
يحرقـون الاطفـال

الثامن والعشرون من تموز

★ ذهبت إلى كراكاس ، أيقظنا عدلي من النوم ، أعد لنا شايا رائعا ،

★ وضع في المسجلة شريطا لاغانيه الجديدة ،

★ قرأت مقالتي في النداء قبل أن نجتمع ،

★ بعد أن تغدينا ذهبت إلى الفاكهاني ،

★ ذهبت إلى المدرسة المدمرة ، دفعت الباب الخارجي ، فإذا ب أبوماهر جالس في ملعب كرة السلة على حجر كبير ، وأمامه دمار المدرسة . .

لامدرسة . . كومة من إسمنت وحديد وزجاج . .

★ تركت أبي ماهر مع أحزانه ومضيت ،

★ ذهبت أنا وأبو الرائد نفتش عن بنزين درنا في الاحياء ، في الشوارع . . أضعنا البنزين الذي في سيارتنا . . وعدنا بخفي حنين . . .

إنهـم يحرقـون الاطفـال :

مسـاء قصف الصهـاينة مستشفى المقاصد فأحرقوا الادوار التي فيها الاطفال . . لقـد نقلت بقـايـا الاطفال في سيارات كميون لعدم توفر السيارات . . ومن برج الـبراجنـة نقلت السيـارات عشـرات النسـاء والاطفـال وقـد إحـترقت أجسـادهم وتشوهت .

أحرقوهم . . أقصفوهم . .
وين مابتجي . . تيجي . .
لا بـلاش . .

صرخ امر المدفعية عند البربير وهو يرى دمار مستشفى المقاصد ، وهو يرى أجساد الاطفال والنساء المحترقة . . أقصفوهم . . أقصفوا شوارع الشرقية اللي متخبيين فيها . . وين مابتجي تيجي . . أقصفوا ياشباب . .

وفي ثوان قال :

ـ لا . . . لا . . . بلاش . . اوعكم تطاوعوني وتقصفوا أحياء الشرقية . . في أطفال . . نحن مش متلهم . . أقصفوا . . بس مواقع الخواجات . . يلا . . .

و . . . أعلن عن عودة الحقير . . فيليب حبيب

المسيح مات مقهورا

وأنا بحبه

المسيح مات مقهورا
وأنا بحبه

عندما يتوقف القتال نلتقي ، نجلس على الارصفة نشرب الشاي ، نتقاسم الارغفة ، نقرأ الصحف ، نتحدث ، نتذكر الشهداء ، نسمع نوادر المقاتلين في المحاور . . يتزاور الناس ، يعود أصحاب الشقق والبيوت . . لاخذ حاجيات تلزمهم من بيوتهم . . أو . . لينظروا بحسرة إلى تحويشة العمر وقد طارت . . احترقت .

- أبو خليل :

أ . . . أبو خليل عجوز في الستين ، بلا أسنان رأسه صغير ، جسمه نحيل ، يمشي مهدود الحيل ، جاء متطوعا ثالث يوم الحرب . . يقول : جيت أستشهد ، ويصفه المقاتلون ، بأنه مستودع معلبات . إنه قلق على تموينه الخاص ، لذا يضع في كيسين معلبات خبزا يابسا ، بسكويت . . و . . شمعا . .

ذات يوم رأينا العجوز ، هذا ، يحمل كذا قطعة سلاح . . يالهي . . من أين هذه الاسلحة ؟ لمن ؟! وكيف يحملها وهو جاف متخلع متداعي الجسد ؟!!

قال :

ـ هاي . . لجماعة الامن . .اللي في بناية . . وأخذ يلهث . . ويتكلم كلاما غير واضح ،لكنه مفهوم .

ـ قطع الاسلحة هذه تركها جماعة الامن الذين في بناية . . . و هربوا عندما جاءت الطائرات ، وهو أحضرها ليعلم عليهم .

بعد ساعتين جاء واحد من جماعة الامن ، إنه شاب ، أسمر ، مفتول العضلات ، سأل عن الاسلحة .

ـ فانبرى له أبو خليل ، تأتأ وتأتأ . . عزر عليه في الشارع أمام كل التنظيمات . . قال :

ـ أنتم ذعران يعني ـ زعران ـ .

ـ أنتم ثبيحة يعني ـ شبيحة ـ . . .

أبو خليل لا يهاجم الذين هربوا ، إنه يدافع عن نفسه ، إنه ليس مستودع تموين ومعلبات . . لا . . إنه مقاتل لا يهرب من موقعه . .

ـ من أين هذا العجوز العجيب ؟

ومن الذي يعرف . . كل يوم يقول لك بأنه من بلد عربي ما . .

إن أحدا لا يتصور كم من النكت ألفها الشباب على هذا العجوز . . إنه يريد الجنة . . وهو بلا أسنان ، وبلا حيل . . فماذا سيفعل بالحوريات العين ؟!!

ـ يقول أبو ماهر . . بمثن مثّ ، فعلا ، إنها حرب لا تخلو من خفة الدم

انه حصار يمكن تحمله بمثل ، أيضا ، هذا العجوز . .

اليوم جلسنا على الرصيف ، رأيت شابا يضع صليبا على صدره . كنا نأكل الكرز ، نمسحه ونأكله . . إنه وسخ ، والماء بفضل حبيب وريغن مقطوع . . .

قبل أيام قال حبيب بأن مشكلة التموين والماء موضوعة على طاولة الرئيس ريغن . . ياللسفلة . . رئيس أميركا يشرف على قطع الماء عن أطفال بيروت . . نعم هذه هي أميركا . .

إننا نأكل الكرز ونجلس على الرصيف ، ونحلم بفلسطين ، ونكره أميركا ، ونحتقر حبيب وريغان . . ونرفع من مجد بيروت ، و. . . أسأل المقاتل :

ـ لماذا تضع الصليب على صدرك .

فيجيب

ـ مات مقهور . . عشان هيك بحبه ، لانه من جماعتنا . . جماعة المقهورين .

حدثنا هيثم عنه قال :

ـ هذا المقاتل كان شبلا . إنه من مخيم ويفل قرب بعلبك . تربى معنا ، وكبر ،

وصار مقاتلا شجاعا . قبل أيام جاء جندي لبناني ليأخذه لاهله ، ليخرجه من الحصار وينقله بسيارته العسكرية الى الشرقية ، ثم الى بعلبك . . لكنه رفض . طلب منه الجندي أن يكتب لاهله رسالة يطمئنهم فيها على أنه حي . . فرفض ، قال : لا يستاهلون رسالة مني . . أنا مش أحسن من إخوتي إلي حاملين سلاح وبيحاربوا . . أتدري أن شقيقه أيضا هنا في بيروت ؟!

جاءت أمه من مخيم ويفل عن طريق الشمال . . طرابلس . . ثم الى الشرقية . . الى الغربية . . والتقت به وبشقيقه . رفض أن يعانق أمه ، قال لها : أنا خجلان منكم . . منك ومن أبي . . قالت له : ملناش غيرك وغير أخوك . . قال لها : ولو . وهالشباب ملهمش أميات . . شو بدك إيانا نوطي روسنا . . وبكت أمه . . وعانقت ابنها . . بحثوا لها عن إبنها الاكبر ، واحضروه من منطقة الروشة . . جلسوا على الرصيف ، الام وإبناها . . جلسوا حوالي الساعتين . . ثم ودعتهم أمهم وهي تكفكف دموعها .

قلت لهذا المقاتل :

ـ اليوم هو اليوم الاول لوقف اطلاق النار السابع . . كيف شايفها ؟

قال :

ـ رايحين نوقف قلب حبيب وريغن وبشير . . . ما حد بيقدر النا . ما اسمعت حكايات الاشبال في الرشيدية وعين الحلوة ؟!

ضحكت ، فسألني

ـ ليش بتضحك . .

إنه يتحدث عن الاشبال وكأنه رجل كبير . . علما بأنه يدوبك في السابعة عشرة . . أقصد من عمره .

جهنم الحمرا

إحـراق الفـاكهاني

يبـدو أن الصهـاينـة يئسوا من إقتحام بيروت فقرروا إحـراقهـا هذا المسـاء . .
ساعات المساء جهنم حقا . . جهنم الحمرا كما يقولون . . . كل شيء يحترق .

الطائرات تغير ، تملا المساء الرمادي . ترتفع بعد أن تفرغ حمولتها ، فتنقض غيرها ، بعض هذه الطائرات رمادي اللون ، قيل بأنها طائرات كافير . .

يجب أن أذهب إلى الفـاكهـاني لارى ماذا بقي بعـد كل هذا الحريق ، قدت السيارة العجيبة ال ـ ب . م أوقفوني عند تقاطع المزرعة اليونيسكو وقالوا :

ـ لامرور على شارع المزرعة . . دمار . . وحرائق . . وقذائف لم تنفجر .

ـ وعن طريق اليونيسكو .

ـ تردد الشباب ، ثم أعلن أحدهم .

ـ حاول . . علما بأن الطريق خطر . . لقد أحرقوا كل ماحول السفارة السوفياتية . .
وأصابوا السفارة نفسها . . يظنون أن القيادة موجودة في السفارة السوفياتية . . .

حقا هولاء شباب شجعان ، أكثر من شجعان ، هولاء الذين يقفون وراء متراس في منتصف الشارع ، ينبهون المارين إلى خطورة الطريق ، ويحرسون طريق البحر . . إنهم عيون لاتنام ، عيون على أمن الناس ، وعلى بوابة البحر . .

اليونيسكو :

حرائق . . حرائق . . حرائق . .

كل شيء يحترق ، الاشجار تحترق ، البيوت تحترق ، أشجار محطمة ، كتل أسمنتية قذفت بها الصواريخ إلى الشارع . . حفر في الطريق . . سيارات تحترق أو . . إحترقت وصارت كتلا سوداء . .

هل رأيت أشجارا تحترق . . تطقطق النار وتأكلها وهي واقفة . . أغصان تحترق ، وأغصان تتوارى في الدخان ، وأغصان خضراء . . بعد قليل تتفحم . . و . . تسقط الاشجار . . لا . . تموت محترقة وهي واقفة . .

رأيت جذوع الاشجار متفحمة وأغصانها خضراء . .

هذا الليل أحمر . . وردي . . زهري . . رمادي . . جهنم الحمرا . .

لا أحد حولي . . لا أحد أمامي . . والسيارة تنزلق انزلاقا على الركام ، وأنا أتساءل : هل ينفجر بي لغم الان ؟

ماذا لو أن المقاتلين زرعوا الالغام في الحفر التي اعدوها لمواجهة الاقتحام ؟! يالها من ميتة .

إنني أمضي في النار ، أنزلق مع السيارة التي لاتتوقف . أشعر أنها بلا عجلات ، تطحن ماتحتها وتمضي في هذه النار .

من بقي من مقاتلي الفاكهاني ؟!

عند دوار الكولا رأيت أشباحا ، سمعت أصواتا ونداءات . . الاشباح تتحرك ظلالا تحت الجسر .

رأيت وجه أحد الاسرى ـ أسير ـ أطلق سراحه في عملية النورس ، قريبا من زجاج السيارة . . أشار بيديه ، كأنما يقول : إلى أين . .

عرفني . وعرفته . هذا الاسير أراه دائما تحت جسر الكولا ، مرة يبكي الكاتيوشا ، مرة يحفر الخنادق ، مرة يتحدث إلى صحفي أجنبي .

قلت لنفسي : الاسرى يقاتلون بغل ، بحقد ، بكراهية . لقد جربوا سجون العدو .

عبد الفتاح غانم هو أحد الاسرى الذين قضوا سنتين في سجن الخليل . لم يعترف ، ولم تثبت عليه التهمة . وقد دافعت عنه فيليسيا لانجر ـ المحامية اليهودية ـ عندما خرج من السجن بعد أيلول : ، ، حدثني عن ذكرياته الرهيبة في السجن ، عن صمود الاسرى وبطولاتهم في مواجهة مدير السجن الصهيوني الالماني ، ذلك الذي حفظ دروس هتلر وهو يطبقها في سجن الخليل على الاسرى

الفلسطينيين .

التففت حول جسر الكولا ، وذهبت من عند بيت ماجد أبو شرار ، ثم من أبو شاكر ، واستدرت حول الملعب البلدي . وهناك أوقفت السيارة .

ياإلهي : هذا أبو ماهر .

ـ يارجل ماذا تفعل ؟

ـ كما ترى . . . إنهم يحرقون كل شيء أولاد . . . ال . . .

ـ من أصيب . . من استشهد . . من ؟؟

ـ ما حد أصيب . . ولا حد استشهد . . يعني من بعيد وأنت ترى الحريق تظن أن كل شيء انتهى . . برضك فشروا . . والله لو ضربونا بالذرية ما قلعوا شروشنا . .

أتانا أبو نعمان الخليلي من بين النار ورأسه معصوب بالشاش الابيض

ـ شو . . صاير من أهل الله يا أبو نعمان . . وتعانقنا مع أبو نعمان الذي قال :

ـ الصاروخ أخذ واجهة البناية . . ونسف كل شيء . . والباب سقط علي . . سألت نفسي وأنا تحت الباب : ولك ياأبو نعمان . . إنت ميت والا حي . . بعدين صرت أتحرك . . وقمت . . اوقفت على حيلي . . و . . مشيت للمستشفى . . للمقاصد . . ضمدوني . . و . . عمر الشقي بقي . . يا خالي .

أبو نعمان يختتم حديثه بهذه الكلمة يا خالي وهذه ال ـ ياخالي ـ جزء من اللهجة الخليلية .

أما أبو ماهر فيعلق .

ـ الخلايله روسهم يابسه . . يعني الصاروخ لازم يبجي في راس الواحد منهم حتى يأثر فيه . . و . . يدوبك . .

وأبو نعمان ضحك

ـ إذا هيكد . . الفلسطينية روسهم يابسه وحامية . . ومش رايح يؤثر فيها كل هالشي . .

هذا أبو جمعة في ـ موقعه ـ

ـ أين محمد غانم ياابو جمعه .

ـ راح يتفقد الشباب في مواقعهم . .

ـ والشباب هنا هم من كل التنظيمات وكلهم يتفقدون بعضهم . .

النار تأكل المحال التجارية ، محال بيع الاقمشة ، والابواب تتساقط وحدها ، والجدران تتداعى . .

ناديت :

ـ يامحمد . .

فرد علي أكثر من صوت .

ـ نعم .

ـ ياأخي أنـا أنـادي محمـد . . محمـد غانم . . وفي هذه اللحظـة إنفجر ضوء رهيب ضوء ناري ملا الشوارع والفضاء والافق . . ضوء مذهل بلا صوت . .

فكـرت : ربـما يضـربـون بير وت بأسلحة إبادة • في لحظات ، في ثوان إنتهى هذا الضوء . . إنتهت هذه النار . عندما إلتقيت بمحمد ، إستفسرت منه إن كان رأى النـار التي التمعت وانطفأت بسـرعة مذهلة . . فأكد لي أنه راها . . ولم نجد تفسيرا . .

لقـد قصفـوا الفـاكهـاني وصـبرا والطـريق الجديدة مدة ساعتين . . ساعتين فقـط ، وغـرفـة عمليـات الثـورة تقول بأن العدو قصفنا برا وبحرا وجوا بحوالي مئة وخمسين ألف قذيفة . . فقط .

الخسائر في الارواح قليلة . . أما الخسائر المادية فجسيمة .

كل شيء يعوض . . المهم أن تبقى روحنا ثابتة ، وقلوبنا شجاعة . .

الاول من اب

مدفعيتنا تطحنهم

بدأ العدو معركته مبكرا .

استيقظت قبل الرابعة صباحا بقليل على دوي متواصل . تساءلت : أهي كاتيوشا أم أنها غراد . أي راجمة هائلة هذه . . ثم نمت .

في السادسة استيقظت على دوي الطيران ، وانفجارات هائلة رجت البناء رجا .

المدافع تقصف من الجبل ، من بعبدا ، من الحدث .

البوارج تقصف من البحر ، الاميركان كانوا يقصفون القرى الفيتنامية على ايقاع الموسيقى ، هتلر أيضا كان يحب الموسيقى ، هولاء يحرقون بيروت على ايقاع الموسيقى . المدافع تقصف : بم بم . . ب ب بم . إنهم يقصفون بايقاعات مضبوطة ، بانتظام ، والفواصل الزمنية تعطي القصف أبهته . . هذا قصف حضاري . . إنهم ليسوا من الشرق المتخلف الجاهل . . إنهم يحتلون بلادا اسمها فلسطين تقع في الشرق ، ويحتلون لبنان في الشرق ، ويحاصرون مدينة في الشرق ، ويحلمون بإسرائيل الكبرى في الشرق . . ولكنهم امتداد لحضارة الغرب ، إنهم بعض أميركا وأوروبا ، وهم شركاء مع أميركا وأوروبا في اجتياح الشرق . . الشرق البليد ، الجاهل ، المتخلف ، الذي لا يستحق أن يكون في هذا العالم ، ولذا فهم يقصفون ، ويغيرون ، ويدمرون . . بايقاع موسيقي . .

إنهم يعزفون على اللحم اللبناني والفلسطيني ويحققون نتائج لم يحلم بها نابليون ، أو اللنبي . . أوريتشارد . . ومن قبلهم ، ومن بعدهم . . لا ، هولاء لا يلعبون ، وأدواتهم ليست السيوف ومدافع نابليون الساذجة . هولاء معهم الفانتوم والميراج والبوارج والصواريخ التليفزيونية . . دبابات الباتون وغيرها من الاسماء التي لا تحفظها ذاكرتنا الشرقية .

★★★

ولكن اليوم وقعت المفاجأة . إن المدفعية والراجمات الفلسطينية التي لا تقصف على ايقاعات فاغنر أو شتراوس أو موسيقى الجاز الصاخبة . . أو . . نشيد نابليون قد طحنتهم . . نعم . . باختصار طحنتهم طحنا .

اليوم كان يوم مباراة غير متكافئة بين فريقين . . وبيروت شهدت المباراة بفخر . . مباراة المدفعية .

★★★

اليوم أغار الطيران أكثر من مائة وخمسين اغارة وبكل أنواع الطائرات .

اليوم حاولوا التقدم واجتياح المتحف ، وهناك دار القتال وجها لوجه ، بالرشاشات ، بالاربيجيهات ، بمدافع الهاون ٦٠ ، بالمدفعية الثقيلة ، بال ب ١٠ .

حاولوا القيام بإنزال في السمرلند ، لكنهم فشلوا . .

اليوم عيد ميلاد بيغن التاسع والستين ، ترى ما رأيه في احتفال الفلسطينيين المفاجيء به . . ما رأيه بمدفعيتهم وصواريخهم القليلة التي طحنت كبرياء آلته العسكرية التي انتصرت دائما . . بسهولة ؟!!

★★★

اليوم عملت الاذاعة بشكل مذهل ، لا أستطيع تلخيصه أو الحديث عنه بجمل قليلة . .

شباب الاذاعة على الدرج . . في المساحة الصغيرة بين الاستوديو و . . الات هندسة الصوت .

اليوم اكتشفت أن المذيع يعقوب من زكريا . . أي أنه من قرية جارة لقريتنا ذكرين . اكتشفت أننا عشنا معا في طفولتنا بمخيم الدهيشة قرب بيت لحم في بداية الخمسينات .

★★★

قرأ لنا زين العابدين فواد قصيدة جديدة عن بيروت العشاق . هولاء الفنانون المصريون أبدعوا في هذه المعركة . إنهم رفقة الحياة والتاريخ وال . . جغرافيا . . اه يا مصر . . اه .

★★★

لم تستطع الطائرات صيد أي مدفع من مدافعنا، رغم تحويمها المتواصل .

يقول العقيد ـ ابو موسى ـ نائب قائد غرفة العمليات .

ـ عسكريا لايجوز أن تطلق المدافع ، والطائرات في الجو . . ولكن رجالنا لا يطبقون العلم العسكري . . إنهم يقاتلون بروح شعب يريد الحياة . .

والعقيد أبو موسى نائب قائد غرفة العمليات يتنقل في كل مكان ، وهو ، رغم إصابته في ساقه والامه المتواصلة ، لا يكف عن الحركة والفعل ، يشرف مع العميد سعد صايل والعقيد أبو مجدي على التحصينات . . على إدارة المعارك ، على جعل المعركة في بيروت ـ مضبوطة ـ كالساعة الجيدة . .

إذا صدر الامر بوقف إطلاق النار ، فهذا يعني أن مدافعنا تسكت كلها في لحظة واحدة محدودة .

ـ أليس هذا مافاجأ العدو ؟! ـ

ذات مساء ، قبل أيام قليلة ، التقينا بأبي موسى أمام البناية التي يسكن بها ، في أبو شاكر سلمنا عليه ووقفنا معه ، وإذا بالصوت ينبثق من اللاسلكي في السيارة قال له السائق :

ـ يريدونك .

وبعد أن تكلم عاد إلينا وهو يضحك وقال :

ـ أنا مشتاق لكم . من زمان ماشفتكم . . ولكن أقترح عليكم أن تغادروا المنطقة فورا .

لقد إلتقطت أجهزتنا مكالمات العدو ، وترجمتها وحللتها . . العدو سيبدأ القصف بعد ساعة وفعلا بدأ العدو القصف بعد ساعة . .

★★★

وعدنا طاهر العدوان ـ نائب مدير الاذاعة الفتى الشرق أردني ، بمنسف ،وذلك بمناسبة ولادة زوجته وإنجابها طفلة .ولكن هذا القصف لخبط خطتنا .

اخذنا ، فيصل حوراني ، وأمجد ناصر وأنا . .نشتم هذا القذر بيغن الذي فوت علينا فرصة المنسف . . ثم وصلنا إلى إتفاق بضرورة إعداده في الغد ، على أن يذهب أمجد إلى الفاكهاني ويحضر اللبن ـ الجميد وأن يشرف فيصل على طبخ ـ الارز ـ وأما . . العم أبو عمر ـ طباخ الاذاعة ، فيطبخ اللحمة .

حوالي العاشرة ملات سيارتي بالاصدقاء واتجهنا إلى الفاكهاني ـ لنطلع ـ على نتائج المعركة بالعين .

من يصدق أننا بعد كل هذا الجحيم شربنا المرطبات . . وفي الفاكهاني ؟!!

نعم . أرسل عبد الفتاح غانم ـ أبو مجاهد ـ الذي عاد بعد قليل وقد حمل كرتونة مليئة بالمرطبات .

ـ من أين ياأبو مجاهد .

قال :

ـ من جارنا . . إنه ، تقريبا، لايغلق أبواب دكانه . عنده موتور كهرباء . .

يقـول بأنـه يجب أن يدعم صمـود الشبـاب . . بأن يفتـح أبواب دكانه رغم القصف . . وهو لم يرفع سعر أي سلعة . .

أسما مندهشة ، والحديث يختلط ، يتداخل ، يتشعب . .

إنهـا بيروت . .

إنهم يتقـــدمـون

في المتحف والاوزاعي و .

الاربعاء
الرابع من اب
قصف عنيف .
صراخ في البناية . تحطم زجاج ، البناية ترتج ، توشك أن تنهار . صراخ . . صراخ . .
أطللت بحذر من الشرفة . دخان يغطي السماء ، ركض في الشارع ، حريق صغير في محطة البنزين القريبة .
هذه البنـايـة اكتظت بالمهجـرين ، البناية لدائرة ـ الانتاج الحيواني ـ ، دورها السادس للقدس برس ، وأنا أنام أحيانا هنا .
أخبار السابعة في مونتكارلو مذهلة . هل صحيح أن الصهاينة ـ تقدموا فعلا في المحـاور ، في المتحف والاوزاعي ، هل إنهـارت مواقعنـا المتقدمة ؟ ذهلت ، ولم أجد أجوبة .

ذهبت الى ساقية الجنزير ، وقفت أمام البناية التي يقع فيها بيت السيدة هند جوهريه حيث نلتقي كل يوم ونكتب للاذاعة التي تبعد عنا حوالي مئتي متر .

جاء الاخ طاهر عدوان ، ثم جاء حنا ، ونبيل إقترح نبيل أن نذهب إلى الحمراء للكتابة في بناية الحمرا سنتر بسبب شدة القصف على منطقتنا .

ذهبنا إلى الحمرا سنتر ، كتبت برنامجي اليوم . . كتبته بحرارة ، بحماس ، بغضب . . ناديت المقاتلين بأسمائهم ، قادة المحاور بأسمائهم . . خاطبت الشعور الديني والقومي ، خاطبت رجولة وشجاعة شبابنا ، إقترح علي الاخوة أن أسجل البرنامج على كاسيت وأرسله للاذاعة ، قلت لهم :

ـ ياشباب ، سامحوني ، أنا لا أزاود ولا أناقص ، لاأستطيع أن أسجل برنامجي على كاسيت ، أريد أن أذهب إلى الاذاعة لاخاطب المقاتلين على الهواء مباشرة . . أريد أن أكون مع مذيعينا ومع مهندسي الصوت ، وداعا .

حسن ، أنا الان في الخطر . أنا دائما عشت في الخطر ، شعبنا كله يعيش في الخطر ، من منا لايعيش في الخطر ؟ اليوم أمتحن شجاعتي ، أمتحن حرارة وصدق كلماتي . . أعتقد أنني سأنجح .

الشوارع خالية . مشيت وحدي . بندقيتي في كتفي ، ومسدسي في حزامي .

الاشجار تتكسر وتتناثر على الارصفة ، محطة البنزين دمرت ، إنهم يركزون على محطات البنزين .

لماذا ؟ لان الراجمات تنقل على سيارات عسكرية . فإذا ما انفقد البنزين ، إضطر المقاتلون للبقاء في أمكنة ثابتة براجماتهم ، وهكذا يمكن إصطيادهم جوا بالطائرات ، أو برا ، بالمدفعية .

إنهم أغبياء ، لانهم لايعرفون بأننا خزنا البنزين بواسطة مئات البراميل تحت الارض . .

وصلت الدوار الذي **يؤدي إلى شارع** يتفرع منه الى الاذاعة ، فرأيت ثلاثة مقاتلين يلبسون الكاكي ، وبنادقهم في كتوفهم ، وهم يمشون بتعب وذهول .

سألتهم

ـ من وين جايين الشباب ؟

لم يردوا .

ـ ماذا جرى في المحاور ؟

لم يردوا .

ـ ولكم شو الي صار ، احكولي .

لم يحكوا لي ، ووصلوا سيرهم بذهول فأتبعتهم مسبات وشتائم لا يتفوه بها ـ شفيرية ـالسرفيس . .

وعندما مشيت بمحاذاة سور المدرسة الفرنسية إنهمرت القذائف حول الاذاعة . مرت إحداها من فوق رأسي . . شعرت بصفيرها يسبقها . . خطر لي للحظة أنها أخذت رأسي وراحت به ، وفي ثانية تجمعت على نفسي والتصقت بجدار المدرسة ، ثم أدرت وجهي إلى الوراء ، فرأيت كتلة من دخان أبيض تتصاعد في منتصف الشارع ، وأغصان أشجار قد تكسرت وتدلت من فوق السور المقابل لسور المدرسة الفرنسية ، و . . ركضت إلى الاذاعة ، عابرا الشارع الذي يفصلني عنها .

أخذت التقط أنفاسي ، وأتعانق مع المذيعين ومهندسي الصوت وإذا ب أبو إياد يدخل ، ومعه إثنان من حراساته .

قال :

ـ يا شباب الاذاعة باردة وين نفسكم . . ولو !

ثم قال :

ـ أريد أن أذيع كلمة على الهواء مباشرة . .

وجه أبو إياد كلمة للمقاتلين وأهل بيروت ، وعندما خرج من الاستوديو ـ وياله من أستوديو . . إنه خزانة مبطنة بفرشة إسفنج . . والميكرفون ملحوم في قاعدة قذيفة هاون ـ عانقناه ثم مضى . .

بعده مباشرة أذعت برنامجي . . ما ان انتهيت حتى انفجر التصفيق من المذيعين ومهندسي الصوت . . .

سمعنا صراخا في الشارع . خرجت أنا وجمال المصور ، وإذا بأحد الشباب ينزف بغزارة . إن دمه يغطي صدره ، ويغسل ملابسه إنه دم أحمر . . أحمر كثيف . . غزير . . في لحظات أحضرت سيارة عسكرية ومضت تحت القصف تنهب الشوارع ، وبوقها أمامها .

حوالي الحادية عشرة خرجت أنا وجمال . إنه نادم لانه لا يحمل كاميرته ، وهو يتأمل كل شيء حولنا ، الحرائق ، الدمار ، القذائف التي تتساقط .

فندق البريستول يحترق ، أدواره العليا نار . . والنار تتناثر على الشارع ، وجمال ـ مفتون ـ بالمنظر . . إنه مقهور لانه لا يحمل الكاميرا ، وعند عطفة أحد الشوارع ، وأمام السيارات المقلوبة والمدمرة . . وقف وأخذ يتأمل .

ـ ولك شو بتعمل يا جمال . .

ـ دم . . ولحم بني ادم يا زلمه . . .

أي والله هذا جزء من صدره وكبده . .

أعترف أن جمال حطم أعصابي في هذه اللحظات . . وقهرني أكثر مما فعل القصف بكثير . . ياله من شجاع إلى درجة تغيظني .

تغدينا في بيت أبو حاتم وميّ . أكلنا كل ما لديهم من طعام ، إنهما يقيمان في بناية الداعوق سنتر مقابل فندق الفنرهاوس ، وهذه البناية يتوفر فيها الماء ،

والكهرباء . .

منذ بداية الحرب استأجر كثيرون شققا في الداعوق سنتر ، وهذا ما أفاد أمثالي ، فنحن نستحم بالماء الساخن أحيانا ، ونأكل وجبات طيبة من بيوت الاصدقاء . . هذا مع الاخذ بعين الاعتبار أن القذائف وصلت ـ محيط ـ هذه البناية . و . . الفد هاوس . . وأكدت بأنه لا يوجد مكان امن تماما في بيروت .

غادرت أنا وسلوى العمد بيت الصديقين مي وأبو حاتم إلى بيت الاذاعة ، ووجدنا كل الجماعة هناك . . وواصلنا العمل حتى المساء .

إنه نهار رهيب . . رهيب فوق التصور . قلقنا في الصباح ، دهشنا لشدة القصف عند الظهر . . و . . ارتحنا مساء .

نعم ارتحنا . . لاننا اكتشفنا بأن العدو لم يتمكن من التقدم في المتحف ، وأن تقدمه في الاوزاعي كان عن طريق المطار ، وعبر مناطق مكشوفة .

أدركت عظمة المعركة التي خاضها أبطالنا في اليوم التالي عندما ذهبت إلى البربير . هل يعلم قادة الفرق في الجيوش العربية ، قادة مئات الدبابات الحديثة أن دبابات بسيطة ، دبابات ت ٣٤ اشتبكت في منطقة المتحف مع العدو ؟!!

استشهاد الرائد مصطفى

إنقطع الاتصال اللاسلكي بين قيادة محور البحر ، الذي يقوده العقيد أبو مجدي ، وموقع السمرلاند . العقيد أبو مجدي يعرف أهمية موقع السمرلاند ، لذا قرر أن يذهب بنفسه ليرى عن كثب ماالذي يجري هناك . الطيران يحلق ، يراقب ، يغير ، كيف إذن يصل العقيد إلى رجاله ؟ قرر أن يأخذ الموتور سيكل ، لكن الرائد مصطفى رجاه أن يذهب هو شخصيا بدلا منه ، لعدة أسباب ، من أهمها خبرته في إصلاح أجهزة اللاسلكي .

وأيضا لانه في حالة اقتحام العدو للسمرلاند ، فإن العقيد يكون قادرا على إدارة المعركة عن بعد ، يكون قادرا على دفع إمدادات وتعزيزات ، وأمام إلحاح الرائد مصطفى تخلى العقيد له عن المهمة .

ذهب الرائد على الطريق البحري ، ورغم القصف تسلل الى السمرلاند ، بعد أن أوقف الموتورسيكل عند إحدى البنايات ، أصلح جهاز اللاسلكي وخاطب

مقر القيادة ، واطمأن على الوضع ثم عاد على نفس الطريق الذي سلكه . .
لاحقته احدى الطائرات وأطلقت عليه مئات الطلقات من رشاشات ال ٨٠٠ حتى خردقته هو والموتورسيكل . .
لقد إستشهد الرائد مصطفى . . قال لي أحد القادة العسكريين :
ـ أمر طبيعي أن تلاحق الطائرة المعادية الرائد مصطفى . لماذا ؟
لان العدو يعرف أن المراسل الذي يتحرك تحت القصف هو مراسل عسكري من نوع خاص ، وهو يتحرك لامر غاية في الخطورة .
نعم ، إستشهد هذا الرائد ، بعد أن أعاد الاتصال بين القيادة والموقع الهام ، بعد أن بعث روح الحماسة في المقاتلين وطمأنهم واطمأن عليهم .

يا إلهي . . ما هذا ؟

التقيت بفيصل حوراني وشاعر سوري شاب ، فيصل يحمل كيسا ، ويمشي بطريقته المائلة بسبب الديسك الذي يعاني منه منذ سنوات .

قال وهو يأخذ نفسا

ـ البنات إجو مبارح في إجازة قصيرة . غسلوا ملابسهم وراحوا . . والملابس نشفوا في الليل وعشان هيك ميخذها إلهم حتى يغير وا .

ـ الى أين أوصلكما ؟

قال فيصل

ـ قرب برج المر .

وصلنا برج المر . أوقفنا السيارة وهبطنا .

قلت لفيصل

ـ انتظرك هنا حتى تعود .

قال

ـ لا . . تعال . . شوف منظر مش رايح تنساه طول عمرك .

ـ ولو . . شو ها لمنظر ؟!

ودخلنا في نفق تحت البناية الملاصقة لبرج المر . .

يا إلهي . ما هذا .

العتمة ، الرطوبة ، روائح البول والبراز . . مئات النساء والاطفال يتكدسون فوق بعضهم ، يمدون بطانيات وينامون بلا مبالاة ، قال الشاعر الشاب :

- إنني أتذكر مشاهد تعذيب الرومان للمسيحيين .

قال فيصل

- خمسة أدوار تحت الارض . . هذا النفق كانوا يعدونه ليكون كراجا للسيارات . . يهرب الناس كلما إشتد القصف ويختبئون فيه . . بعض الاسر تعيش هنا بإستمرار ، وقلما يخرجون بسبب حالة الرعب . . بناتي مع عشرات البنات والشباب تطوعوا في لجان الانقاذ لمساعدة الناس . .

سأل فيصل أحد الشباب عن إبنتيه ، إنهما تحملان أسماء مدن فلسطينية ، بعد قليل جاءت كبراهما تحمل مكبرا للصوت في يدها ، إنها مرهقة ، وبعد قليل جاءت الثانية التي بدت لا تقل إرهاقا عن شقيقتها .

أدهشني خضر . . إنه هنا ، أمسك بيدي ولم يقل شيئا . التصق بي . ربما لم يجد الكلمات التي يعبر بها عن عواطفه . . إحتضنته وعرفت فيصل به . . بعد قليل جاء والده ، كعادته ، يحتضن الراديو . . يبحث في محطات الاذاعة عن منقذ . . عن صلاح الدين الذي لا يجيء .

ترى هل أفران هتلر أكثر وحشية من هذه الانفاق ؟!!

إن الصهاينة يدفعون بأهلنا ، بناسنا ، بشعبنا الى العدم . . الى الهوان . . الى الذل . .

إنهم يريدون ذلك لنا ، ولكننا سننتصر عليهم بالقهر الذي سنحوشه لهم في صدورنا ، بقوة الروح ونبلها ، تلك التي لا يمكن لهم إمتلاكها . . الايام بيننا . . .

مجزرة الضبيـــة

ونحن في بيت الاذاعة ، رأينا أبو عمار في الفرن يوزع الخبز على المواطنين . رأيناه يصرف المقاتلين ويوجههم للذهاب الى فرن محدد . قال لهم :

ـ الفرن ده مش إلكم . الفرن ده للناس .

دهش الفران ، وذهل العاملون في الفرن لوجود أبو عمار بينهم . سأل الفران

ـ كم تحتاج في اليوم من الطحين لتنجز عملك كويس .

فحدد الفران حاجته .

أخذ يتكلم مع المواطنين ، يشجعهم ، يتبادل معهم الحديث . .

قلت لنبيل عمرو .

ـ أبو عمار طول في الحارة ، لذا أرجو أن تنزل وتطلب إليه مغادرة المنطقة . أنت تعرف أنهم يترصدونه . .

كنا نقف في الشرفة عندما رأينا نبيل يشبك يده بيد أم بشارة ، ويأخذها ليقدمها الى أبو عمار الذي قبل جبينها .

أظنه فيصل حوراني الذي علق .

- أبـو عمار لا يشتغـل اليـوم إعـلام لا . . إنـه يشتغـل بين النـاس بعيـدا عن الكاميرات . . هذه أيام كلها جد . .

★★★

غادر أبو عمار ساقية الجنزير فتنفسنا الصعداء .

أحدهم علق .

- مليح إللي راح ، لو اتأخر كان اجو الصهاينة وقصفونا . .

تتمة الحكاية

قال فتحي مسوول المرافقة مع أبو عمار

- لم يقل لنا أبو عمار الى أين نذهب ، إنه بسبب الخطر يطلب إلينا أن نتحرك ، ثم في الطريق يقول لنا : لنذهب الى المحل الفلاني . .

بعـد مغـادرتنـا للفرن قال : لنتحرك ثم في الطريق طلب إلينا أن نذهب الى الصنـايـع وقبل أن نصلها قال :

- وإلا أقلك . . خلينا نروح للبيت العربي إلي هناك . .

وصلنـا البيت العـربي ، على بعـد مئتي متر تقـريبـا من بنـايـة الصنايع . . ودخلنا . . وفجأة رأينا الطائرات ، فقال أبو عمار :

- دول جايين علشانا . .

و . . في ثواني . . لم تعـد بنـايـة الصنـايع موجـودة . . لقـد ضربت البنـايـة بصواريخ فراغية لم تستعمل في أي مكان في آية حرب من قبل .

وسكـــان تلك البنـــايـة هم بقـايـا أهـل مخيم الضبيـة . . إنهم فلسطينيـون مسيحيـون . . إنهم بقـايـا المسيحيـين الفلسطينيين الذين ظلوا على قيد الحياة بعد مذابح للكتائب للمئات من أسرهم وذويهم .

البلدوزر تحفر بلا جدوى

ذهبت في الليـل الى البنـايـة . إنهـا مرصـوصـة في الارض . . الرمل الاحمر يفيض على حواف البناية التي غورت في عمق الارض .

بلدوزر ضخم يتحرك فوق الدمار . . ولكن بلا فائدة . صرخ أحد الاشخاص :

- توقف . .

ثم لا شيء .

إمـرأة تلطي بجـدار البنـايـة المقـابلة وتبكي . . تبكي ، بكـاء رتيبا . . بلا توقف ، من هي هذه المرأة ؟ وماذا يعني أن نعرف ؟ وعندما أدرت ظهري ومضيت سمعت صرخة .

- وقف . . هاي جثة . . على مهلك . .

كيف كتب

نعي علي فودة

وهو حي ؟

أخبرنا شاب عراقي بأن علي فوده إستشهد . وأكد .
ـ رأيته بعيني وهوينقل في السيارة دون حراك . لقد أصيب بشظايا قاتله مزقت صدره وحطمت وجهه .
إنتظرنا ولم يأت ما ينفي الخبر .
ارسلنا من يبحث عن علي في المستشفيات ثم قررنا أن ننعي علي فوده مع الشهيدة نعم فارس والشهيد سمير درويش .
كتبت بيان النعي بنفسي ، وفي عدد المعركة يوم السابع من اب ، في اليوم الخامس والستين للمعركة صدر بيان النعي . ثم اكتشفنا أن الشاعر الصديق علي فوده حي . . وأنه في المستشفى ، أرسلنا من يتأكد من الخبر ، نعم إن علي حي . .

ولكن كيف حدث هذا ؟

لقد نقل علي فودة إلى مستشفى الجامعة الاميركية بعد إصابته في ـ عين المريسه ـ وهناك أدخل في غرفة الانعاش ، وإعتني به الاطباء دون أن يعرفوا من هو ، أومن أين هو . وبعد يومين بدأ يفتح عينيه . سأله الطبيب عن إسمه ، فقال له إسما غامضا ، ثم سأله عن عنوان له . فقال له .

ـ فندق نابليون . .

وحاول أن ينطق بإسم الشاعر الدكتور نذير العظمة . .

ذهب من يخبر الدكتور نذير بأن شخصا ، واعطوه إسما غريبا ، في المستشفى . . يطلبه . حاول أن يتذكر الاسم الغريب فلم يستطع . . إستفسر أكثر عن المريض ، فوصفه الشخص له . قال له بأنه شائب و . . وصرخ الدكتور نذير ـ هذا علي . . غير معقول . . إنه حي . .

وانتشر الخبر في بيروت : علي فوده حي .

علي فوده مضمد الوجه ، كسور في عظام الفك ، تحطم في عظام الصدر . .

لقد أصيب علي وهو يوزع ـ الرصيف ـ التي حولها إلى جريدة أثناء الحرب ، عندما ذهب الرصيفيون الى على فوده فتح عينيه وحاول أن يبتسم ، كأنما يقول : أنا حي . . عمر الشقي بقي . حرك يده اليمنى ، كأنما يكتب وحرك أصابعه ، بإشارة فهموا منها أنه يطلب إليهم الذهاب . . لمواصلة الكتابة . .

تزوج علي فوده من ألمانية ، وبعد أشهر إختلف معها . . وعندما افترقا اعتبر علي أن موامرة ما حيكت من أحد التنظيمات لابعاد زوجته عنه . . كتب هذا في مجلة ـ الرصيف ـ قبل الحرب . .

لقد علمت زوجته الالمانية ، الممرضة . . بأن علي في المستشفى فذهبت إليه . ولقد بقيت معه في المستشفى . . تقوم على العناية به ، لقد بدا علي سعيدا رغم الامه ، لكن علي استشهد يوم الثاني عشر من اب .

وفي جنازته مشت الممرضة الالمانية . . زوجته التي عادت إليه عندما سقط جريحا . . ومشى أصدقاوه . .

لقد تعرفت بعلي فوده في عمان عام ١٩٦٩ . كان علي يسكن في غرفة متواضعة قرب المقبرة في جبل النظيف لقد عاش يتيما ، مشاكسا ، عنيدا ، شجاعا .

خيـــول فلسطينية

في الميدان

منذ السادسة صباحا وحتى الخامسة مساء والطائرات تحلق وتقصف .

إنه يوم مر . . وقاس ، ولقد تحملناه . . تجرعناه وتحملنا مرارته .

أعلنت إذاعـة الجـواسيس ـ إذاعـة الكتـائب ـ في الشـرقية بأن سباق الخيل سقط . . لكن الخيول الفلسطينية صمدت في الميدان رغم كل صنوف الطائرات ، ورغم كل أنواع القذائف والصواريخ .

رأيت شابا وقورا يوجه إصبع يده الاوسط الى الطائرات . . قهرا الطائرات تحلق منخفضة لان مضاداتنا ضعفت كثيرا .

اليوم إجتمع كنيست الصهاينة و . . أخرجوا الفلسطيني توفيق زياد من بينهم .

اليوم حمل ريغان سفيره عند الصهاينة بأنه سيسحب فيليب حبيب من المفاوضات .

أما حسني مبارك فتحدث عن الحكم الذاتي ، وتحسر على الذين عارضوا كامب ديفيد . . وقال : لو أنهم قبلوا بالكامب إذن لكان الفلسطينيون الان على أرضهم . .

والطائرات من كل الانواع تغير وتقصف . . وتلعب في سماء بيروت . الصهاينة يتدربون في مدينة بيروت .

وفي اليوم التالي إتصل الدكتور احمد أبو مطر بصديقه الدكتور صالح أبو إصبع المقيم في إميركا فأخبره صالح بأن الصهاينة خرجوا أمس دورة طيارين جديدة ، إذن فهم يدربون طياريهم بمدينة بيروت .

ماذا أقول في هولاء الصهاينة ؟

ـ إنهم أتفه واحط من هتلر وموسوليني .

ـ إنهم أكثر فاشية ونازية . . إنهم عقد . . مزيج من الدونية والانتقام من الماضي ، والاستعلاء . . والكراهية لنا كبشر . .

ـ إنهم يضعون الصراع في إطاره الصحيح . . إما نحن أوهم ، وإلا ماذا تقول طائراتهم التي تستبيح مدينة طيلة إحدىعشرةساعة ؟!!

قال الصديق فيصل حوراني .

ـ اليهود ممكن يفكروا عندما تصير سلامة كل واحد منهم الشخصية في خطر ، وعندما تحلق طائراتنا فوق رووسهم ونقتل في ضربة واحدة خمسمئة شخص منهم . . مثلا .

سألته .

ـ وماذا سيحدث عندئذ .

ضحك وقال ، وهو يقف ويطقطق ظهره .

ـ عندها سنكتب بشرف أننا لا نوافق على مثل هذه الاعمال ، وعلق أحد الجالسين ، وضحكنا . . نعم ضحكنا كثيرا .

والطائرات فوق رووسنا تهبط وتصعد وتخرج أصواتا فظيعة .

قلت :

ـ نفسي في بطيخه .

قال فيصل :

ـ في هذه الحرب عندي بطيخة صيفي في بطني . . شورأيك توخذها وتوكلها . . ولا حد حوش .

ظهرا ، رغم القصف ، ذهبنا الى كراكاس واجتمعنا في بيت الفنان عدلي

فخري .

تغيب أغلب الكتاب هذا اليوم ، ومع ذلك ناقشنا عدد اليوم ، ووزعنا مواد عدد غد .

تحدثنا عن علي فوده . قال ميشيل النمري :

ـ فرحت لانـه تصـالـح مع زوجتـه . لقـد ذهبت باولا زوجة ميشيل وهي إيطالية ، وأخبرت مطلقة علي بإصابته ، فما كان منها إلا وذهبت وبقيت معه في المستشفى .

اليوم أفادنا الصهاينة بإغاراتهم المجنونة .

لماذا ؟

لان حالة من التراخي بدأت تنتشر مع أخبار المفاوضات حول الانسحاب .

حدثني أبو موسى قال :

ـ تعبت وأنـا في غرفـة العمليات ، فغادرتها ، الطائرات تملا الجو ، درت أنا والسائق بالسيارة في الشوارع ، رأيت شجرة قرب إحدى البنايات فقلت للسائق أن يتوقف . نزلت ، وذهبت وتمـددت تحت الشجـرة ، قلت للسـائق أن يحضـر ركوة القهوة . . وزجـاجـة المـاء . . وبـابور الغاز ، دهش السائق ، فأكدت عليه ، إن رأسي يكاد ينفجر من التعب ، إنني جائع ، ومصاب بصداع ، و. . مشتاق لفنجان قهوة .

ما أن بدأنـا بإعـداد القهـوة حتى أعطى اللاسلكي إشارة لي . . وعرفت بأن محور المتحف يعـاني من ضغـط العـدو . . إنـه الـرائـد عوض . . ماذا نفعل ؟ إنني كعسكري أعرف بأن المدافع لا يمكن أن تعمل والطائرات فوقها . . إن إعطاء أمر بالقصف يعني موت رجال المدفعية . . لان إنكشاف مواقعهم يعني موتهم .

ما العمل ؟

ـ ووجهت البرقية التالية :

منطقـة كذا تحتـاج إلى إسنـاد مدفعي ، على كل من يجد لديـه إمكـانيـة للقصف أن يوجه نيرانه . .

ماذا حدث ؟

ـ في دقـائق كانت عشـرات ، مئـات المـدافـع ترعد وتدوي وتلهب المنطقة . . لقد أحرقوا ذبابات العدو المتقدمة ، رغم إكتظاظ السماء بالطائرات الصهيونية .

هذه القصة تختصر بطولات ذلك اليوم و . . كل يوم .

الجمعة الثالث عشر من اب .

إنـه يوم هادىء . ذهبنـا ، عدد من الاصـدقـاء وأنـا ، لـزيـارة الاصدقاء في الجامعة الاميركية ، محور وادي النيل .

تحت إحدى الاشجار ، على مقعد خشبي ثابت تجلس إمرأة أجنبية بذهول . . .

ـ ما حكاية هذة المرأة ؟

قال وحيد عنتر ـ السوداني ـ

ـ دائما تحمل كعكة و . . قنينة ماء . . وتتطلع الى البحر ، كأنها تراقب الزوارق والبوارج . ظنناها تحشش . . لكننا تأكدنا بأنها لا تحشش . . كلمناها لم ترد سوى بكلمات غامضة ، أخبرنا عنها فأخذوها إلى المستشفى بعدئذ عرضوا عليها أن ترحل إلى بلدها . . فرنسا ، فرفضت ، إنها منذهلة . . فقط . . زوجها كان طبيبا ، ومات قبل سنوات . . وهي رغم موت زوجها لم تغادر بير وت .

ـ أهي الضمير الاوربي الذي يرى برعب ماافترفه بنا عندما دفع إلينا بالصهاينة ؟

ربمـا .

ـ أهي الكراهية للحرب . . للحرب التي تحرق بير وت وأهلها ؟

ربمـا .

ـ المرأة جالسة قبالة البحر . . ترفع القنينة وتبلل شفتيها ، وتعيد القنينة عند قدميها ، ثم تميل رأسها على يدها . . وتبدو كأنها . . تنام .

هذا هو الدكتور إحسان عباس . . الحبيب إلى قلوب الكتاب والشعراء والمواطنين الذين يعرفونه . . هذا وجهه الفرح المفرح رغم الحرب وأهوالها . .

وهذا هو محي الدين صبحي . . محي الدين الذي لم يسافر .

في عيني الدكتور إحسان **تألق** لايخبو ، وفي محياه يقين وإيمان وثقة بلا حدود .

الدكتور إحسان عباس ، القروي الفلسطيني . . لا شك يعرف ما تخبئه لنا الايام ، وما تفعله بنا الدول . . ويعرف غدر الطوائف وكيدها . . الطوائف التي ولاؤها للطائفة وليس للوطن أو الامة . .

ومع ذلك فهو يضحك . . يهتز ضحكا ، يشرق وجهه بفرح . . يسألني عن الاحوال ، ويستفسر وهو يعرف .

أما محي الدين فهو مدهش حقا ، كلما التقينا يعلن لي بأنه سيغادر ، لانه لا يجيد القتال ، وهو يقول :

ـ يجب أن يبقى المبدعون أحياء ، لان الامة بحاجة للعقل .

ذات يوم جاء وأعلن بأنه سيغادر مع الرعايا الاميركان ، لانه موظف في الجامعة الاميركية ، والتقيته بعد أيام ، ودهشت لعدم سفره فقال :

ـ لا . . لم أستطع السفر . كيف أسافر و . . أنا المومن بالامة و . . لم أستطع . . قلت أموت مع أهلي **وفي** وطني ، ولو أنني لا أحمل السلاح .

وضحكنا معا . . ضحكنا من أشياء كثيرة .

ورفعت المرأة الفرنسية رأسها ونظرت إلينا ، كأنما يدهشها أن يضحك أهل هذه البلاد برغم هذا الجحيم .

البنـــزيـــن :

ذهبت بالسيارة إلى الفاكهاني ، في المزرعة إشتريت تنكة بنزين بمائتين

وخمسين ليرة لبنانية . قال الشاب الذي باعني البنزين :
ـ إسمي رياض ، وهناك بيتي ، خلف منظمة التحرير الفلسطينية . هذا البنزين صافي تماما . . إنه من بنزين المطار ، أحضره لي قريبي . . .
مسطولان :
وأنا ذاهب إلى الحمراء ، رأيت مسلحين يندفعان إلى منتصف الشارع ويسدان بنادقهما أمامهما . أوقفت السيارة بسرعة . .
ـ لماذا تقفان في منتصف الشارع .
قال أحدهما .
ـ خذنا إلى الحمراء لو سمحت ،
صعدا .
ـ لماذا تسدان الشارع .
أخذا يتأتئان ثم فاجأني احدهما . أنا أعرفك . . هل ستذهبون وتتركوننا هنا . . هل صحيح أن الناس يسجلون أسماءهم من أجل الرحيل ؟
عرفت أن كل واحد منهما من تنظيم ، وأنهما من الذين احتلوا بارات الحمراء ، وهربوا من أداء واجبهم .
أوقفت السيارة بسرعة ، وفتحت الباب ، وصرخت بهما ، ويدي على مسدسي :
ـ إنزلا بسرعة . . جبانان .
ـ فنزلا بلا كلام ، ومشيا مترنحين .

★★★

اليوم علمت أن نصر إبن عمي ثابت وصامد في موقعه رغم الانسحابات التي حدثت .
لقد صمد مع عدد قليل من المقاتلين في قصر منصور وراء السفارة الكويتية . وضع الصهاينة مكبرات الصوت في الثكنة أمامهم ، فطلب نصر مكبرات صوت ووضعها أمامهم ، وأخذ يوجه لهم نداءات ويطلب منهم الاستسلام وإلقاء السلاح . لقد سجل شباب الاذاعة ، الذين في القسم العبري نداءات بالعبرية على أشرطة كاسيت ووزعوها على المحاور لتذاع في مكبرات الصوت .
وعندما كان المقاتلون يديرون الاشرطة العبرية ، كان الجنود الصهاينة يأخذون في إطلاق الرصاص بغزارة كي لايسمعوا النداءات ، خاصة بعد أن بدأت عمليات الانقضاض المباغته ضد مواقعهم . .

★★★

المساعد أبو علي :
عندما التقيت بنصر حدثني عن المساعد أبو علي .

لقد تعرفت بالمساعد أبو علي في زياراتي السابقة لقوات بدر مقابل السفارة الكويتية ، في منطقة الامم المتحدة . والمساعد أبو علي ممتلىء الجسم ، متوسط الطول ، قمحي اللون ، شعره أشيب قصير .

قال لي عنه نصر :

ـ تصور أنه عندما أخذ الجنود الصهاينة يقصفون علينا من الثكنة المقابلة بعد احتلالها ، أخذ يقنص عليهم بالاربيجي . . أي والله . . إنه يتسلل ويفاجئهم . . وعندما يطلق القذيفة تسكت مواقع العدو ، ثم بعد أن يتمالكوا أنفسهم تشتعل الدنيا . . المدافع والرشاشات . .

وهو يضحك ، يقول : يا رجل ، بدك تموت ؟! ، فبماذا أجاب ؟ قال : عندي عشرة أبناء ، ستة منهم وأنا للثورة وفلسطين وأربعة لامهم . . أربعة بيعيشوا . . ويبزروا لفلسطين . .

وأبو علي في الخامسة والاربعين . . أبو علي الذي خلف عشرة . . بعضهم شباب .

★★★

الكـــآبة

نعم ، نحن نعيش لحظات الكابة ، والحزن والذهول .
الايام بطيئة . . بطيئة جدا . ثقيلة ساعاتها على القلب ، كل واحد ينظر في عيني الاخر ولا يقول شيئا ، لايسأل . لكن سوالا واحدا يملا العيون والقلوب والشوارع ، واللحظات ، هل سنرحل حقا ؟
ثلاثة أشهر قتال ، ثلاثة أشهر صمود و . . ثم خذلاننا . إنتظرنا ولم يأت أحد . والذين كانوا في بيروت من بلاد العرب . .
كما قال أحدهم صاروا فلسطينيين ، إنهم ينتمون إلى فلسطين القضية والثورة و . . . الحالة ، والحلم ، ولذا فهم لا ينتمون لبلد ، لاقليم ، لطائفة . . إنهم ينتمون لجوهر هموم الامة وهمها وهاجسها وحلمها . . لفلسطين .
الصهاينة خرجوا من وكرهم ، وهذاهو مقتلهم ، ووحدنا لا نستطيع القيام بهذه المهمة . . إنها فرصة تاريخية سيكون من الصعب أن تتكرر . . ولذا فنحن

ندفع الثمن . وهل توقعنا غير ذلك من دول القهر وتدمير الروح ، ودول الاثراء من دم الناس ، ومن دموعهم وجوعهم ، من طوائف الولاء للتخلف وانحطاط العقل وفساد الروح . . دول سايكس ـ بيكو ؟

★★★

اليوم بدأ الحديث عن الحدود العربية .

اليوم بدأ الحديث عن ذكريات السجون العربية .

كنا في الاذاعة ، وأخذ الشباب يتذكرون ، يا للسجون العربية . . إنها تتحد ضد الفلسطيني . . تتحد ضد قدميه اللتين تمشيان الى وطنه ، ضد يديه اللتين تكتبان وتتدربان على اطلاق الرصاص ، ضد عينيه اللتين تعبران الاسلاك الشائكة الى ترابه وأشجاره وعظام ابائه وأجداده .

هذا أحد الاصدقاء يتذكر كيف سجن بعد انطلاقة الثورة . . إنه يسرد التفاصيل . كل شيء عن تطويق بيتهم . . عن الزنزانة . . عن التحقيق . . يقول :

ـ والدي كان ضابطا في الشرطة . ظننت أن هذا سينفعني ، فاذا به يضاعف حقدهم ضدي . كيف أكون مخربا ووالدي ضابط ؟ مخرب ـ بالضبط كما يقول الصهاينة في اذاعتهم . أما حكاية المحقق الأدمي والمحقق السافل فقد عانيت منها الامرين . . واحد يعطيني سيكارة ويطلب لي كاسة شاي ، فأظن بأنهم سيفرجون عني ، وأن المسألة ليست الا غلطة وسوء تفاهم . . والثاني يعذبني صنوفا لم أسمع بها . . ولا أنساها . .

ميشيل النمري يتذكر . . نبيل يتذكر . . أنا أتذكر . . فيصل حوراني يتذكر . . نعم تذكرنا السجون في كذا دولة عربية . . تذكرنا الابعاد والطرد واللوائح السوداء .

ترى هل نتذكر الايام الاتية . . الايام التي تنتظرنا ؟ . .

بكـــى صاحـــبي

بيروت حزينة . . بيروت صمت . . بيروت ليست هي بيروت . . بيروت تذهب ظنونها بعيدا ، تفكر في اتيات الايام .

المسلمون يقولون : المقاومة جيشنا ، وذهابها يجعلنا عراة أمام ذئاب الصهاينة . . الصهاينة الجدد . المسيحيون الوطنيون يحسبون ألف حساب لمذابح ستأتي وقد لا تنتهي الا بخـراب لبنـان . . الحـركة الوطنية التي قاتلت رغم كل متاعبها ، ترى أمامها شارون والجميل وحداد . . إن ميزان القوى يختل تماما . . للمرة الاولى .

أمـا الفلسطينيـون . . فلسطينيو لبنان فهم يستعدون لمواجهة أقدارهم ، هم لا يريدون للثورة أن تذبح في بيروت . لكنهم يدركون أن حياتهم لن تكون امنة .

★★★

كل شيء صامت في بيروت . إنه صمت جليل ، حزين .

أربعـة عشـر عاما والفلسطيني يقاتل على أرض لبنان ، يتلقى الرصاص من

أمـام ومن خلف ، ومن فوق و. . من تحت . . الـرصـاص والالغـام والصواريخ . أربعـة عشـر عامـا و . . يخلف مقابر تغص بالقبور ، قبورا تكتظ بالجثث و. . يرحل . . يرحل ، ولكن ؛ إلى أين ؟!!

من الاردن الى لبنان . .

ومن لبنان إلى أين ؟!!

★★★

في الليـل ، في بيت الاذاعـة ، التقيت بيـاسـر عرفات ، ما إن فتحت الباب حتى سمعت صوت ياسر عرفات الجالس بين أسرة الاذاعة على ضوء شمعة :

ـ تستاهل بوسة من بين عينيك على معلقتك في المعركة . .

وتعانقنا . .

خجلت من الاطـراء وأنـا الـذي تعذبت في السنوات الماضية بسبب مقالاتي وقصصي ورواياتي . . ما أكتبـه هو أبسـط الـواجب . وأنا مقتنع به . هنا مشكلة المثقف في الثورة ، إشكالية علاقته . إنه ثقافيا ينظر الى قضيته نظرة استراتيجية ، لذا يختلف مع كل ما هو تكتيكي . . وهذا أمر بديهي تماما .

الروائي . . الشاعر . . القاص . . لا يمكن أن يولف عملا أدبيا عن محاسن الدولة الفلسطينية . إنه يكتب عن فلسطين ، برؤية تاريخية ، حضارية ، وطنية ، قومية ، إنسانية . . لذا ، هنا إشكالية علاقته باليومي ، بالاني ، بالراهن . .

★★★

جاء من يخبر أبو عمار أن واحدا من قادة العرب يطلبه على الهاتف . . قال أبو عمار :

ـ قل له مش موجود . .

قلت :

ـ هاتوله أبو العون يحكي معه . .

★أبـو العـون شاب ظريف . . من العنـاصر القديمة في الثورة . . عمل في الاعـلام المـوحـد ، سائقـا ، كان يستقيـل ويذهب الى الكويت ، فيشتري سيارة شيفـروليـه أوما شابهـا من السيـارات الفخمة ثم يعود الى الفاكهاني . .و . . بعد شهـر ، شهـرين . . لا يجد ثمن طعـامه . . فيبيع السيارة . . و . . يعود للعمل في الاعلام الموحد . . وكان المرحوم ماجد أبو شرار متسامحا معه ★

قال أبو عمار :

ـ فشر . . والله ما بيستاهل إنه يرد عليه أبو العون .

★★★

عنـدمـا هم أبـو عمار بالخـروج ، طلبت منـه باولا زوجـة صديقنـا ميشيـل النمري ، الايطالية ، والتي التقطت صورا مدهشة في الحرب ، الجريئة والمغامرة ، أن تلتقط له صورا تذكارية ، فقال :

ـ مع بعض كلنا . .

ثم طلبت منه أن تصوره منفردا فوافق ، وهو يزبط حطته وعقاله ، ويردد :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقـــن أنا لاحقـــان بقيصـــرا

وأتممت :

فقلت له لا تبك عينـــك إنمـا
نحاول ملكا أو نمـــوت فنعـذرا

وأضفت :

ـ الذي قاله المتنبي ينطبق على حالتنا أكثر . .

وســـوى الروم خلف ظهرك روم
فعلى أي جانبيـــــك تميـــل

قال أبو عمار ضاحكا :

ـ يا باولا إيه رأيك نعينك ضابط ارتباط مع القوات الايطالية اللي حتيجي ؟

فردت باولا :

ـ بس أنا فلسطينية يا أخ أبو عمار . .

وأكد وهو يغادر :

ـ صحيح . . قضيتنا عالمية . . صحيح . . أنت فلسطينية بتعرف طلياني .

★★★

اليوم سجلت اخر حلقة في برنامجي : كلامنا بلدي .

اليوم التاسع عشر من اب . .

سألني طاهر :

ـ لماذا تتوقف ؟

قلت :

ـ يا أخي طاهر لم يبق ما يقال . .

وتذكرت ما كتبه شاعر فلسطيني قبل عشرين سنة . . إنه الشاعر حسن النجمي :

لم يبق ما يقول
الموت غير الموت في بلادنا
وغيرهم في أرضنا الرجال

وأظنه . . بعد تلك القصيدة سكت عن الشعر .

★★★

ذات يوم بعـد الحصـار التقيت مع الصديقين مي صايغ وأبو حاتم ، وذهبت معهـما الى مكتب العـلاقـات الخـارجيـة ، وبعد أن جلست قليلا نهضت للخروج

فاستوقفني أبو حاتم وهو يقول :

- إنتظر قليلا لنلتقي مع ضيف هام . .

وبعد قليل حضر وزير الخارجية الكوبي . . و. . تم اللقاء بالاخ أبو عمار .

تلقى أبو عمار مكالمة هاتفية من غرفة العمليات . . أظنه العميد سعد صايل الذي كان على الخط . .

كان أبو عمار يردد :

- خمسة كيلومتر . . يعني مش للدامور . . طيب انسحابهم موكد . .

وعرفت أن أخبارا جاءت من السعودية تقول بأن العدو الصهيوني ربما ينسحب من حول بير وت مسافة خمسة كيلومترات . .

علق أبو عمار وهو يغلق التليفون ويشد على يدي :

- حاذلهم يا شاور لو صح الكلام ده . . حاذل كل اللي قاعدين في عواصمهم بيتفرجوا علينا وعلى بير وت . .

★★★

والان . . .

لم ينسحب العدو فنذل سلاطين العواصم . . إننا ننسحب ، فماذا يهيئون لنا ؟!!

إنهم يعرفون ماذا يعني انتصارنا في بير وت . . ماذا يعني أن تصمد بير وت . . وتطرد الصهاينة . . لذا شاركوا . . شاركوا فعلا . . من معرفتهم بالحرب و. . . حتى الصمت . . يا للايام الاتية ، إن ما ينتظرنا رهيب .

الرحيل

غدا رحيل القافلة الاولى . .

جاء نصر الى الطريق الجديدة ، جلسنا عند محمد غانم وشربنا الشاي . مر أبو عمار الى بيته ، والنسوة اللواتي يتجمعن لاخذ رواتب أزواجهن وأولادهن هتفن وزغردن .

غدا رحيل الدفعة الاولى . غدا يعود الملازم نصر الى عمان مع قوات بدر ، مع الذين جاءوا لحماية أهلهم وثورتهم .

قلت لنصر .

ـ أنا فخور بك . ليس لانك إبن عمي ، لا ، ولكن لانك فلسطيني شجاع . وأنا فخور بالجنود والضباط الذين جئت معهم من عمان .

تريد أن تسألني وماذا بشأن زواجك من شقيقتي ، شقيقتي التي لم أرها منذ

سنـوات . وفي سري تسـاءلت عن شكلها ، عن ملامحها ، عن وعيها . . إيمان ؟ يا لهذا الاسم البسيط الجميل . . إيمان فلسطينية . . إيمان الفلسطيني . .

عام ١٩٥٦ تزوج والـدي ، وعـام ٥٧ غادر أريحـا إلى دمشق ، ثم تبعته زوجتـه . . وفي أعـوام قليلة أنجب أربعـة أبنـاء وخمس بنـات . . أكبرهم يخدم في الجيش ، وأصغرهم في الصف الاول . . .

الفلسطينيـون يحاربـون المـوت والفنـاء بالانجاب لقد ملاوا العواصم بمقابر شهدائهم . . وفي أكثر من عاصمة ، وعلى يد أكثر من عاصمة . . ذبح منهم الالوف . .

قلت لنصر :

ـ غضبت منك لانك تركت دراستك الجامعية . فعلا ذهب نصر في بعثة دراسية ، ولكنـه أهمل الـدراسـة رغم ذكـائـه ، ثم ترك الجـامعـة والتحق بجيش التحـريـر الفلسطيني قوات بدر ، في الاردن .

. . حسن ، إذهب ، وإسأل إيـمان إن كانت توافق . . أنـا ، من جهتي موافق . وعـانقت إبن العم الصغـير ، الـذي قاتـل وصمد ، والذي تعمدت قرابتي به . . بانتمائه لوطنه . . لفلسطين .

في الليـل نقلوا الجـرحى إلى الفنر هاوس ، ومن هنـاك ، رأيتهم في الفجر ، ينقلونهم في سيارات الاسعاف . .

وقفت أمام فندق الفز فسمعت من يناديني .

ـ ياإبن كنعان . .

إيـه . . إنـه سلمان . . وإنـه مصاب . . وإنه يضحك رغم كل شيء . يمد ساقه المضمدة أمامه .

إنه الرحيل . . الرحيل . . الرحيل . .

وفي الفجـر بدأ العنـاق . . عنـاق ماقبل الرحيل . . بدأ إطلاق الرصاص . و . . القـذائف . . وكـانت سيـدات بير وت يحملن حفنـات الارز التي يحتجنهـا لاطعام أسرهن . . لينثرنها على المقاتلين . . الراحلين . . على رووس أبطال بير وت .

إلى أين تذهب ؟

هولاء هم الاخـــوة والاصـــدقـــاء الـــذين عملت معهم في الاذاعـة ، إنهم يتحلقون ، ويحاولون الاجابة على سوال واحد : إلى أين تريد الذهاب .

احدهم يقول : إلى اليمن . .

يسئل : أي يمن ، الشمالي أم الجنوبي ؟

يقول : لماذا لا أذهب إلى تونس ؟!!

ـ أنت أجب ، وليس نحن ، ياجمـاعـه خلصـونـا ، لازم نسجل الاسماء . . وجهة التوجه . . احملوا عذابكم في قلوبكم . . ياما تشيلوا عذاب وهموم . .

أما سلوى فتساءل :

ـ أين أجد ياسمين . . أريد ياسمينا للمقاتلين الراحلين . .

ـ وأنت ألن ترحلي . .

سلوى تقول :

ـ سأبقى . . آخر شيء . .

كنا معا في عمان ، كنا معا في الاشرفية ، يوم رحيل المقاتلين إلى الاحراش ، وسلوى ودعتهم بالدموع مع أهل الوحدات والاشرفية . . و . . عمان .

يومها أمطرت . . فقيل : لتغسل اثارهم وقيل : قدمهم خضراء . .

وسلوى يومها ، حملت مسجلتها وسجلت طلقات الرصاص ، والزغاريد ، وأغاني الامهات اللواتي تجمعن ورقصن ، وغنين ، وبكين تحت المطر .

يومها قالوا وهم في الشاحنات . راجعين .

واليوم يقولون : راجعين .

وسلوى خرجت تبحث لاعناقهم ، لرووسهم عن الياسمين . .

و . . أنا . . ذهبت إلى الشوارع ، هناك بيت العزيزة أم بشارة . . أمنا . . وأنا لا أستطيع الذهاب لوداعها . . كيف أودع أم بشارة ؟!!

إلى أين تذهب .

ـ شو بيعرفني لوين . .

هذه كتبي

أنا الان في بيتي . وداعا إذن يابيت . وأحذف الياء . . فأنا لا بيت لي في أي مكان .

هذه كتبي . . لا . . هذه كتب .

مكتبتي الأولى تركتهـا في دمشق عام ٦٥ ، يوم صدر العفـو وعـدت مع والدي إلى الاردن .

مكتبتي الثانية تركتها في أريحا يوم سقطت أريحا في حزيران

مكتبتي الثـالثـة تركتهـا في عمان بعد أيلول . وزوجتي ووالدتها أتلفن الكتب والمجلات خوفا من حملات التفتيش . . ومن التحقيقات والاسئلة .

ومكتبتي الـرابعـة . . بعتهـا وأنـا في دمشق ، حين جعت مع أسرتي . يومها وقفت زوجتي عند باب البيت وبكت وهي ترى كتبي تنقل .

وهذه مكتبتي الخامسة . . كم مرة إشتريت الكتاب الواحد لاقرأه و . . راح

دون أن أقرأه . كم مرة يشتري الفلسطيني الكتاب الواحد ؟!!

في كم مكان كتبت القصة القصيرة الواحدة . . ! . . الرواية الواحدة . . المقالة الواحدة ؟!!

هذه كتب . . كتبي . .

بدأت أنفض عنها الغبار ، المسها برفق ، احتضنت المكتبة . . إحدى المكتبتين اللتين تملان الغرفة الكبيرة . .

ياأيتها الكتب التي قرأتها .

يا أيتها الكتب التي لم أقرأها .

يا دواوين الشعر ، يا أيتها الروايات ، يا كتب القصص القصيرة ، يا كتب الفلسفة .

أيتها الكتب التي عن فلسطين ، عن أفريقيا ، عن الهنود الحمر . . وداعا .

أعد لنفسي شايا في الغلاية ـ غلاية القهوة ـ وهي عادة درجت عليها ـ وجلست على الصوفا المغبرة . . وشربت الشاي . . لو أستطيع تذويب هذه الكتب في الماء وشربها ، وحفظها والاستمتاع بها . . اذن لهان الامر . .

ماذا يفعل الفلسطيني ، الذي بلا بيت ، بلا فلسطين ، بلا مكتبة ، بلا مكان يستقر فيه ، والذي يقرأ ويكتب بين المذبحة والمذبحة ، بين الرحيل والرحيل .

وداعا اذن يا بيت . . يا كتب . . يا بيروت . .

وخرجت من بيتي . وقفت أمام الشقة المقابلة . . شقة العميد الركن سعد صايل التي دخلتها قذيفة قبل أيام فجعلتها فحمة سوداء .

وداعا لكل شيء . .

وذهبت ، في الليل ، الى بيروت ، الى شوارعها وصمتها . . وجلال حزنها .

★★★

الوداع

رحلت السفينة الاولى .

أخذتهم ورحلت . وبيروت فاجأت المقاتلين بوداعها ، وفاجأت الصحفيين الاجانب ، وفاجأت الدنيا . .

بيروت . . إنها الوفاء .

الفلسطيني رحل تحت الارز والزغاريد وفي أوج الرصاص .

★★★

بكت أسما كثيرا في الملعب البلدي ، أسما التي اخترقت الحصار لتشارك في المجد ، ولتطمئن على ابنها وابنتها . . بكت كثيرا ، استندت الى جدار الملعب وبكت . . إنها تغمض عينيها فتملاهما بالمقاتلين . . ثم تفتح عينيها كي لا يذهبوا ، إنها تستزيد من وجودهم لعينيها وذاكرتها . . وفيصل حوراني يذهب اليها ويهدئها ، وتمتلىء عيناه بالدموع ، فيواري وجهه قليلا . . وهل الفلسطيني من

صخر كي لا يبكي ؟!! إنه الفلسطيني أكثر بكاء في هذه الدنيا ، ولكنه لا يعرض دموعه أمام العالم . . وحسنا فعل . . وحسنا يفعل .

هولاء هم الفنانون والصحفيون المصريون . . الذين اخترقوا الحصار وحملوا الينا وفاء النيل . . إنهم من أسرة فلسطين . . وإنهم يعيشون زمن بيروت . . المدافع تدوي ، والرصاص يصعد الى السماء . . والارز . . ترى ماذا يعني الارز ؟ إنه ندف أبيض يتطاير على رووس المقاتلين . .

إنه الخصب والفرح . . في بعض مناطق فلسطين يرشون على رأس العريس في الزفة الشعير والملح وفي بعضها الارز .

الارز . . الشعير . . تمجد يا رأس المحارب الفلسطيني بالخصب ، بما تنبت الارض ، بالذي لولاه لا يعيش الانسان . .

الملح . . خذ يا ملح هذه الارض . . يا ملح هذا الوطن الحزين ، الوطن المهان . . الوطن المهاب . . الوطن المسروق . . خذ أيها الملح . . يا من لا تفسد - إذا فسد الملح فبماذا يملح - خذ من يدي بيروت البحريتين ، الكنعانيتين . . العربيتين . . خذ لرحلتك أرزا وملحا وزغاريد . . ووهج الرصاص .

★★★

هذا أنا أدور ، ورأسي ينبض . .

نعم أنا بكيت . .

★★★

هذا ابن عمي نصر . . الملازم نصر يرحل مع أبطال قوات بدر ، هذا الرائد حسين الهادىء الوقور . . هذا أبو علي البطل الذي قنص الصهاينة بالاربيجي . . هذا هو الفلسطيني الذي يتبدد في بلاد العرب . .

إنهم يتقاسمون منفاه كي لا يكون له منفى واحدا . . يريدونه مناف . . كي لا تلتقي أجزاوه . .

★★★

غدا ترحل ، قيل لي . .

اذن وداعا بيروت . .

رأسي ينبض . . رأسي ممتلىء بالرمل ، بالدوي ، بأصوات المذيعين ، بالاغاني ، بالاصدقاء . . بالاحياء ، بالشهداء ، بالكتب التي قرأتها . . بالروايات التي لم أكتبها . . ببيروت . . بمراكز الحدود . . بدوي الصفعة عام ٦٤ في السجن . . الصفعة التي دوت على وجهي فقط من بين كل السجناء . . فقط لاني فلسطيني . . الصفعة التي وجهتها لوجهي يد شرطي غير عربي . . شرطي من أقليات تكره الفلسطيني . . وتخدم الاقاليم . . شرطي قال لي : أنتم أصل البلاء .

إنهم دائما يديرون ظهورهم للصهاينة ويصفعون الفلسطيني .

★★★

رأسي مليء بالذين قاتلوا . .

أبو الجاسم يصعد الدور الحادي عشر ، وينادي بالجهاز الصغير : من أجل ذكرى أبو كفاح فهد . . نار . . ويشد أبو فراس وأبو نضال الحبال فتدوي قذائف الهاونات ، وتحرق الاحراش والدبابات وترج قصر بعبدا وبيت السفير الاميركي . .

نار . . نار . .

وقائد بطارية الهاون ، النذل هرب . . اختفى عندما حوصرت بيروت . . إسمه علاء . . يا للاسم . . يا للاسماء التي لا يليق بها أشباه الرجال ، الادوات ، الذين روعوا الناس ، ونكدوا عيشهم ، وسرقوا طمأنينتهم . .

نار . .

وأبو عبدو الشبل حزين . . لماذا يا أبو عبدو ؟ حملت معهم القذائف وربصت المدافع ـ ثبتها ـ وعندما بدأوا بالقصف . . رفضوا أن أشد الحبل . . يعني أن يطلق القذائف . وجهاد يطيب خاطره وهو يضحك ضحكته الطريفة .

الدور الجاي بنخليك تشد الحبل

وأبو عبدو يتساءل : بلكي وقفت الحرب . .

وجهاد يقول : ما بتوقف . . لانها فلسطين ما تحررت بعد . . الحرب بدها توكل حطب كثير . . شو مفكر يا أبو عبدو ؟!!

★★★

في الليل أدور في شوارع بيروت . أبحث عن كل شيء ، تعب الرحيل من الفلسطيني ، تعبت منه المنافي ، تعبت منه البلاد التي تناصبه العداء ، تعبت منه الاذاعات التي تعيشت من دمه ، والتي ملات برامجها بالاغاني والتعليقات ، وبيانات الانقلابات . . على حسابه .

أسما وفيصل وأنا شربنا القهوة في دار الكلمة ، ومازحنا النائب نجاح واكيم . قلنا له :

ـ لماذا لا تبيع صوتك لمرشح شارون الشيخ بشير . .

الشيخ يدفع مبالغ طائلة . . ولكن ليس من جيبه . إنه يدفع ولكن من جيوب الاجاويد . من الذي درب الكتائب ، من الذي أرسل لهم شحنات الاسلحة ، من الذي حماهم ، من الذي قواهم على الوطنيين اللبنانيين ؟

لقد خدموا ، جميعا ، الشيخ شارون . . .

اقترح نجاح واكيم أن نزور السفير ، ذهبنا إلى السفير ففوجئنا بأبو عمار وحوله أسرة السفير ، وفي الفجر خرج أبو عمار ، وبعد قليل جاء فتحي ، وناداني ، في الشارع رأينا أبو عمار وأمامه بقايا صاروخ عرضه لنا .

ـ قال :

ـ هذا أحد أنواع الصواريخ التي استعملوها ضدنا . . إنه يسير تلفزيونيا ، سنعرضه

على الاصدقاء لان ضباطنا لم يستطيعوا معرفة الية عمله .

أنا شخصيا لا أستطيع وصف مارأيت ، إنه مزهل . أسلاك بيضاء وحمراء ، فتحتان في رأس الصاروخ ، كأن هذه الكتلة هي رأس يوجه الجزء الذي إختفى . . تفجر . . دمر بناية على من فيها . . أنهى حياة مئات اللبنانيين والفلسطينيين . . هذه هي أميركا . . وهذه حربها ضدنا . .

أخذت بندقيتي ومسدسي ، وذهبت إلى الفاكهاني ، قلت لنفسي : لالق النظرة الاخيرة على كتبي ، على طاولتي التي كتبت عليها قصصي ومقالاتي ورسائلي . . لاودع المقاتلين ، أصدقائي ، الذين أحببتهم واعتززت بهم . . هذا ابن الخضرا التونسي بلحيته ، الخير أيها الاصدقاء . . وأشرب معهم شاي الصباح ، ثم أصعد ، مرحبا ياعمي أبو سلمى . . مرحبا أيها الحبيب ، ويا كتبي وداعا . . يا أشيائي البسيطة المتواضعة . .

وأحمل معي ثلاثة كتب اللآلىء - نصوص كنعانية ، ملحمة جلجامش ، واسرائيل الكبرى - . . وأترك ألوف الكتب . . وأمضي . .

الامهات ، الزوجات ، الاطفال ، الاباء ، تجمعوا منذ الفجر ، ودوي مدافع بعيدة يعلن الوداع . .

أمام الملعب البلدي يتجمع الخلق . وترتفع أبواق السيارات ، والى الملعب تأتي طوابير المحاربين . . الراحلين . وسماعة تطلق الاغاني إلى أقصاها .

عطشت كثيرا هذا الصباح ، شربت من صهريج ممتلىء بالماء الدلع شربت كثيرا ولم أرتو . .

إنتظرت مع اخر الراحلين ، حتى الثانية عشر والنصف .

هذا عبد الفتاح غانم قد جاء . مسدسه في حزامه ، وإلى جواره أبو مجاهد بجسده العملاق ، ولحيته التي أطلقها في الحرب .

عاتبني عبد الفتاح .

- كنت سترحل دون أن تودعني .

- أنا غير موافق على بقائك في بيروت .

- أنت أسير سابق عند الصهاينة ، ووجه معروف جيدا للعملاء المحليين ، خروجك معنا يفيدنا أكثر بكثير من بقائك .

- أعطتنا بيروت الكثير . كيف ندير لها ظهورنا ونرحل . .

- بقاء بعضنا لا ينقذ بيروت مما هو ات .

نحن لم نوصلها إلى هذه الاحزان والالام .

وعندما أطلقت الشاحنات العسكرية اللبنانية أبواقها إعلانا عن الرحيل ، رأيت الدموع في عيني عبد الفتاح ، رأيت شرايين عينيه تصيران بلون الدم .

رأيت هذا الفتى الفلسطيني يرتعش ألما ، هو الذي نادرا مابكى ، هو الذي جرب سجون الصهاينة والعرب ، و . .

هذا خليل الزبن ، خليل الذي جاء مصادفة من دمشق إلى بيروت ، وعندما إشتعلت الحرب لم يغادر ، خليل الذي بثت في وكالة وفا في أخطر الظروف ، وأخطر المواقع . . إنه يحفن الارز ويرشه على السيارات التي تحمل المقاتلين . .

فتحت فمي لاناديه : يا خ . . ولم أستطع أن أناديه ، إمتلا صدري وعيناي ورأسي بمالا أستطيع وصفه . . هذا بعضنا يودع بعضنا . .

هذا خليل الذي كتب بقلمه ، وبندقيته ، يكتب الان بالارز . .

في المزرعة ، الناس على الجانبين .

أطلق المقاتل اللبناني قذيفة الاربيجيه في الفضاء . . دار في الهواء ثم ألقى بنفسه على سيارة عسكرية وعانق المحاربين الراحلين . . ثم نط الى الشارع ودار حول نفسه وصرخ .

ـ لوين راحلين .

كل راحل يعود إلى وطنه ، إلا الفلسطيني . . إنه يرحل ووطنه في داخله . . إنه لا يعود إلى وطنه . . وهكذا ، سيظل يحمل هذا الوطن . . الذي لا يهبه غير المنافي ، والرحيل ، والسجون ، والموت ، وأعجب وأنبل دور في التاريخ المعاصر . .

الكاتيوشا تطلق صواريخها دفعة واحدة . .

يا للكاتيوشا . . يا بطلة بيروت ، كم أجبناها وهي تحرق كل شيء ، فوق وتحت وحول الاعداء ، وهي تقهر مدفعيتهم ، وتتصدى وتحاصر بوارجهم . . وهي ترجمهم رغم طائراتهم التي تغطي سماء بيروت . .

إمرأة تحمل طفلها ، ترفعه بين يديها ، تبكي . .

سائق الشاحنة الجنوبي يوقفها وهو يغطي عينيه ويردد .

ـ يا ربي ما عاد فيني أتحمل . . ونواسيه . . نحن نواسيه . . ونشجعه على التحمل . .

الفلسطيني هو أستاذ الصبر ، إنه جمل المحامل .

هذه هي السفينة . . هذه هي سولفرين التي ستحملنا إلى بنزرت في تونس .

إنني قلق جدا ، ماذا لو

ان الصهاينة خدعوناو . . دمروا السفينة بنا في الميناء . . أو في البحر ؟!!

أعطينا للجنود اللبنانيين أسماء وهمية ، سجلوها في كشوفاتهم بشك ، بينما كان بعض الجنود الفرنسيين يلتقطون لنا الصور . . لماذا يصورونا ؟ أنحن أقاربهم ، أم نحن نجوم سينما ؟!!

إن مقاتلينا يشكون ، لذا أخذوا يلفون رووسهم ووجوههم بكوفياتهم .

الذهاب الى البحر

الذهاب الى البحر
إنهم باللعنات دمروا كريت حجبوا مساكنها بقوى سماوية وأرض ميراثها
بمساعدة ألف ابليس مقاتل كما لجيش أسقطوها تحت الاقدام .
وبسرعة وبراعة جعلوها تنحني مثقلة بالشقاء

اللالىء
من النصوص الكنعانية

ولكن لماذا نسلم أسلحتنا ونحن ندخل الباخرة ، لماذا نضعها في المستودع ؟
هل هذا جزء من الاتفاق ؟

القلق يأكلني ، ماذا لو جاءوا الان وقبضوا علينا ونحن بلا أسلحة ، ماذا لو إنقض علينا الكتائبيون من مناطقهم المتداخلة مع الميناء ، ماذا لو . .
وهولاء السفلة الذين التقطوا لنا الصور ، لماذا التقطوها بكل هذا الحماس ، ومن كل الزوايا . . لماذا كل شيء ؟!!
انه كفلسطيني أشك في كل شىء .

ها الضجيج يملا السفينة سولفرين ، ها النداءات من الاذاعة المحلية ، والاناشيد . . الفلسطينيون ينشدون أحيانا نكاية في . . في صمت العالم . . إنهم يصرخون ، بأصواتهم ، ببنادقهم ، براجماتهم . . و . . ياترى ماذا يفعل الان أبو ماهر ؟ إنه ، حتما ، يجلس على كرسيه المخلع ويستند عند المتراس ، إلى الجدار ويغني . كيف يتحمله ذلك الكرسي المخلع ، إنه يسنده إلى الجدار . الجدار دائما نحتاج إلى جدار . . و . . الان نحن بلا جدار . ومتى كان لنا جدار . قال : أخ ياظهري . . وأنا لا ظهر لي . . الفلسطيني لا ظهر له . . لا ، له ظهر . ولكنه تخرق بالطعنات . . وله صدر . . وتخرق بالرصاص . جاء الرائد عثمان - ضابط الارتباط الفلسطيني - وانتحى بي جانبا وقال :
- باخرتكم محاصرة . أترى تلك الزوارق في البحر .
قلت :

ـ أراها .

قال :

ـ إنها للعدو . . الذي يحاصركم ويوخر رحيلكم .

ـ لماذا ؟

ـ يعترضون على سيارات عسكرية لم يتم الاتفاق على نقلها في السفينة .

ويضيف مبتسما .

ـ يظن أن شارون في تلك البناية الصفراء التي قبالتنا . . لا تقلق .

ولماذا القلق . إننا محاصرون . وصواريخ زوارقهم موجهة إلى سفينتنا . وشارون هناك في البناية الصفراء وحوله الكتائبيون . .

فعلا . . لماذا القلق ؟!! يقترب مني مقاتل ويهمس لي :

ـ يا أخ ابن كنعان ، لا تقلق . . معي آربيجي في كيس البحارة . . ومع جماعتنا قذائف . . لم نسلمها . . نحن جاهزون للاشتباك . .

وصفنت وتساءلت : أيمكن أن نقفز إلى الشاطىء . وتطلعت : ترى كم يبعد عنا المقاتلون ؟ وتناهى إلى سمعي دوي المدافع . .

واقلعت سولفرين . . بعد ساعات من الحصار . .

خمسمئة سرير لالف ومئة مقاتل . . ما العمل ؟! الذين سبقوا . . أخذوا أسرة . . ونحن ؟

رأيت مئات الشباب ينامون في الممرات وعلى سطح السفينة ، وعلى المقاعد . .

وبيروت . . هل حقا وداعا لبيروت ؟

إن قلبي يخفق . وإن أضواء بيروت تخفق . إن هناك إخوتنا ، أهلنا . . أيامنا . . متاريسنا . . ناسنا . . مقابر شهدائنا . .

إن هناك المدينة التي أحببنا . . بيروت التي لا تشبهها مدينة . أكان ضروريا أن نرحل ؟

أما كان بالامكان أن نبقى ، أن . . نهزم الصهاينة . . أن نحول لبنان إلى فيتنام ، وبيروت إلى هانوي ؟ أكان قدرا أن . .

وتذكرت ناجي العلي الذي رأيته يدور في الشوارع صامتا ، تحت الطائرات ، رغم القصف . . تذكرت عبد الفتاح ، وعلي عزيز ، ويوسف أبو نضال الذي نشر كتابه الاول قبل أيام من الحرب . . ولم يفرح به . .

الجريح مضمد الساق . . وجهه طفولي ، حزين ، أحضرت له شايا ، فتأسف لانه أتعبني .

وأحضر له أحد الشباب بطانية ، واعتذر له :

ـ لو عندي سرير لتخليت لك عنه .

ـ معلش . . هون كويس . .

الجريح لا يعرف أن بعض الذين لا يحتاجون لاسرة مريحة إستولوا على الاسرة . .

إنهم مرتاحون دائما . . دائما . . وجرحى الاجساد والقلوب . . لهم جراحهم . .

هذا عبد الله الطيار ، طيار الهليوكبتر ، الذي كان في أوغندا . عرفني ب

ـ أبو فادي ـ

قلت لابي فادي :

ـ صديقي زار نيكارغوا العام الماضي . . وحدثني عن بطولات طيارينا هناك . . حدثني عن مهندس طيار فلسطيني أصلح رادارا لا يمكن إصلاحه . .

ضحك أبو فادي وقال :

ـ أنا مهندس طيار . . و . . صديقك . . هل هو علي عزيز . .

دهشت .

ـ نعم هو .

ـ زارنا فعلا العام الماضي وقضينا معا وقتا طيبا .

وفي رطوبة الليل إمتد بنا الحديث .

قال أبو فادي :

ـ إستشهد منا سبعة عشر طيارا ومهندسا . . بلا ملصق ولا بيان نعي راحوا . .

حاربنا في أمكنة كثيرة دون إعلانات أو بيانات . . ومع ذلك حلمنا كثيرا بأن نحلق بطائراتنا في سماء وطننا .

في نيكاراغوا كنا نشعر أننا نواجه أميركا . . نعم أميركا . . ليس الصهاينة فقط . أنت تعرف أنه يوجد فلسطينيون في قيادة الثورة هناك . .

وبهدوء أضاف :

ـ إحنا شعب جبار . مش لعبة يوخذوا الصهاينة أرضنا ويطردونا . .

أتدري أننا حاربنا في أفريقيا . . وفي أميرك اللاتينية . . ومع ذلك فنحن محرومون من أن نحارب في سمائنا . . شيء غريب يا أخي . .

في قبرص إستقبلتنا البواخر الراسية في الميناء ، والزوارق ، باطلاق الصافرات . . والمقاتلون هتفوا وغنوا ورسموا شارات النصر ، والبعثة الطبية القبرصية التي حضرت إلى السفينة عاينت بعض المرضى والجرحى ، واتخذت قرارا بإنزال جريح حالته خطرة . . لكن الاميركان ، الذين يحرسوننا ببارجتهم رفضوا . . ولم يأبه القبارصة ، وأنزلوا الجريح . .

ما الـذي جاء بهذه الفتيـات الاسيـويـات الجميـلات للعمل على متن هذه السفينة ؟!!

إنهن أجمـل من أن يكن عامـلات على سفينـة . أيـة بلاد هذه التي تشـرد فتيـات مدهشـات الجـمال ؟!! و . . أيـة مشـاكـل ستنشأ بسبب وجـودهن بين ألف ومئـة مقاتل ؟!!

ولكن مشكلة واحدة وقعت . أحد الشباب مد يده إلى فتاة منهن ، فذهبت وإشتكت لقـائـد الشـرطـة العسكـريـة . . و . . اتخذ قرار بربطه إلى الصارية . . وربط . لقد تذكرت الافلام التي شاهدتها عن القراصنة والصراع في البحار . ولكن الفتاة لم يهن لها بالمقاتل ، فتوسلت للمقدم أبو نجيب أن يفك قيود الشاب . .

إنني أقف في الليـل أمـام البحـر ، أمـام مياهه المعتمة ، أمام أضواء البارجة الاميركية والزورق الفرنسي . .

إنني أمـلا وجهي وصـدري بالرذاذ ، بالماء المالح واليود . . وإنني أردد مقاطع من كتـاب الـلالىء . . أعـد نفسي بكتـابـة قصيدة نثرية طويلة . . بكتابة حكاية شعـريـة . . بكتـابة الجنون نفسه . . ويملأني البحر ، وأتساءل ، في الليل البهيم عن هذه الخلجـان ، عن رحلة أوليس ، وأستـذكـر مقـالـة كتبتها قبل ست سنوات عنـوانهـا ـ الفلسطيني في الطـريق إلى إيثـاكـا ـ . . أي بنلوبي الفلسطينية أما زلت تطرزين في الاسر ، أما زلت تكتبين بالحرير الملون سيرة صبرك وإنتظارك ؟

وأنت أيتهـا المـدن التي تفـرجت على يوشع وهو يحرق مدينة أريحا ، ويستبيح كل حي ، أتظنين أن ركوعك ينقذك ، أن صمتك ينقذك ، أن تفرجك ينقذك . .

يابحر . . يابحر . . هذا أنا الفلسطيني ، أمضي إلى الماء . . إلى الماء . . وخلقنـا من المـاء كل شيء حي ، وإذاعـة الأعـداء تغني بسخـريـة ـ في البحـر لن فتكم ـ وفي حزيـران ٦٧ غنت إذاعتهم للمقـاتلين المصـريـين الهـائمين على وجـوههم في سينـاء بلا ماء ولا أمـان : قولوا لعين الشمس ماتحماش ـ أحسن حبيب القلب يصابح ماشي .

ياتـرى ماذا غنـوا في تشـرين ٧٣ ، تشـرين الـذي ضاع ، عنـدمـا عبر المحـارب المصـري وأكـل الـرمـل . . وأذاب الحصـون والقـلاع والدبابات وطحن أحلامهم ؟!! لقد غنوا عندما مرغ السادات رأسه تحت أقدامهم . . ولكننا لم نهزم في ساعة ونصف . . في ستة أيام . . في . . حرب خاطفة ، ولم تدمر طائراتنا وهي على أرضها . . نحن حاربنا ثلاثة أشهر . .

في البحر لن فتكم . . هذا البحر لنا ، جداتنا وامهاتنا يسمينه بحر يافا ، وأمي أخذتني إليه . أصبت بمرض جلدي وأنا في سنتي الاولى فقال لها الطبيب : خذيه إلى البحر ، وأبي وأمي أخذاني الى بحر يافا ، وعمداني في ملحه ويوده ومائه . . وعندما داهمها الليل ناما على الرمل ، فملأ صدري بالرمل . . وعصرا برتقالة في فمي . . في حنجرتي ، في شراييني . . عمداني بالماء والبرتقال . ولذا لم أصب بدوار البحر ، الدكتوران خالد شبيب ، وباسم ، يعملان بلا كلال لانقاذ عشرات المصابين بالدوار . . وأنا أضحك ، قلت لهما :

ـ أنا كنعاني . . جبت البحار من ألوف السنين . . جئت من جزيرة العرب . . ومعي نخلة غرستها واستظليت بها . . وتحتها حلمت وكتبت الشعر ، و . . رحلت إلى البحر . . أنا عمدتني أمي ولذا لا أدوخ . . ولا يصيبني الدوار . . ومن غريب الصدف أن صديقي محمد غانم لا يدوخ طيلة الرحلة .

عطشت في الليل . ذهبت لاشرب ، وإذا بالطيار عبد الله الذي ـ كان يقاتل في الجامعة الاميركية ، محور وادي النيل ـ و . . بحار قبرصي بعض أسنانه مخلعه ، كثير الضحك ، سمين ، طويل ، وبعض الشباب ، يتحلقون حول طاولة وأمامه الماء والنسكافيه رحبوا بي ، وقدم لي عبد الله كوب النسكافيه . . شربت ماء باردا . . بكثرة . . وشربت جرعات من النسكافيه . . .

إنني لم أذق أطيب منها . . أعدت له الكوب فرفض . . فاستمتعت . . إمتلات معدتي بالنسكافيه والماء ، ثم . . أصغي في هدأة الليل للبحار القبرصي .

قال :

ـ حاربت مع الاسقف مكاريوس ضد الانكليز . .

وقال :

ـ نقلنا في سفينتنا الاطفال والجرحى الفلسطينيين . . إننا نحبكم . . أنتم تعذبتم مثلنا نحن القبارصة . . وبلادكم ذاقت الويلات مثل بلادنا .

إنني أقف أمام البحر . . ياترى هل مر أوليس بهذه الخلجان ؟!!

هل هنا أغلق آذان بحارته بالشمع كي لا تسحرهم الساحرات بأصواتهن ؟!!

إنني أكتب قصيدتي النثرية ، قصيدتي الشعرية . . هكذا ، في عقلي . . في داخلي . . ورذاذ البحر يتطاير إلى وجهي وصدري . . يبللني . . ولكن ماهذا ؟

عندما رفعت رأسي رأيت . . رأيت . . إن احدهم يتبول من فوق ظهر السفينة . . أهو واحد من السفلة الذين يحششون ؟

الذين لم يحاربوا في بيروت ، الذين نكدوا حياتنا هناك ، وبهدلونا . . . أهو واحد من الذين كانوا في بارات الحمرا . . من الذين . .

وخبطت رأسي بالعمود الحديدي ، فشعرت أنني أترنح ، يا إلهي ، هل اصعد . . و . . هل أطلب من أحد الشباب أن يطلق عليه النار . .

ياإلهي . . كيف يكون مواطن . . ولو واحد . . مواطن فلسطيني بهذه النذالة . .

و . . بكيت قهرا وغلا . . لانني لم أعرف ماذا أفعل . .

ولكنه . . من سوء حظه . . فعلها في اليوم التالي . .

وفي اليوم التالي . . في الليل أمسكوا به . . بعد أن علموا بما جرى معي . . لقد تبول على رأس الجريح . . الجريح الذي كان يستند إلى عكازيه . . ويركز صدره إلى عمود الباخرة . . الذي صرخ إشمئزازا وقهرا وهو يرى ذلك النذل يتبول على رأسه . . وقرروا جلده . . وتعزيره . . و . . لكن الجريح ، المقاتل الجريح إستند إلى إثنين أصعداه الدرج إلى سطح الباخرة . . ورأى ذلك الشخص على الارض بملابسه العسكرية . . ورأى أنهم يهمون بجلده على رجليه . . فرجاهم المقاتل الجريح وتوسل إليهم أن لا يذلوه ، لانه ، مهما يكن ، يضع على بدنه ملابس الفدائيين . . و . . أنهضوه .

إنني أمازح صديقي محمد غانم .

ـ خللي عينك على الاميركان ، إنهم وراءنا ، إوعك يفلتوا منا . . إحنا قدامهم والزمن طويل . . سندوخهم . .

ونحاول أن نضحك .

يتساءل القبطان بدهشه .

ـ هل كلكم فلسطينيون ؟

ـ لماذا ؟

ـ أقصد هل كلكم من شعب واحد ؟ إنني أرى منكم من لا تشبهه أرقى الشعوب في سلوكه ، وتحضره ونبل إنسانيته ، ويتردد ، لكنه يستأنف حديثه .

ـ وأرى منكم . . أقصد بعضكم ، من لم أتوقع في الكوابيس رويته في هذه الدنيا . .

ـ . . . .

ـ إنهم أقلية . . نعم أقلية . . لكنهم . . واسمح لي . . أقصد لقد صليت للعذراء مريم مرتين لان الاسلحة سحبت ووضعت في المخزن .

وضحك محدث القبطان ـ الضابط الفلسطيني ، فاستفسر منه القبطان ، فأجابه :

ـ أنتم لا تعلم أن مئات المقاتلين لم يسلموا أسلحتهم . . أنهم يحملون مسدساتهم ، ويحملون القنابل ، وبعضهم خبأ بندقيته الكلاشنكوف القصيرة ذات الكعب المعدني . . ألا ترى أنه لم يحدث شيء ؟ . .

معك حق أن تتساءل ، ومعك حق أن تصلي . . ومعي حق أنا أن أكفر . . وأن لا أصلي بسبب سلوك الاقلية التي تتحدث عنها . .

هذه هي كريت .

إنها كريت .

هل حقا جاء بعض الفلسطينيين من هنا ؟ ماهولاء الفلسطينيون ؟ عرب من الجزيرة كريتون من كريت ، أحضروا معهم السيوف والحصان المدجن ، الذي استخدموه في الحرب .

لكن هذه ال ـ فلسطين ـ التي تمتد بين اسيا وافريقيا ، وتسافر بعينيها السوداوين إلى أوربا عبر بحر يافا . . هي فلسطين ، إنها تصهر كل القبائل والهجرات ، وتجعلها تتكلم العربية ، وهي تهزم وليم وريتشارد و . . نابليون . . والتتار . . أكل هذا في مساحة لا تبلغ الـ ٢٧ ألف كيلومتر مربع ؟!! يا لفلسطين هذه .

لكن أهل كريت يحنون للفلسطينيين ، يقولون بعض دمنا عندكم ، لذا نفخر بكم ، والبحر المتوسط يمتد بيننا . .

والبارجة الاميركية تمنع ذهاب باخرتنا إلى ميناء كريت ، لان أهل كريت هيأوا للفلسطينيين ، إستقبالا يليق بالمحاربين ، ونذهب إلى ميناء صغير . إلى ميناء يملكه أحد الاثرياء ، فيقدم للباخرة التي تقل الفلسطينيين كل شيء ، الماء ، والوقود ، وينقل الخبز بطائرته الهليوكبتر من كريت . . يظل يتنقل بين المدينة ، والميناء بطائرته الهليوكبتر الحمراء والبيضاء ، طيلة سبع ساعات .

هذا صديقنا القديم البدين جدا ، الضاحك جدا ، قد جاء . وصديقنا الكريتي هذا مفاجأة . إنه نائب البرلمان اليوناني ، تعرفت به ذات يوم في ليبيا بفندق الشاطىء . . وهناك في باحة الفندق ، أمام البحر رأيته يرقص مع الفرقة اليونانية الراقصة . . إنه يرقص رغم بدانته رقصا مدهشا ، أخاذا . . وهو يرقص رغم أنه نائب في البرلمان . . إنه لا يتصرف كنواب بلاد العرب . . إنه إنسان ، وإنه يرقص نيابة عن شعب بلاده ، لبلاد الاصدقاء . . وها هوذا يأتي رغم أنف الأمير كان إلى الباخرة عدد من الكريتيين بلحاهم البيضاء وسراويلهم التي كسراويل بعض أهل بلادنا . . خاصة في منطقة الساحل الفلسطيني . .

قال النائب البدين ، وهو يضحك ويضمنا لنأخذ معا صورا تذكارية :

ـ قبل أيام نشر كاريكاتور في إحدى الصحف اليونانية وتحته تعليق يقول :

ـ إن أشد الدول العربية دعما للمحاربين الفلسطينيين هي . . . اليونان .

ثم علق :

ـ أظن أن هذا يعطيكم فكرة أيها الاصدقاء . . إن التظاهرات تعم كل المدن اليونانية . . قد تبرعن حتى بدبلات زواجهن وهذا لا يحتاج لشرح . نحن معكم . .

وذكرته برقصه الجميل في فندق الشاطىء ، فقال :

- سيأتي يوم ونرقص في فلسطين . . أنا متأكد . . وأراهن على ذلك بحياتي . .

واهتز جسده وهو يضحك ، اهتز كجبل وأكد :

- سأربح حياتي . . وسنرقص . .

إبتدع المقاتلون أساليب بسيطة لاعداد الشاي والقهوة ، بواسطة فيش كهربائي يوضع في الابريق و . . وعاء الشرب . . الابريق . . أوفي كيلة أخذوا يعدون القهوة والشاي ، وفي الليل كانوا يطيلون السهر ، ويصغون لاغاني أم كلثوم أو أناشيد الثورة . . ويلعبون الورق . . ويتساءلون في أي إتجاه الان بيروت . .

رأيت أسماك القرش تلاحق سفينتنا . . ورأيت النوارس . . النوارس الجميلة ، كأنها قطع من زبد الامواج تفر في الفضاء ، ورأيت الجبال تندغم في لجة البحر ، والزرقة تضيع في الافق . . وكنت أذهل عن كل شيء . . وعندما أعود للسفينة أفكر في بيروت . . وأتساءل مع المقاتلين : والان . . بيروت في أي إتجاه . .

فكرت أن ألقي بنفسي إلى البحر من فوق سطح السفينة ، أن أذهب إلى الملح واليود والماء . . إلى مامـلأت أمي به جسدي وصدري ورئتي ، إلى رمل يافا . . إلى البرتقالة الاولى . .

وتأوهت . . تأوهت وانخلع فوادي . .

اه . . يابيروت . .

اه لو تعلمين . .

ورأيت الفلسطيني يرحل في الزمان والبحر والرمل . . رأيته يقاتل الساحرات بعينين وأذنين مفتوحتين . . رأيته يقتحم الارخبيلات مصارعا الوحوش بيدين عاريتين . . وبقلب لا ينخلع . . رأيته البارجة الاميركية تصغر . . تصغر . . تصغر ، وتتلاشى . . ورأيت . . رأيتك يابيروت تتوهجين . . وعبر أفقك . . ورملك . . وزمنك . . أرى . . شكل البرتقالة الفلسطينية الاولى . . وأرى ذراع أمي . . والرمل الذي نامت عليه مع أبي تحت السماء والنجوم . . في الزمن الجميل . .

إنني أبحر منذ بداية الخليقة ، يوم لم يكن غير الماء ، إنني أقلع عبر الارخبيلات والخلجان ، تحت سماء عارية ، في الانواء والصخب والجنون . .

وانني أبحر حتى الابدية . . ولا شيء يهزمني . .

وصدري يمتلىء برمل بيروت . . بالبرتقالة الفلسطينية ، وعيناي فيهما سماء يافا . . وفي أذني موسيقى الارغول لذا لا تسحرني الساحرات . . ودائما أرى الضوء . . كالرويا . . فأشرع صدري . . وقلبي . . وروحي . . وقلوعي . . وأمضي . . وأنت يابيروت - في - أنت المتاريس ، والرجال الشجعان ، والاشبال والزهرات ، ولوحات الزهور ، أنت السيدات النبلات . . أنت الماء . .

أه

يابيروت

للكاتب

روايات :

* أيام الحب والموت طبعة أولى دار العودة ١٩٧٣
طبعة ثانية دار العودة ١٩٧٩
* البكاء على صدر الحبيب طبعة أولى دار العودة / الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ١٩٧٤
طبعة ثانية دار الحقائق ١٩٨٢
* العشاق طبعة أولى دائرة الاعلام / منظمة التحرير ١٩٧٧
طبعة ثانية دار العودة ١٩٧٩
طبعة ثالثة دائرة الاعلام ١٩٨٢

قصص قصيرة

* ذكرى الأيام الماضية طبعة أولى دار الطليعة ١٩٧٠
* بيت ذو سقف قرميدي طبعة أولى بغداد ١٩٧٤
طبعة ثانية دار العودة ١٩٧٩

* الأشجار لا تنمو على الدفاتر طبعة أولى الاعلام الموحد ١٩٧٥
طبعة ثانية دار العودة ١٩٧٩

* مهر البراري طبعة أولى اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ١٩٧٧
طبعة ثانية دار العودة ١٩٧٩

* بيتزا من أجل ذكرى مريم طبعة أولى الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ١٩٨١

صدرت المجموعات القصصية في مجلد واحد
عن دار الحقائق - بيروت ١٩٨٢

للأطفال والفتيان

* عطر الياسمين قصص دار المسيرة ١٩٧٩
* أحلام والحصان الأبيض قصص دار الآداب ١٩٨٠
* أرض العسل رواية دار الحقائق ١٩٨٠

كتابات

* ثورة في عصر القرود دار الحقائق ١٩٨١
* ترجمت رواية البكاء على صدر الحبيب إلى الروسية
* ترجم الكثير من قصصه القصيرة .

الثمن : ١٦ ل